استفتاء مصر: نسبة المشاركة أهم من النتيجة ص3

ريشار قيوميجيان

وزير لبناني مسيحي يغضب عون وحلفاءه

ص8

باريس تستعيد فنون الدعاية السوفيتية ص14

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2019/04/21

16 شعبان 1440

السنة 41 العدد 11325

Sunday 21/04/2019

41st Year, Issue 11325

التحوّلات الجديدة تحاصر النفوذ التركي في أفريقيا

● ضغط شعبي في السودان لإبطال الاتفاق مع تركيا بشأن سواكن ● مكاسب حفتر تهدد بكشف ملفات أنقرة في طرابلس

❑ **أنقرة** – تسير تركيا نحو خسارة نفوذها الأفريقي، وبشكل متزامن مع التحولات التي يعرفها السودان وليبيا ودول القرن الأفريقي، في وقت يضغط فيه الحراك الشعبي في السودان على المجلس العسكري الانتقالي لإبطال الاتفاق الذي تم مع تركيا في عهد الرئيس السابق عمر حسن البشير بشأن جزيرة سواكن.

ويأتي هذا فيما تتجه تركيا نحو خسارة نفوذها في ليبيا في وضع انحسار نفوذ الميليشيات الحليفة ونجاح قائد الجيش الوطني الليبي في إحكام تطويق تلك الميليشيات في العاصمة طرابلس بانتظار اللحظة الحاسمة لاستعادتها.

ويطالب قياديون في الحراك الشعبي ونشطاء على مواقع التواصل قيادة المجلس الانتقالي الجديد في السودان بوقف الاتفاق مع تركيا وقطر بشأن أي شكل من أشكال النفوذ الاستثماري أو العسكري في جزيرة سواكن، فيما تتحدث أوساط سودانية مطلعة عن أن المجلس منح مهلة لتركيا لإخلاء الجزيرة في أقرب وقت.

وستكون هذه الخطوة بمثابة ضربة قوية للنفوذ الذي بنته تركيا في السودان بهدف تطويق مصر واستهداف السعودية، وكذلك زيادة نفوذها في القرن الأفريقي والاستفادة من الصراعات المحلية لتثبيت قدمها انطلاقا من قواعد تبنيها في جزيرة سواكن المطلة على البحر الأحمر.

وكان العمل قد توقف في جزيرة سواكن عقب الاحتجاجات التي اندلعت ضد نظام البشير الذي ظل يحكم البلاد طيلة 30 عاما.

وزار البشير تركيا مرات عدّة على الرغم من أنه مطلوب بتهم ارتكاب إبادة جماعية وجرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية من قبل المحكمة الجنائية الدولية.

وكان البشير أحد ضيوف أردوغان عند افتتاح مطار إسطنبول الجديد في أكتوبر الماضي.

وبعد زيارة قام بها أردوغان في عام 2017 وأدّت إلى تعزيز العلاقات بين البلدين، وافق السودان على السماح لتركيا بترميم ميناء جزيرة سواكن في البحر الأحمر الذي ازدهر خلال الحقبة العثمانية.

ونفى أردوغان في ذلك الوقت وجود خطط لبناء قاعدة عسكرية، لكنّه قال إنّ الميناء الذي تمّ تجديده قد يجتذب الحجّاج المتوجهين إلى مكّة ويعزّز السياحة في السودان.

وتقع سواكن على الساحل الغربي للبحر الأحمر، وتبعد عن الخرطوم حوالي 560 كيلومترا، وقرابة 70 كيلومترا عن مدينة بورتسودان، ميناء السودان الرئيسي، وتم استخدام الجزيرة كميناء للحجاج من جميع أنحاء أفريقيا لعدة قرون.

واستُخدمت الجزيرة في عهد الدولة العثمانية لحماية أمن البحر الأحمر والحجاز ضد التهديدات المحتملة، وتضم معالم هامة للغاية، مثل الميناء العثماني التاريخي ومبنى الجمارك ومساجد الحنفية والشافعية ومبنى الحراس.

وتاريخيا، عانت تركيا من التمدد في زمن العثمانيين وانتهى هذا التمدد غير المبرر بانهيار إمبراطوريتها وانكماشها إلى الأناضول فقط مع لسان بسيط في أوروبا، وإلى اليوم لا يعرف مصير الآلاف من الجنود العثمانيين في القرم واليمن وليبيا حتى بعد مرور قرن من الزمن.

ومن الواضح أن الرئيس التركي الحالي يبحث عن إعادة الأتراك إلى الوراء ليعاودوا نفس المأساة التي عاشتها الإمبراطورية العثمانية، اعتمادا على الهيمنة الناعمة التي تجزل المساعدات وتتولى تغيير مناهج التعليم والتربية وطرق فهم الدين.

وكانت تركيا افتتحت أكبر قاعدة عسكرية لها في الصومال، وتغدق الكثير من الأموال والإمكانيات لتثبيت وجودها هناك، لكن اتجاهات الحرب في الصومال تبدد هذا المسعى وربما تحمل أنقرة إلى تورط بعيد المدى في الصومال.

ويقول مراقبون إن سياسة تركيا وضعتها في مواجهة نفوذ متعدد الوجوه سواء بالنسبة إلى الدول الكبرى أو دول عربية مثل مصر والسعودية، وهو ما خلق لها أزمات فعلية في ملفات كثيرة، وبينها ليبيا التي بات الجيش الوطني بقيادة المشير خليفة حفتر رقما محوريا فيها، خاصة أنه على أبواب استعادة العاصمة طرابلس من ميليشيات مرتبطة بأنقرة والدوحة.

ومن شأن سيطرة قوات خليفة حفتر على طرابلس الكشف عن ملفات الدعم الذي قدمته أنقرة للميليشيات المختلفة، وأن الأمر قد يخرج من باب الجدل السياسي إلى دائرة القضاء الدولي التي طالما لوح مسؤولون ليبيون معارضون للوجود التركي بالالتجاء إليه.

وأعلن الجيش الوطني الليبي عن بسط سيطرته على عدة مواقع جديدة في محاور القتال بالعاصمة طرابلس.

وقال مركز الإعلام الحربي في بيان نشر السبت، في صفحته على موقع فيسبوك إن "قواتنا تتقدم.. فيما تنسحب ميليشيات الوفاق وتتقهقر في جميع المحاور".

أردوغان يغلق أبواب السياحة أمام الخليجيين

❑ **أنقرة** – حملت الاتهامات التركية الموجهة إلى دولة الإمارات موجة غضب بين النشطاء الخليجيين على مواقع التواصل الاجتماعي وسط دعوات إلى مواطني دول الخليج للتوقف عن السفر إلى تركيا التي لم تعد آمنة.

وحثت شخصيات فكرية وثقافية ونشطاء دول الخليج على عدم السماح لمواطنيها بالتوجه إلى تركيا بأي شكل من أشكال الزيارة في ظل مخاوف جدية من أن يتم اعتقالهم تحت تهمة ضبابية مثل التجسس أو كونهم على صلة بقضية الصحافي السعودي جمال خاشقجي.

ولفت هؤلاء إلى أن تركيا باتت تنظر إلى الخليجيين كأعداء مفترضين، وهو ما يجعلهم عرضة للإيقاف والمساءلة فضلا عن المراقبة لمجرد كونهم خليجيين.

وخلق الهجوم الإعلامي، الذي قادته وسائل إعلام تركية في قضية خاشقجي ضد السعودية وقيادتها، حالة من الريبة والشك في دول الخليج تجاه تركيا، ما حدا بسياح هذه الدول إلى التوقف بشكل شبه تام عن زيارة المدن التركية.

كما أقدم الخليجيون، بأعداد كبيرة، على بيع ممتلكاتهم العقارية وسحب أموالهم من تركيا بعد الإساءة الممنهجة للرئيس التركي رجب طيب أردوغان ووسائل إعلامه ضد السعودية.

وأضاف البيان "تعزيزات عسكرية وصلت إلى مختلف المحاور من ألوية عسكرية وكتائب للجيش لحسم المعركة في أقرب وقت بعون الله".

وتابع "ميليشيات مصراتة تطلق طائراتها الحربية لاستهداف المدنيين في غريان ومزدة، وأن دفاعاتنا الأرضية لها بالمرصاد. وسلاحنا الجوي يترصد طائراتها لإسقاطها".

وسينعكس انحسار الدور التركي في ليبيا بشكل واضح على دور أنقرة في تونس، حيث تعيش حركة النهضة الإسلامية ذات الخلفية الإخوانية، وضعا صعبا بسبب مشاركتها في الحكومة وتحملها نصيبا كبيرا في الأزمة الاجتماعية والاقتصادية التي تعيشها البلاد، فيما تتسع دائرة الصراع السياسي والحزبي. كما تتسع دائرة الرفض بين النخب لمشروعها المجتمعي.

إعلام قطر وتركيا.. إعادة كتابة التاريخ بتزييف الحقائق

● البشير تحوّل إلى «رئيس مخلوع» والسعودية والإمارات مساندتين للنظام السابق وليس قطر وتركيا

❑ **الخرطوم** – غيّر الإعلام القطري والتركي موقفه جذريا من الرئيس السوداني عمر حسن البشير الذي أطاح به المجلس العسكري بعد انتفاضة شعبية استمرت لأسابيع، في خطوة تعكس صورة أخرى من صور التقلب في مواقف أنقرة والدوحة تجاه القضايا الإقليمية، ومحاولات القفز من المراكب قبل أن تغرق.

وباتت قناة الجزيرة القطرية ووكالة الأناضول الرسمية التركية وغيرهما من المؤسسات الإعلامية القطرية والتركية متحمّسة لمتابعة أخبار البشير واعتقاله والاتهامات الموجهة له ولآخرين من النظام باعتباره كان مقربا من السعودية والإمارات، وليس قطر وتركيا.

وتحاول وسائل الإعلام هذه إعادة كتابة التاريخ للظهور بمظهر الناقم على البشير في حين يعرف الجميع أنه جزء أساسي من المنظومة القطرية التركية الإخوانية وأن مناوراته في التقارب والتباعد مع السعودية والإمارات ما هي إلا جزء من ممارسته اللعب على الحبال، بضوء أخضر من الدوحة وأنقرة.

ولم تكن هذه هي الاستدارة الأولى في مواقف البلدين، اللذين تعددت خسائرهما في الملفات الإقليمية، فقد سبق أن فتحا الباب لأنشطة القاعدة وداعش في سوريا عبر التساهل مع شبكات التمويل والتسليح وغض البصر عن تدفق الآلاف من المقاتلين وفق خطة مرسومة مسبقا.

واضطر إعلام البلدين، لاحقا، إلى وصف التنظيمين بالإرهابيين أحيانا، مجاراة لموجة عالمية وضعتهما على القوائم السوداء، ما يهدد أي جهة تظهر دعمها أو حتى تعاطفها معهما بأن تكون ضمن هذا التصنيف.

وفجأة، صارت وسائل الإعلام التركية والقطرية تصف البشير بـ"الرئيس المخلوع"، مستعيدة خطاب الحراك الاجتماعي، الذي انتفض على حكم استمر ثلاثين عاما تحت قيادة جماعة الإخوان المسلمين المدعومة قطريا وتركيا، والتي كان رموزها وتجربتها مثار تغطية إعلامية وإشادات وحضور دائم في قناة الجزيرة.

وبعد أن كان قياديون بالاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ومقره الدوحة، يصفون تجربة إخوان السودان بكونها تجربة التمكين الأنجح، ويدعون لها بالتوفيق ويحثون على دعمها بالاستثمارات، انقلبوا فجأة عليها، وأعلن الاتحاد انحيازه للربيع السوداني، متهما البشير بالدكتاتورية ومحيطه بالفساد.

ولتمرير الانقلاب الجديد في موقفها ومفرداتها في وجه البشير صديق الأمس، عمدت الأناضول إلى إيراد مواقف لأشخاص مجهولين قالت إنهم مواطنون سودانيون، بهدف تزييف الحقائق واتهام الرياض وأبوظبي بأنهما "ظلتا على طول الخط تدعمان البشير وتحرصان على إرضائه وتتجاهلان صوت الشعب السوداني".

ونقلت على لسان مواطن سوداني مجهول الهوية، أن "الدولتين لم تفكرا أبدا في الوقوف مع الشعب السوداني إبان ثورته، ولم تحاولا حتى دعوة البشير إلى التوقف عن قمع الشارع السوداني وقتل مواطنيه، بل ساعدتا الرئيس المخلوع حتى يتماسك ويصمد أمام الثورة".

واعتبرت أن إعلان كلّ من السعودية والإمارات "مباركتهما للمجلس العسكري محاولة لإعادة إنتاج النظام السابق، من أجل ضمان استمرار الأدوار والخدمات التي كان يقدمها لهما".

وخلال سنوات حكمه، فتح الرئيس السوداني الذي تمت الإطاحة به تحت ضغط الشارع، أبواب البلاد أمام أنشطة قطر وتركيا ومنحهما امتيازات كثيرة خاصة في التمركز على البحر الأحمر.

ويعتقد متابعون للشأن السوداني أن الاستدارة التركية القطرية ضد البشير وتجربة حكمه، لا تستطيع أن تغير من موقف الشارع السوداني الذي خبر طيلة ثلاثين سنة هوية البشير وداعميه في الداخل والخارج، خاصة أنه جعل من السودان فضاء ملائما للتآمر على دول الجوار ودول عربية وإسلامية عدة باستضافته لمطاردين في بلدانهم سواء من إخوان مصر أو تونس، فضلا عن تنظيم القاعدة وعلى رأسه أسامة بن لادن.

زيارة غير عادية للسعودية

خيرالله خيرالله

» ص6

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

الفشل يخيم على المشاورات المرتقبة للحكومة الانتقالية في الجزائر

توقعات برفع الحصانة البرلمانية عن ولد عباس وسعيد بركات بسبب الفساد

مع عودة المئات من الآلاف من المحتجين إلى شوارع الجزائر للمطالبة بإصلاح جذري شامل يتجاوز استقالة الرئيس السابق عبدالعزيز بوتفليقة، ومع غرق الأحزاب الموالية للحكومة المؤقتة في صراعات داخلية وتصفية حسابات، يستبعد مراقبون نجاح المشاورات السياسية المرتقبة التي يشرف عليها الرئيس المؤقت عبدالقادر بن صالح، فيما تتعالى الأصوات الداعية إلى رحيله.

صابر بليدي

❑ **الجزائر** – تخيم أجواء الفشل على المشاورات السياسية المرتقبة التي أطلقها الرئيس الجزائري المؤقت عبدالقادر بن صالح، مع العشرات من الشخصيات الحزبية والمستقلة والناشطين السياسيين، لبلورة خارطة طريق جديدة، تحوي مطالب الحراك الشعبي.

ويستبعد متابعون نجاح المشاورات نتيجة المقاطعة العريضة لها من طرف الفاعلين السياسيين في المشهد السياسي، ومع استمرار الشارع في الضغط الميداني عبر المسيرات والاحتجاجات للمطالبة بتغيير ديمقراطي شامل.

وأعلنت العديد من القوى السياسية، مقاطعتها لدعوات المشاركة في المشاورات السياسية المزمع عقدها الاثنين في العاصمة الجزائرية، بحضور الرئيس المؤقت. وأجمعت على أنها محاولة لتجاهل الواقع وتجاوز المطالب الصريحة للحراك الشعبي.

> مصادر متابعة تحدثت عن توقيف تحفظي لولد عباس من طرف المصالح الأمنية، في انتظار رفع الحصانة البرلمانية، لمباشرة التحقيق معه في قضايا فساد يرجح أنها تتصل برشاوى

وانضم حزب طلائع الحريات المعارض إلى لائحة العشرات من القوى الحزبية والشخصيات المستقلة الرافضة للمشاركة في المشاورات. من جهته نفى رئيس الحكومة الأسبق أحمد بن بيتور، أن يكون قد تلقى دعوة للمشاركة من طرف الرئاسة، واعتبر أن مسار السلطة الحالي امتداد للعهدة الخامسة للرئيس السابق عبدالعزيز بوتفليقة.

وتسود حالة ارتباك كبيرة داخل الأحزاب السياسية الموالية للسلطة أو المقربة منها، فقد قدم العشرات من المناضلين والقياديين استقالتهم من حزب جبهة المستقبل، بمجرد تلبية رئيسها عبدالعزيز بلعيد، لدعوة الرئيس المؤقت ولقائه معه في قصر الرئاسة، في حين تفاقمت الصراعات داخل حزبي جبهة التحرير الوطني والتجمع الوطني الديمقراطي.

وفيما تشتد القبضة الحديدية بين جناحي المنسق العام معاذ بوشارب، والموالين للأمين العام السابق جمال ولد عباس، يرتقب متابعون المزيد من التصعيد داخل جبهة التحرير الوطني، بسبب الإفرازات المنتظرة خلال الأيام القليلة المقبلة، بعد عقد الدورة الاستثنائية لهيئة اللجنة المركزية، ورفع الغطاء النيابي عن جمال ولد عباس.

ويعقد نواب مجلس الأمة (الغرفة الثانية للبرلمان)، الأحد، جلسة طارئة بطلب من جهاز القضاء، لرفع الحصانة البرلمانية عن النائبين المعينين في الثلث الرئاسي جمال ولد عباس وسعيد بركات، من أجل مباشرة تحقيقات في ملفات فساد توجه أصابع الاتهام فيها للرجلين.

وينتظر أن تخلط هذه الخطوة أوراق المراهنين من الموالين لولد عباس، من أجل عقد دورة استثنائية للجنة المركزية للحزب في بحر الأسبوع الداخل، لسحب البساط من تحت المنسق العام معاذ بوشارب، وانتخاب أمين عام جديد، حيث كان الرجل يطمح للعودة إلى هرم الحزب، لكن تحقيقات الفساد ستطيح به.

وتحدثت مصادر متابعة عن توقيف تحفظي لولد عباس، من طرف المصالح الأمنية المختصة، في انتظار رفع الحصانة البرلمانية لمباشرة التحقيق معه في قضايا فساد يرجح أنها تتصل برشاوى قبضها خلال عملية إعداد قوائم الحزب في الانتخابات التشريعية التي جرت العام 2017.

وسبق للقيادي سعيد بركات أن شكل عدة حقائب وزراية في حكومات الرئيس السابق عبدالعزيز بوتفليقة، وارتبط تواجده بالمبالغ الضخمة التي ضختها السلطة للقطاع الزراعي الذي كان يديره لعدة سنوات، وأثيرت حوله شبهات كثيرة حول تسيير الأموال العمومية الموجهة لدعم الفلاحين والمزارعين.

وتسرب من محيط الحكومة الانتقالية، أن المشاورات السياسية المزمع عقدها الاثنين، ينتظر أن تطرح خارطة طريق جديدة، تقوم على إلغاء موعد الانتخابات الرئاسية المنتظر في الرابع من يوليو القادم، وتشكيل هيئة مستقلة تضطلع باستخلاف رموز الحكومة الانتقالية وعلى رأسهم الرئيس المؤقت عبدالقادر بن صالح ونورالدين بدوي، والذهاب إلى تنظيم انتخابات رئاسية في موعد لاحق.

ويسود انطباع واسع لدى الطبقة السياسية والحراك الشعبي، بأن الانتخابات الرئاسية المعلن عنها من طرف الرئيس المؤقت باتت في حكم الملغى بفعل الإكراهات السياسية والتقنية، فهي علاوة على رفضها من طرف الشارع، تفتقد للأرضية اللوجستية والإمكانيات البشرية اللازمة.

وكان نادي القضاة الأحرار (تنظيم نقابي مستقل)، قد أعلن رفضه تأطير الانتخابات الرئاسية، بدعوى تنافيها مع مطالب الحراك الشعبي، كما قرر العشرات من رؤساء البلديات والمنتخبين المحليين في العديد من المحافظات القيام بعملية المراجعة الاستثنائية للوائح الناخبين، وهو ما شكل فشلا مبكرا لمقترح عبدالقادر بن صالح.

وجددت المليونية التاسعة مطالب الشارع من أجل رحيل السلطة، ومحاكمة رموز الفساد في البلاد، وحملت شعارات وهتافات المسيرات الشعبية صور وأسماء عبدالقادر بن صالح ونورالدين بدوي، والعديد من الرموز السابقة، كأحمد أويحيى والمدير السابق لجهاز الاستخبارات المنحل الجنرال محمد مدين (توفيق).. وغيرهم.

ونظم السبت، قياديون ومناضلون من حزب التجمع الوطني الديمقراطي، وقفة احتجاجية أمام مقر الحزب في ضاحية بن عكنون بالعاصمة، دعت الرجل الأول أحمد أويحيى إلى الرحيل من قيادة الحزب.

وقاد الوقفة الاحتجاجية الناطق باسم الحزب، الصديق شهاب، ووزير الشباب الأسبق بلقاسم ملاح، الذي نافس أويحي عام 2013 على منصب أمين عام الحزب.

الكلمة الفصل للشعب

وفي تصريح للصحافيين، اتهم شهاب، أويحي، بخدمة الدائرة المحيطة بالرئيس المستقيل بوتفليقة، وبجعل الحزب "رهينة للقوى غير الدستورية". و"القوى غير الدستوري"، هي تسمية أطلقت على الدائرة القريبة من بوتفليقة بقيادة شقيقه السعيد، وغالبيتها من رجال أعمال اتهموا بالسيطرة على مقاليد الحكم وصناعة القرار.

وفي وقت لاحق، أصدر أويحيى بيانا وصف فيه الوقفة الاحتجاجية بـ"التصرف الهمجي"، واتهم شهاب "بحشد مجموعة مأجورة لا تتعدى 50 شخصا من الغرباء عن الحزب".

وتقلد أويحي منصب أمين عام التجمع الوطني الديمقراطي منذ عام 1999 (سنة قدوم بوتفليقة للحكم)، إلى غاية 2013، حيث خلفه الرئيس المؤقت للدولة حاليا عبدالقادر بن صالح. وبنهاية 2013 عاد أويحي لقيادة الحزب مجددا حتى اليوم.

تحالف المستقلين يهدد نفوذ الأحزاب في تونس

❑ **تونس** – يستعد المستقلون، الذين أحدث فوزهم بأغلبية المقاعد في أول انتخابات محلية شهدتها تونس منذ ثورة يناير 2011 مفاجأة لدى الرأي العام المحلي والدولي، للمنافسة على الانتخابات التشريعية والرئاسية المرتقبة أواخر العام الجاري.

وأعلن الناشط السياسي معز البوراوي، الجمعة، عن تأسيس الاتحاد للمستقلين يهدف إلى لمّ شمل كل المبادرات المستقلة الظاهرة على الساحة حتى تتحد في تنسيقية وطنية واحدة لخوض انتخابات 2019.

ويضم الاتحاد خبراء وشخصيات مستقلة وجمعيات ونشطاء من المجتمع المدني، كما يتكوّن من 6 مبادرات هي "فكرة"، "قادرون"، "نجمة تونس"، "تونس العزيزة"، "يحيا الشعب" و"التنسيقية الوطنية للمرأة التونسية".

ويستفيد المستقلون من مزاج شعبي لم يعد يثق في نخبه السياسية الحاكمة أمام حالة احتقان سياسي وتدن غير مسبوق للخطاب داخل الأحزاب، ما يجعل التونسيين أمام خيارات محدودة أفضلها اللجوء إلى بدائل أخرى وأسوأها مقاطعة الانتخابات القادمة. وتابع البوراوي لـ"العرب" أن "تراجع الثقة الشعبية في الأحزاب الحاكمة وراء تأسيسنا هذا الاتحاد كدليل فعلي للتونسيين".

ويشير مراقبون إلى أن نجاح المستقلين في الانتخابات البلدية يحفزهم على تكرار التجربة في الانتخابات التشريعية والرئاسية.

ولا ينفي البوراوي ذلك، ويقول "كانت النتائج لصالحنا في الانتخابات الأخيرة لأن المستقلين هم مواطنون ناشطون في الشأن السياسي والعام لكن خارج الماكينات الحزبية ولذلك تصدرنا النتائج".

وحصلت القوائم المستقلة المشاركة في الانتخابات على 2373 مقعدا تليها حركة النهضة مع 2139 مقعدا وبعدها حزب الرئيس التونسي الباجي قائد السبسي "نداء تونس" بـ1600 مقعد، ثم الجبهة الشعبية بـ261 مقعدا.

وأوضح البوراوي أنه انطلاقا من الأحد تبدأ الحملات الميدانية لاتحاد المستقلين داخل المدن التونسية للتعريف به كاتحاد يعمل خارج الأحزاب، مشيرا إلى أن الأبواب مفتوحة للجميع للانضمام إليه كما أن المشاورات متواصلة مع بقية المبادرات للالتحاق به.

ويشارك تيار "قادرون" الذي يضم ائتلافا واسعا من السياسيين المعروفين في اتحاد المستقلين. ويقول مؤسسو الائتلاف إن الهدف من المبادرة إيجاد توازن في البلاد أمام هيمنة حزب حركة النهضة الإسلامية على الحكم.

ويستمد المستقلون ثقتهم للمشاركة في الانتخابات انطلاقا من نجاحهم في السباق المحلي الأخير، بعد أن افتكت القوائم المستقلة في آخر انتخابات محلية في تونس النصيب الأوفر من المقاعد. ويشير البوراوي إلى أن "نتائج سبر الآراء تظهر تفوق المستقلين على الأحزاب السياسية لكنها نتائج لا تنشر للعموم".

ويعتقد المستقلون أن حظوظهم وافرة في الفوز في الانتخابات المقبلة مقارنة بالأحزاب الحاكمة المتهمة بالفشل في إدارة الأزمة الاقتصادية والاجتماعية الخانقة التي تمر بها تونس، ما يسمح لهم بالترويج لمشروعهم كبديل جديد للتونسيين.

لكن مراقبين يشككون في قدرة المستقلين على إحراز نجاح انتخابي جديد واستقطاب الشارع اليائس من نخبه السياسية، والذي لم تعد تغريه الوعود الانتخابية. وقد شهدت الانتخابات البلدية عزوفا واضحا للناخبين خصوصا من فئة الشباب، حيث بلغت النسبة النهائية للمشاركة 35.6 في المئة من أصل 5.3 مليون ناخب مسجل في بلد يبلغ عدد سكانه 11.4 مليونا. ويتوقع مراقبون أن يتكرر العزوف في الانتخابات القادمة في ظل استمرار الاحتقان الاجتماعي تنديدا بالغلاء والأوضاع المعيشية الصعبة.

ويشير المحلل السياسي فتحي زغل لـ"العرب" إلى أن "الانتخابات القادمة سوف تكون بحسابات أخرى فالتشريعيات فيها قوانين وعرف يختلف عن المحليات. ويشرح بقوله "أهم تلك الاختلافات أن المستقل يمكن أن يكون معروفا في حدوده الضيقة في مكان سكناه فلا يجد صعوبة في تقديم نفسه وبرنامجه في حيّه، لكنه يواجه صعوبات الانتشار في التشريعات لأن الدائرة الانتخابية تكون أوسع جغرافيا".

ومع ذلك وبالنظر إلى تواصل الانتقاد الشعبي لأداء السياسيين الذين تداولوا على المناصب القيادية السنوات الأخيرة لا يستبعد زغل أن يحدث المستقلون مفاجأة جديدة سواء عبر قوائمهم الخاصة أو في القوائم الحزبية التي سيتزعمونها.

هل يتفوق المستقلون على المتحزبين

السبسي يبحث مع وفد أميركي الوضع في ليبيا

❑ **تونس** – بحث الرئيس التونسي الباجي قائد السبسي مع وفد من الكونغرس الأميركي، تطورات الأوضاع في ليبيا. وقالت الرئاسة التونسية في بيان، السبت، إن السبسي استقبل وفدا من الكونغرس في قصر قرطاج بالعاصمة يتقدمه رئيس اللجنة القضائية السيناتور ليندسي غراهام، بحضور وزير الخارجية خميس الجهيناوي.

وأوضح السبسي أن "بلاده تتابع باهتمام بالغ المستجدات الأخيرة وتداعياتها على الشعب الليبي، وعلى استقرار تونس ودول الجوار والمنطقة عموما". وأبرز "سعي تونس الدائم لحث الأشقاء الليبيين على تغليب المصلحة الوطنية العليا ومواصلة الحوار برعاية الأمم المتحدة، من أجل التوصل إلى تسوية سياسية شاملة ودائمة تضمن وحدة ليبيا واستقرارها".

وفي بداية أبريل الجاري، أطلق المشير خليفة حفتر عملية عسكرية تهدف إلى تخليص البلاد من سطوة الميليشيات. وقالت شعبة الإعلام الحربي، السبت، إن "ميليشيات مصراتة تطلق طائراتها الحربية لاستهداف المدنيين في غريان ومزدة في محاولة لمنع تقدم الجيش إلى وسط العاصمة"، مشيرة إلى أن الدفاعات الأرضية للجيش الليبي "لها بالمرصاد".

وتزامنا مع تقدم الجيش الليبي أعلنت واشنطن دعمها للعملية التي أطلقها حفتر نحو طرابلس من خلال اتصال هاتفي بين الرئيس الأميركي دونالد ترامب والمشير خليفة حفتر الجمعة، والذي أقر من خلاله الرئيس الأميركي بالدور الجوهري لحفتر في مكافحة الإرهاب وتأمين موارد ليبيا النفطية.

وأفادت الخارجية التونسية، الجمعة، بأن العمل جار لتحضير اجتماع يضم وزراء خارجية تونس والجزائر ومصر، لتنسيق الجهود بهدف إنهاء حالة التوتر في ليبيا واستئناف المباحثات السياسية.

من جانبه أكد وفد الكونغرس أن "الزيارة (لم تحدد مدتها) تهدف إلى تأكيد الاهتمام الكبير الذي توليه بلاده لنجاح التجربة الديمقراطية الرائدة في تونس، منوها بعمق علاقات الصداقة بين تونس والولايات المتحدة.

هواجس التغيير تزيد فرص الموافقة على التعديلات الدستورية في مصر

نسبة المشاركة أهم من نتيجة الاستفتاء في إظهار توجهات الشارع المصري

ترجح المؤشرات الأولية أن نتيجة الاستفتاء على التعديلات الدستورية في مصر ستكون لصالح تمريرها، إذ يقول المتابعون إن النسبة الأكبر من المشاركين في الاستفتاء من الفئات التي ترى في استمرار الرئيس عبدالفتاح السيسي في الحكم بمثابة ضمان للاستقرار وفرصة لتحسن الأوضاع. واعتبر مراقبون أن حملة المقاطعة أثرت على نسبة الإقبال، لكن الشباب الذي زادت نسبة مشاركته يرى الكثير منهم أنه من الضروري التصويت بـ"لا" على التعديلات من أجل ضمان الديمقراطية والتداول السلمي على السلطة.

أحمد جمال
صحافي مصري

❑ **القاهرة** – بدأ الناخبون المصريون في الداخل، السبت، الإدلاء بأصواتهم في الاستفتاء على التعديلات الدستورية، التي تذهب كل المؤشرات إلى اعتبار أن النتيجة النهائية ستكون بـ"نعم"، لأن تمرير التعديلات لا يحتاج سوى موافقة الأغلبية المطلقة من جملة الأصوات الصحيحة، ولا يتطلب نصابا معينا مثل الانتخابات الرئاسية والتشريعية.

وأحيطت لجان الاستفتاء بتواجد أمني مكثف من عناصر الجيش والشرطة لطمأنة الناخبين، وتمت مضاعفة التأمين في مناطق التوتر التي من المعروف أنها حاضنة للفكر الإخواني المتطرف، فيما تحولت أكثر الشوارع والميادين إلى ما يشبه سرادقات أفراح، وانتشرت سيارات تحمل مكبرات الصوت وتبث الأغاني لحث المواطنين على المشاركة ونقلهم في سيارات مجانية.

> البعض من المراقبين يرون أن حضور الشباب في الاستفتاء على الدستور يعكس زيادة الوعي لدى هذه الفئة ذات الأغلبية في التركيبة السكانية في مصر، لأنها وجدت أن تكرار خيار المقاطعة يصب في صالح الحكومة

بدا واضحا غياب مشاهد الطوابير الطويلة أمام اللجان، ما فسره معارضون بأن الغالبية اختارت المقاطعة. في حين قال قاض يشرف على الاستفتاء بمحافظة البحيرة (شمال القاهرة)، في اتصال هاتفي مع "العرب"، إن قرار الهيئة الوطنية للانتخابات بتخصيص قاض لكل صندوق، سرّع وتيرة التصويت.

واختلفت المناطق الحضرية عن الريفية والشعبية، في معدلات التصويت خلال اليوم الأول للاستفتاء، الذي يستمر حتى الاثنين، إذ ظهرت بعض لجان المدن شبه خالية في أوقات كثيرة، بعكس نظيرتها في الريف، وقام رجال في كبار العائلات وعمداء القرى ونواب البرلمان ورجال أعمال بتقديم إغراءات تحث البسطاء على المشاركة، فيما نقلت شركات ومصانع من القطاع الخاص موظفيها إلى لجان الاستفتاء عبر سياراتها.

وقال معارضون للتعديلات، إنهم رصدوا توزيع سلع غذائية في أماكن قريبة من مراكز الاقتراع على البعض من البسطاء فور انتهائهم من التصويت، بذريعة أنها تخص مساعدات شهر رمضان، كنوع من التحفيز للفقراء وحثهم على المشاركة في الاستفتاء.

وحسب ما رصدت "العرب"، فإن هناك دوافع دينية وسياسية واقتصادية، كانت المحرك الرئيسي لأكثر الفئات التي شاركت في اليوم الأول للاستفتاء، فمثلا، هناك من نزل فقط للتصويت لتعديل الدستور لأنه أصبح يلزم القوات المسلحة بالحفاظ على مدنية الدولة، وبالتالي لا مجال مستقبلا إلى عودة أي حكم إسلامي.

وأظهر الحضور الجماهيري أمام البعض من اللجان، أن النسبة الأكبر من المشاركين في الاستفتاء من النساء وكبار السن، وهؤلاء اعتادوا الذهاب إلى مراكز الاقتراع، وتحديدا منذ 30 يونيو 2013، لأن وجود الرئيس عبدالفتاح السيسي في الحكم يعني بالنسبة لهم الأمان والاستقرار، والوقوف في طوابير الاقتراع يجنبهم الوقوف في طوابير اللاجئين.

وقال عبدالحميد زيد، أستاذ علم الاجتماع السياسي بجامعة الفيوم (جنوب غرب القاهرة)، إن زيادة أعداد الناخبين الأكبر سنا يرجع إلى رغبة هؤلاء في الاستقرار والابتعاد عن الفوضى التي عاشتها البلاد في السنوات الماضية، كما أثرت وسائل الإعلام خلال الفترة الماضية على البعض من النساء اللائي يسهل جذبهن باستخدام أساليب الترغيب والترهيب.

وساعدت قرارات السيسي نهاية مارس الماضي، بزيادة المرتبات والمنح الحكومية لأصحاب المعاشات والأسر المعيلة والمطلقات والأرامل، في أن يتصدر العنصر النسائي وكبار السن مشهد الاستفتاء، كنوع من رد الجميل، فهناك 2.2 مليون امرأة وأسرتها مستفيدة من مشروع "تكافل وكرامة" الاجتماعي، وتحصل على دعم مادي شهريا، ونحو 9 ملايين متقاعد جنوا مكاسب من وراء زيادة أقرها السيسي الشهر الماضي. وأضاف زيد، لـ"العرب"، أن المساعدات المالية التي قدمتها الحكومة للفئات العاملة بالقطاع الحكومي وأصحاب المعاشات والأسر الفقيرة، حاسمة في زيادة نسبة المشاركة، لأن هذه الطبقة من المجتمع أصبحت تدرك أن استمرار المشروعات التي تحسن مستواها المعيشي تحتاج استقرارا لها مسؤولية عنه.

وأصبح لدى هذه الفئات شعورا بأن الحصول على المزايا الحكومية الممنوحة لها مرتبط بمساندتها والوقوف خلفها والاستجابة لنداءات المشاركة بكثافة، بغض النظر عن موافقتها من عدمه، على ما تنتهي إليه نتائج الاقتراع.

ويتناقض المصير المشترك بين الحكومة وبعض الشرائح الاجتماعية مع مبررات الكثير من الشباب الذين تحدثت معهم "العرب"، أمام بعض لجان الاستفتاء، إذ لا يحتاج الأمر إلى سؤالهم عن دوافع المشاركة، حيث تظهر ملامح وجوههم رافضة للتعديلات أكثر ما تُخفي.

دوافع المشاركة كثيرة

ويرى مراقبون أن حضور الشباب في الاستفتاء، يعكس زيادة الوعي لدى هذه الفئة ذات الأغلبية في التركيبة السكانية في مصر، لأنها وجدت أن تكرار خيار المقاطعة يصب في صالح الحكومة.

وأظهرت نقاشات شبابية في محيط اللجان قدرة هذه الفئة على قراءة المشهد السياسي مستقبلا، ودار حوار بين مجموعة من الشباب حول ضرورة المشاركة والتصويت بـ"لا"، لأن "الشباب خارج حسابات الحكومة، وبالتالي فإن رفض التعديلات فرصة لإظهار الغضب ضد الحكومة، حتى لو كان التغيير على المدى الطويل، ويكفي أن تفهم السلطة وجود ملايين من الأصوات بإمكانها أن تقول لا".

وقال سعيد حمدي، شاب ثلاثيني، من أمام لجنة بحي المطرية شمال القاهرة، لـ"العرب"، إنه اتفق مع بعض أصدقائه وجيرانه على التصويت بـ"لا"، ومبررات الرفض كثيرة لديه، ويكفي ذكر ارتفاع معدلات البطالة وتأخر سن الزواج والطلاق وارتفاع الأسعار بشكل جنوني، وخفض الدعم، وإبعاد الشباب عن السياسة والتضييق على منتقدي الحكومة. وكان سعيد يتحدث بصوت خافت، خشية أن يسمعه رجال الشرطة الذين يقفون أمام مركز الاقتراع. وما أثار غضبه هو وأصدقاءه أنهم شاركوا في ثورة 25 يناير 2011، ضد نظام حسني مبارك الذي استمر 30 عاما، ويشعرون حاليا بأن مطلبهم بتداول سلمي على السلطة من دروب الخيال، في حال انتهت نتيجة الاستفتاء بالموافقة على التعديلات.

وتسمح المواد المستفتى عليها ببقاء الرئيس السيسي في السلطة إلى عام 2030، مع زيادة فترة رئاسته الحالية للبلاد، والتي بدأت في يونيو الماضي، عامين إضافيين، بحيث تنتهي عام 2024، بدلا من 2022، بعد زيادة فترة الرئاسة إلى ست سنوات.

وأوضح خالد حسين، شاب أربعيني، "الثورات قد تكون خرابا للبعض، لكنها حتمية عندما تغلق كل الطرق السلمية للتغيير، ونحن نرى أن التعديلات تقتل فرص التغيير السلمي وتجعل من الثورة خيارا وحيدا لنيل ذلك".

ورأى زيد أن غضب الشباب المتصاعد وسعيهم لتوصيل رسائل الرفض شبه الجماعي لتغيير واقع الحكم في مصر، تشيران إلى أن العلاقة بين الحكومة والفئات الشبابية قد تأخذ منحى تصاعديا في المستقبل.

التحالف العربي يدمر مخزن طائرات دون طيار تابع للحوثيين

❑ **الرياض** – شن التحالف العربي لدعم الشرعية في اليمن بقيادة السعوديّة غارة فجر السبت استهدفت "كهفا لتخزين الطائرات بدون طيار" التابعة للمتمردين الحوثيين، في أحد معسكرات الحرس الجمهوري بدار الرئاسة في العاصمة اليمنية صنعاء.

وقال المتحدث باسم قوات التحالف العربي العقيد الركن تركي المالكي، في بيان نشرته وكالة الأنباء السعودية، إن التحالف قام بـ"تدمير هدف عسكري مشروع، عبارة عن كهف تستخدمه الميليشيا الحوثية الإرهابية لتخزين الطائرات دون طيار لغرض تنفيذ العمليات الإرهابية".

وبحسب البيان فإن الهدف يقع في أحد معسكرات الحرس الجمهوري سابقاً في محيط دار الرئاسة.

وأكد التحالف أن العملية امتداد لعمليات سابقة تنفذها قوات التحالف العربي لدعم الشرعية منذ يناير الماضي "لاستهداف وتدمير الشبكة الخاصة بالقدرات والمرافق اللوجستية للطائرات بدون طيار التابعة للميليشيا الحوثية المدعومة من إيران وكذلك أماكن وجود الخبراء الأجانب".

من جانبه، قال المتحدث باسم الجيش اليمني، العميد عبده مجلي، في تصريحات نقلتها "قناة العربية الحدث" السبت، إن ميليشيات الحوثي دفعت، خلال الأيام الماضية، بالعشرات من المقاتلين الأفارقة للقتال في صفوفها بمحافظة الحديدة غربي البلاد.

وقال العميد مجلي إن الميليشيات تسعى من خلال إدخال المقاتلين الأفارقة إلى تكثيف تعزيزاتها العسكرية للقيام بأعمال قتالية ضد المدنيين وللانقضاض على مواقع الجيش الوطني، فضلا عن إعادة تموضعها على الأرض، مشيرا إلى أن الجيش الوطني رصد موقعين سريين داخل مناطق سكنية لتصنيع وتجميع الطائرات دون طيار.

وشدد العقيد المالكي على التزام قيادة القوات المشتركة للتحالف بمنع وصول واستخدام الميليشيا الحوثية "وكذلك التنظيمات الإرهابية الأخرى لمثل هذه القدرات النوعية، واتخاذ كافة الإجراءات الكفيلة بحماية المدنيين والمناطق الحيوية من تهديد وخطر العمليات الإرهابية للطائرات دون طيار وبما يتوافق مع القانون الدولي الإنساني وقواعده العرفية".

وأوضح أن عملية الاستهداف تتوافق مع القانون الدولي الإنساني وقواعده العرفية، وأن قيادة القوات المشتركة للتحالف اتخذت كافة الإجراءات الوقائية والتدابير اللازمة لحماية المدنيين وتجنيبهم للأضرار الجانبية خارج محيط المعسكر.

وأشار إلى أن حرص قوات التحالف العربي لدعم الشرعية على حماية المدنيين يقابله استخدام الميليشيا الحوثية المعسكرات القريبة من الأحياء السكنية وكذلك الأحياء السكنية والمرافق المدنية كمناطق عسكرية لورش التصنيع.

وأوضح العقيد المالكي أن ورش التصنيع التابعة للجماعة الحوثية تشمل: ورش تجميع وتركيب الصواريخ الباليستية وتركيب وتفخيخ الطائرات بدون طيار وصناعة الألغام والعبوات المبتكرة، بالإضافة إلى تخزين الأسلحة بأنواعها، مبينا أن المتمردين يحاولون من خلال ذلك استخدام المدنيين كدروع بشرية في انتهاك واضح وصريح للقانون الدولي الإنساني وقواعده العرفية.

وشن المتمردون الحوثيون هجوما في يناير الماضي بطائرة دون طيار استهدف عرضا عسكريا في قاعدة العند الجوية اليمنية، أكبر قاعدة في البلاد ما أدى إلى مقتل رئيس الاستخبارات العسكرية في القوات اليمنية الموالية للحكومة ونائب رئيس هيئة الأركان اليمني.

ويشهد اليمن، أفقر دول شبه الجزيرة العربية، حربا منذ 2014 بين المتمردين الحوثيين المدعومين من إيران والقوات الموالية للرئيس المعترف به عبدربه منصور هادي تصاعدت في مارس 2015.

> العملية امتداد لعمليات سابقة تنفذها قوات التحالف العربي لدعم الشرعية منذ يناير الماضي لاستهداف وتدمير الشبكة الخاصة بالقدرات والمرافق اللوجستية للطائرات دون طيار التابعة للميليشيا الحوثية

نعمل وفق القانون الدولي والإنساني

والخميس، حذرت منظمة "أوكسفام" غير الحكومية من "مغبة عودة ارتفاع ما هو بالفعل أسوأ تفشٍ للكوليرا بالعالم" في اليمن، مشيرة إلى أنه يُشتبه في إصابة نحو 195 ألف شخص بهذا المرض هذا العام.

وذكرت أوكسفام أنه في الأسبوعين الأخيرين من مارس الماضي، "تم الإبلاغ عن ما يقرب من 2500 حالة مشتبه بها يوميا، وذلك يعد ارتفاعا ملحوظا عن الحالات المبلغ عنها في فبراير هذا العام والتي وصلت إلى ألف حالة يوميا".

وبحسب البيان فإن هذا يزيد "بأكثر من عشرة أضعاف عن عدد الحالات المبلغ عنها والوفيات المرتبطة بها خلال نفس الفترة من عام 2018". وقالت المنظمة إن الوباء قتل أكثر من ثلاثة آلاف شخص مُنذ بدء تفشي المرض عام 2016.

وتسبب النزاع بأسوأ أزمة إنسانية في العالم بحسب الأمم المتحدة، التي قالت إن أكثر من 24 مليون شخص ما زالوا يحتاجون إلى مساعدة إنسانية، أي أكثر من 80 بالمئة من السكان.

وأوقعت الحرب حوالي 10 آلاف قتيل وأكثر من 56 ألف جريح، بحسب منظمة الصحة العالمية. ويعتبر مسؤولون في المجال الإنساني أن الحصيلة الفعلية أعلى بكثير.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977
أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 8846 9520

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

سودان جديد دون عسكر وإسلاميين

تحديات عميقة تعرقل عملية نقل السلطة سريعا إلى حكومة مدنية كاملة

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

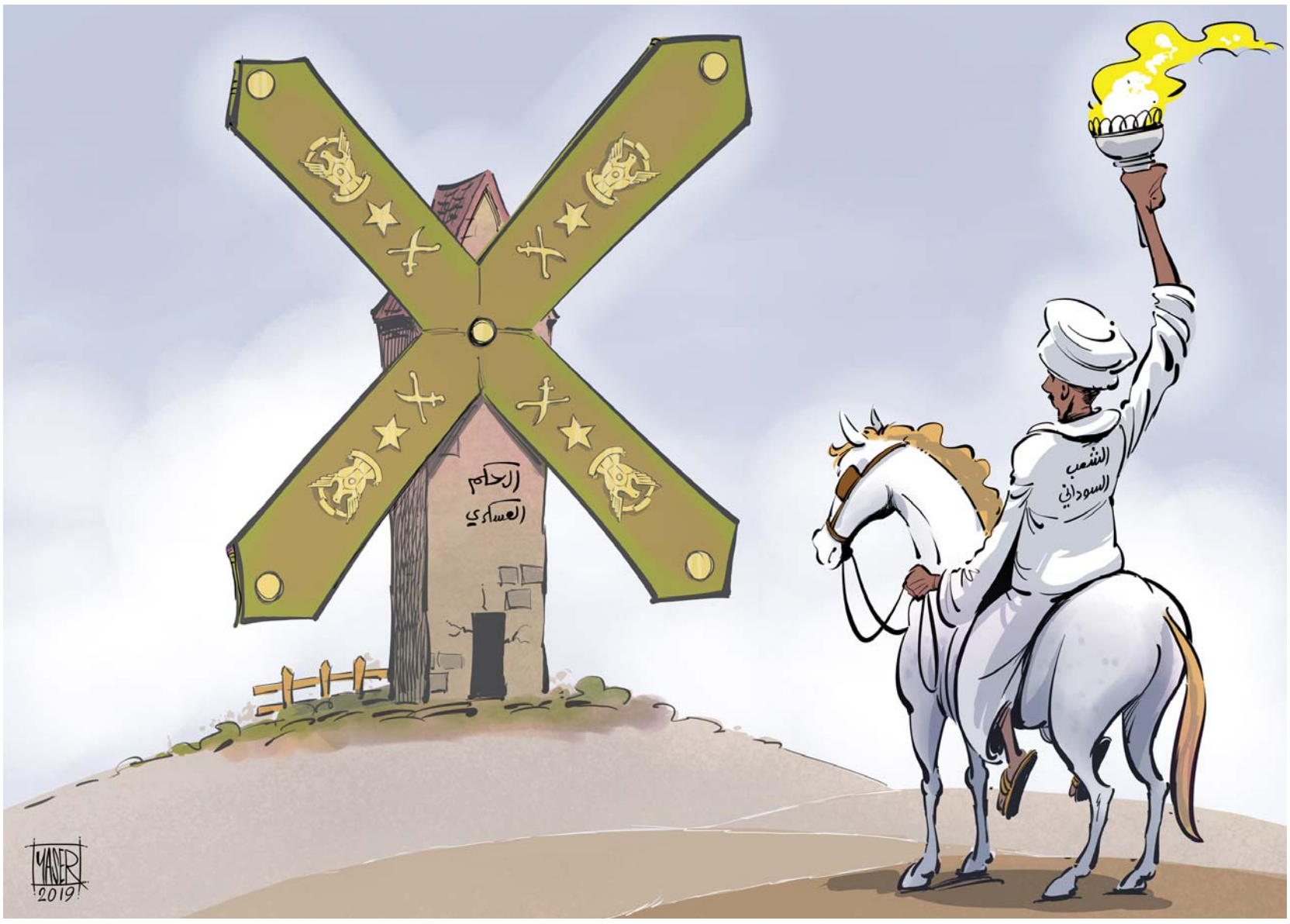

❏ قطع المجلس العسكري الانتقالي في السودان شوطا في التخلص من رموز نظام الرئيس عمر حسن البشير منذ عزله في 11 أبريل، ونجح في الحصول على قدر من ثقة المتظاهرين، وأبدى مرونة في التجاوب مع الكثير من مطالب تجمع المهنيين، وتحالف قوى الحرية والتغيير، والوعد بتشكيل حكومة مدنية للتخلص من ميراث النظام السابق ووضع البلاد على طريق السودان الجديد.

ظل الراحل جون قرنق، زعيم الحركة الشعبية لتحرير السودان يحلم بمشروع يحافظ على وحدة البلاد واستقرارها دون تمييز بين شمال وجنوب، أطلق عليه "السودان الجديد"، لكن نظام الخرطوم الذي كان يعبر عن أهداف إسلاموية فضل التضحية بالجنوب وقبل بحق تقرير المصير عام 2005 ثم الانفصال عام 2011، على أمل المحافظة على ما تبقى من السودان تحت هيمنته المزدوجة.

لجأ البشير إلى تقريب المسافات بين الحركة الإسلامية والمؤسسة العسكرية، ما منح الثانية أبعادا عقائدية لم تعرفها من قبل، وظهرت الكثير من الميول الدينية لدى قيادات كبيرة في الجيش السوداني، وتسبب هذا الاتجاه في إحكام السيطرة على الدولة، سياسيا وأمنيا، ولم تملك المعارضة القدرة على فصل العلاقة بين الجانبين.

تستغل المعارضة السودانية الآن فرصة تولي المجلس الانتقالي الحكم، عقب عزل البشير وعدد من القيادات السياسية والعسكرية والحزبية لمحاولة تأسيس نواة لسودان يخلو من ميول إسلامية في سدة الحكم ويبتعد فيه الجيش عن السياسة وتقتصر أداوره على المهام الأمنية، وهو ما يواجه بتحديات كبيرة على الأرض، فقد أمضى النظام السابق 30 عاما في السلطة، وهي فترة كفيلة بإحداث تغيير عميق في هياكل الدولة.

يتعامل الفريق أول ركن عبدالفتاح البرهان، رئيس المجلس العسكري الانتقالي، بحذر مع مطلب تجفيف منابع بقايا البشير في الجيش وإبعاد القيادات ذات الولاءات الإسلاموية، خوفا من حدوث إنشقاق في صفوف المؤسسة العسكرية أو انفلات يؤثر على خطة تصحيح مسار السودان، ونجح حتى الآن في التخلص من البعض، لكن الأمر يحتاج وقتا لإنهاء المهمة بهدوء، فبعد ثلاثة عقود تكوّنت طبقات اقتصادية واجتماعية استفادت من حكم البشير ورفاقه، يراودها أمل الآن في إعادة إنتاج نظامه.

يقتنع عدد من قادة المعارضة، مثل ياسر عرمان، نائب رئيس الحركة الشعبية لتحرير السودان- قطاع الشمال، بأن المجلس العسكري ورئيسه عبدالفتاح البرهان ونائب الرئيس محمد حمدان دقلو (حميدتي) لا صلة لهم بالإسلاميين وبتنظيم الإخوان المسلمين، وهم حلفاء واقعيون ومحتملون لقوى التغيير، ووفروا الآلية الفاعلة ليطيح الشعب بعصابة الإنقاذ.

مربع إسلامي - عسكري

يصمم المتظاهرون في السودان على عدم مبارحة الاعتصام أمام مقر وزارة الدفاع بالخرطوم، ولم تنخفض أعدادهم الأيام الماضية، وربما ازدادت، ودخلوا في حوارات كثيرة مع المجلس الانتقالي، لضمان نقل البلاد من المربع الإسلامي- العسكري إلى حكومة مدنية تتولى إدخال إصلاحات سياسية تضمن تأسيس دولة مدنية.

تدور هواجس حول بعض أعضاء المجلس الانتقالي، منهم الفريق أول عمر زين العابدين، رئيس اللجنة السياسية، والفريق أول شرطة الطيب بابكر، والفريق أمن جلال الدين الشيخ، والفريق طيار صلاح عبدالخالق، لأنهم من عتاة الإسلاميين في الجيش والشرطة والأمن، وقد تعتمد عليهم تحركات لتجميع الإسلاميين وتطوير الثورة المضادة تحت شعارات مختلفة.

لدى قوى المعارضة ميزة مهمة، تتعلق بوجود تكاتف إقليمي ودولي واسع حول ضرورة الإسراع بتسليم السلطة إلى حكومة مدنية، فضلا عن المرونة التي أبداها المجلس العسكري بشأن ترحيبه بتلقي أسماء مرشحة لتولي مناصب قيادية. ولدى المعارضة ميزة ثانية تخص اطلاعها على الكثير من خطوات ترتيب المرحلة المقبلة من دون الضغط مباشرة لفض المعتصمين، لأن هذه ورقة تضمن الاستمرار في تحقيق المطالب.

يحظى التخلص من الروافد الإسلامية في مؤسسات الدولة بدعم إقليمي واضح يصب في صالح المعارضة، وترى أطراف عديدة أن تصاعد دور الحركة الإسلامية في السودان أدى إلى توتر الأوضاع في المنطقة، نتيجة الانفتاح على دول مثل تركيا وقطر، المعروفتين بدعم القوى المتطرفة، كما أن المواقف اللينة من قبل الخرطوم تجاه معسكر الدول الرافضة لهيمنة الحركات الإسلامية لم تكن نابعة من قناعة حقيقية، وكانت مسكونة بالشكوك.

وتؤيد قيادات في المعارضة السودانية فكرة التعاون بين المجلس الانتقالي والقوى الإقليمية التي لها مواقف حاسمة من التيار الإسلامي، لأنها تؤكد رغبته في التخلص من جذور هذا التيار في الحكم وعدم المماطلة وانحيازه للدولة المدنية، ما يطمئن المتظاهرين الذين وضعوا أولوية متقدمة لهذا الهدف، ويريدون التيقن من تنظيف المجلس الانتقالي من القيادات التي لديها حنين لحكم البشير، كما أن هذا الطريق يخفف الضغوط الخارجية على المجلس، وقد يمنحه بعض الوقت لتنظيف هياكل ومؤسسات السلطة من الخلايا النائمة للإسلاميين.

من مصلحة المجلس العسكري نفي صلته بالمناورات التي تمارس في بعض الوزارات لتعطيل المسار المدني الذي يتبناه، وهو ما ظهر في إقالة السفير بدرالدين عبدالله، وكيل وزارة الخارجية، الذي أعلن، الخميس، عن الترتيب لزيارة وفد قطري للخرطوم، من دون التنسيق مع قيادة المجلس الانتقالي.

وفهم من الإقالة أن النظام الجديد في الخرطوم يريد عدم تطوير العلاقة مع محور قطر وتركيا، ويسعى إلى إنهاء المراوحة والانتهازية التي عرف بها النظام السابق، والأهم أنه لا يريد إعادة الكرة في الجذب مع الإسلاميين، في وقت تتزايد فيه التوجهات الخارجية نحو تقليص نفوذها في الدول التي تمددوا في ساحاتها السياسية والأمنية.

مشروع الدولة المدنية

إذا كانت هناك فرصة للتخلص من الإرث الإسلامي في السودان، فإنها تواجه عقبات في التخلص من الإرث العسكري، وثمة قوى إقليمية ودولية ترى صعوبة في تحول السودان إلى دولة مدنية على المدى المنظور، ومن الضروري أن يكون الجيش حاضرا لبعض الوقت لترتيب المشهد السياسي.

تستند تقديرات هؤلاء على تشتت قوى المعارضة بين أطياف مختلفة، وعدم وجود قيادات سياسية لامعة يمكن أن يلتف حولها قطاع كبير من المواطنين، يكون رديفا لها لمواجهة العناصر الخفية للحركة الإسلامية في الشارع وما يعرف بالدولة العميقة، من هنا ظهرت مطالبات تحض على أهمية منح المجلس العسكري فترة يطمئن خلالها لقطع أذرع بقايا نظام البشير.

وقال ياسر عرمان، الجمعة، على صفحته على فيسبوك، "المجلس العسكري به شخصيات لعبت دورا حاسما في اعتقال البشير، وإجبار عوض بن عوف وزير الدفاع والرئيس السابق للمجلس العسكري، وصلاح قوش رئيس جهاز المخابرات والأمن الوطني، على التنحي. وتضم هذه المجموعة عناصر من متوسطي وصغار الضباط وقوات الدعم السريع، وعليها أن تصل إلى شراكة لبناء نظام ينهي دولة التمكين ويصل إلى السلام وتصفية أركان النظام القديم، العسكرية والأمنية والاقتصادية والسياسية".

يجد كلام عرمان صدى واسعا من حيث التصفية الكاملة، لكن البعض يرون أن هذه المسألة ستستغرق وقتا، لذلك يخشى المعتصمون أن يتحول الوقت المستقطع إلى هدف لالتقاط الأنفاس أو يصبح مقدمة لتكريس الحكم العسكري، بما يتناسب مع السياقات التي تتخذها بعض الجيوش مبررا للاستحواذ على السلطة، بذريعة استمرار التوتر وعدم السيطرة على الأمن واستمرار الخطر الذي يمثله فلول النظام البائد.

نجحت الجبهة الثورية، وتضم غالبية الحركات المسلحة، في دارفور ومنطقتي النيل الأزرق وجنوب كردفان، في تهدئة روعة بعض القيادات العسكرية، عقب إعلانها وقف جميع العدائيات على جبهات القتال، كي لا يستنزف الجيش في ترتيب أموره الداخلية والانشغال بحروب على بعض الأطراف، وهو ما تراهن عليه بعض الأطراف التي يحدوها أمل في استمرار النظام العسكري للبشير بعد تغيير الطبقة الأولى من جلدته السياسية، وتقلص فرص سيطرة الحركة الإسلامية.

ويردد سودانيون كثيرون عبارات الخوف من نفوذ المؤسسة العسكرية، وفي أذهانهم تاريخ طويل من المناورغات أدت إلى عدم مبارحة الجيش للسلطة، ما يعد مؤشرا على عدم اكتمال عناصر الثقة بين قوى الحرية والتغيير والمجلس الانتقالي، لأن تشكيل سودان جديد دون إسلاميين وعسكريين في وقت واحد قد يفضي إلى اهتزاز في دولاب الدولة، التي تحتاج بلورة تصور واضح لتجاوز ميراث عميق من التشويش.

> المعارضة السودانية تستغل فرصة تولي المجلس الانتقالي الحكم، عقب عزل البشير وعدد من القيادات السياسية والعسكرية والحزبية لمحاولة تأسيس نواة لسودان يخلو من ميول إسلامية في سدة الحكم ويبتعد فيه الجيش عن السياسة وتقتصر أداوره على المهام الأمنية

أوضح سليمان سري، المتحدث باسم التحالف العربي من أجل السودان، أن المتظاهرين السودانيين مازالوا يعتقدون أن المجلس العسكري لم يقم بالدور المطلوب منه حتى الآن، ومطالب بتصفية مؤسسات ورموز النظام السابق الذين لا يزالون يتصدرون المشهد، والمجلس يتلكأ في اتخاذ قرارات تتماشى مع الحالة الثورية بصورة تزيد من صعوبة إمساكه بزمام الأمور.

وأضاف لـ"العرب"، في اتصال هاتفي من الخرطوم، أن المجلس العسكري يواجه ضغطا داخليا بمواصلة التظاهرات، وخارجيا من خلال الاتحاد الأفريقي الرافض للانقلابات العسكرية، بالتالي سيكون عليه تشكيل حكومة مدنية في غضون أقل من أسبوعين، وسوف تستمر التظاهرات إلى فترات أطول لمنع أي محاولة للانقلاب من جديد، ولضمان محاكمة الرموز العسكرية ذات الواجهة الإسلامية.

حكومة مدنية

يخشى البعض من المراقبين أن يفتر حماس المجلس العسكري، المشدود ناحية التريث كثيرا في عملية نقل السلطة إلى حكومة مدنية كاملة، وتصمم قوى المعارضة على مطالبها، وربما يصل الأمر إلى صدام جديد، ويدخل السودان نفقا يفضي إلى توترات سياسية، تقود إلى فوضى أمنية في ظل تعدد المشكلات في مناطق كثيرة من البلاد.

لا تزال الفرصة مواتية أمام السودانيين للتفاهم على مكونات رئيسية لإدارة المرحلة القادمة بالتفاهم مع مؤسسة عسكرية منضبطة تعرف طبيعة دروها وحدوده جيدا، وتساعد على ألا أن يكون الإسلاميون مهيمنين على مفاصل الدولة مرة أخرى.

تكمن أزمة المعتصمين والمجلس الانتقالي بالسودان في انتشار أجواء إقليمية توحي بتراجع الثقة في المؤسسات العسكرية، ويريد الفريق الأول الحصول على ضمانات كافية تذيب الهواجس التي تولدت جراء تكرار تجارب عدم خروج قادة الجيوش من السلطة عندما يضعون أياديهم عليها، سواء بانقلابات مباشرة أو ناعمة. وهنا تأتي واحدة من العقد الدقيقة التي تستوجب تقريب المسافات للالتفاف حول رؤية تخرج السودان من مأزقه.

يشير المحتوى العام للتجربة إلى صعوبة استمرار التحالف بين العسكريين والإسلاميين، وقد يثبت في المستقبل أنه ليس بالضرورة أن يختار المواطنون بين أحدهما، ومن الممكن تشكيل حكم مدني يتحاشى أخطاء هؤلاء وهؤلاء، فهل ينجح السودان في تقديم النموذج الحضاري في المنطقة ويقودها إلى تغيير حقيقي أم لن يكون الاستثناء في ظل تطورات إقليمية عاصفة؟

التحقيق مع البشير في تهم غسل أموال

❏ **الخرطوم** – فتحت النيابة العامة في السودان تحقيقا في بلاغين ضد الرئيس المعزول عمر حسن البشير بتهم غسل الأموال وحيازة أموال ضخمة دون مسوغ قانوني، فيما لا يزال الغموض يكتنف مصيره، المطلوب للمحاكمة أمام الجنائية الدولية، وسط تضارب في الأنباء عن ترحيله إلى سجن كوبر.

وقال مصدر قضائي في السودان إن الاستخبارات العسكرية نقلت معلومات للنيابة عن وجود مبالغ ضخمة في مقر سكن البشير الرئاسي مما أدى لقيام قوة من الاستخبارات العسكرية بتفتيش المنزل وعثرت في إحدى الغرف على حقائب بها أكثر من 351 ألف دولار و6 ملايين يورو إضافة إلى خمسة ملايين جنيه سوداني.

وأضاف المصدر أن "وكيل النيابة الأعلى المكلف من المجلس العسكري بمكافحة الفساد أمر بالقبض على الرئيس السابق وباستجوابه عاجلا تمهيدا لتقديمه للمحاكمة".

وأطاح الجيش بالبشير في 11 أبريل بعد أشهر من الاحتجاجات على حكمه وتم احتجازه في مقر إقامة رئاسي. والبشير مطلوب أيضا للمحكمة الجنائية الدولية بسبب مزاعم ارتكاب إبادة جماعية في منطقة دارفور غرب البلاد. وقالت مصادر من عائلته في الآونة الأخيرة إنه نُقل إلى سجن كوبر مشدد الحراسة في الخرطوم.

وفي كثير من الأحيان كان البشير يبالغ في بداياته المتواضعة إذ ولد لأسرة فقيرة تعمل بالزراعة في قرية حوش بانقا الصغيرة المؤلفة من بيوت طينية وشوارع مترية تقع على الضفة الشرقية لنهر النيل على مسافة 150 كيلومترا إلى الشمال من العاصمة الخرطوم.

ويطالب تجمع المهنيين السودانيين الذي يقود الاحتجاجات بمحاسبة البشير وأعضاء إدارته وتطهير البلاد من الفساد والمحسوبية وتخفيف أزمة اقتصادية تفاقمت في السنوات الأخيرة من حكم البشير. وذكرت وكالة السودان للأنباء أن المجلس العسكري الانتقالي أصدر أمرا لبنك السودان المركزي "بمراجعة حركة الأموال اعتبارا من الأول من أبريل" وحجز الأموال التي تكون محل شبهة.

وأضافت الوكالة أن المجلس وجه أيضا "بوقف نقل ملكية أي أسهم إلى حين إشعار آخر مع الإبلاغ عن أي نقل لأسهم أو شركات بصورة كبيرة أو مثيرة للشك".

تجربة تونس تقدّم دروسا للجزائر والسودان

أسامة الرمضاني
رئيس تحرير العرب ويكلي

❏ إن كانت الاضطرابات قد دفعت الرئيسين اللذين حكما لفترة طويلة في الجزائر والسودان إلى التخلي عن كرسييهما، في ترسل رسالة إلى الجيل السياسي الجديد بأن يستخلص دروسا من التحولات الأخرى التي شهدتها المنطقة العربية منذ اندلاع الربيع العربي سنة 2011.

يقول الدرس الأول إنه على الرغم من التداعيات الإقليمية للاضطرابات والاحتجاجات في البلدان العربية، فإنه لا يمكن تجاهل العوامل والأسباب الداخلية لها.

قد تبدو نظرية الدومينو أكثر إثارة وجاذبية عند دراسة طبيعة العوامل التي أدت إلى سقوط رئيسي الجزائر والسودان. لكن، يحمل واقع كل دولة دوافع أكبر تبرر الاحتجاجات وتجعلها العامل الحاسم الذي دفع عمر حسن البشير وعبدالعزيز بوتفليقة خارج دائرة السلطة، أكثر من كونها ارتدادات موجة خارجية.

> حالة تونس أظهرت أن أي انتقال، حتى لو اعتبر ناجحا، سيظل محفوفا بالمخاطر ما لم يرافقه انتعاش اقتصادي يخلق فرص عمل ويدفع نحو النمو، وهذا أمر لا يسهل القيام به

خرج المحتجون في الجزائر والسودان إلى الشارع مدفوعين بالعوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية في بلديهم، مثلما كان الأمر قبل سنوات في تونس وليبيا ومصر التي اختارت مجتمعاتها الوقوف أمام الأنظمة السلطوية.

لا يمكن إنكار فكرة حصول الجماهير الشابة على الإلهام والتشجيع من مشاهد المتظاهرين في البلدان العربية الأخرى. ولا تحتاج الصورة إلى محلل لمعرفة أن بعض الجهات الفاعلة الإقليمية التي تسعى إلى الحصول على نفوذ أوسع يمكن أن تجد في الاحتجاجات فرصة لتسوية الحسابات مع القادة الذين لا تحبهم. كما يمكن أن تروق فكرة تغيير النظام (في بلدان معينة أكثر من غيرها) لبعض القوى العالمية ذات الأجندات التدخلية.

مع ذلك، تبقى عوامل الاضطرابات الأساسية داخلية. يمكن للسكان أن يتحملوا الرؤساء الذين تجاوزوا فترات ولاياتهم بأشواط، ولكن صبرهم ينفد في النهاية في ظل تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

في السنوات الأخيرة، وصلت العديد من المجتمعات العربية إلى نقطة لم تقدر عندها على مواصلة تحمل الأوضاع. أفاض المستبدون الذين تشبثوا بالسلطة لمدة عقدين أو ثلاثة عقود (إن لم يكن أكثر) الكأس في نهاية المطاف، ولم يعد مرحبا بهم.

فجأة، لم يعد السكان الذين بدوا على استعداد للعيش مع رئيس لا نهاية لفترة حكمه، راغبين في الانتظار لفترة أطول. لقد وصلوا إلى هذه النقطة بسبب الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية الداخلية المتردية. هذا هو الدرس الثاني الذي يجب أن يتذكره الحكام الجدد.

في الجزائر والسودان، تضرر الاقتصاد قبل أن يتوصل المتظاهرون إلى نتيجة مفادها أن على الحكام الرحيل.

هناك بالطبع مسرعات للاحتجاجات، مثل استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، ومستوى القمع الذي تعرض له المتظاهرون وقدرة الحكام على قراءة شعارات المتظاهرين.

قد لا تمثل السياسات مشكلة. لكن، تنطلق ديناميكيات التغيير السياسي بسرعة بمجرد أن يرى الشباب في استمرار النظم السياسية التي عفى عليها الزمن عقبة بينهم وبين مستقبل أفضل.

زودت المؤشرات الاجتماعية والاقتصادية الأنظمة القائمة بإشارات إنذار مبكرة كان ينبغي أن تدفعها إلى تصحيح مسار سياساتها. لكن، تميل الأنظمة المعرضة لـ"خطر الانقراض" إلى المماطلة، وتحاول شراء الوقت.

جعلت الدولة البيروقراطية الجزائرية، إلى جانب المصالح العشائرية، النظام غير مستجيب للإرادات. وغرس ذلك يأسا لا يطاق في فئة الشباب. لم يستطع اقتصاد البلاد غير المتنوع التكيف مع انخفاض أسعار النفط من 100 دولار للبرميل في عام 2014 إلى 66 دولارا في الأشهر الأخيرة.

انخفض احتياطي النقد الأجنبي بمقدار النصف وتراجع نمو الناتج القومي الإجمالي إلى أقل من 1 بالمئة. لذلك لم تستطع الحكومة تمويل برامجها الاجتماعية.

نظرا إلى أن معدل بطالة الشباب بلغ حوالي 30 بالمئة، وأن نصف عدد السكان يقل أعمارهم عن 25 عاما، من غير المفاجئ أن الشباب كانوا أول من اعترض على محاولة الطبقة الحاكمة تمديد حكم بوتفليقة إلى ولاية خامسة.

كان السودان يعاني مع معدل تضخم يبلغ حوالي 70 بالمئة ومستوى ديون أجنبية تبلغ حوالي 50 مليار دولار واحتياطي عملة صعبة يكفي سبعة أسابيع من الواردات فقط.

لا يتجاوز نصف السكان في السودان سن الـ19 عاما، وتجاوزت نسبة البطالة في صفوف الشباب 27 بالمئة. كانت الأوضاع بمثابة قنبلة موقوتة قد تنفجر في أي وقت، إذ لم يكن حزب المؤتمر الحاكم على نفس صفحة مطالب السكان، ولم يعد حكمه الإسلامي يضمن سيطرة النظام على السلطة.

يجب على الأطراف الرئيسية، خاصة تلك التي تحاول التمسك بالسلطة، أن تنظر في دروس الانتفاضات العربية، وعليها أن تعي بأنه مع التحولات الديمقراطية من المرجح أن تعود الاقتصاديات لتطاردها في وقت أقرب مما تتوقعه.

أظهرت حالة تونس أن أي انتقال، حتى لو اعتبر ناجحا، سيظل محفوفا بالمخاطر ما لم يرافقه انتعاش اقتصادي يخلق فرص عمل ويدفع نحو النمو، وهذا أمر لا يسهل القيام به. في ظل المطالب التي لا نهاية لها والتوقعات الجامحة التي تأتي مع الحماس الثوري، ستكون سياسات الإنفاق الكبيرة أكبر من صرامة الميزانية. ولا يمكن الدفاع عن مثل هذه السياسات.

قد يركز الحكام المؤقتون في الجزائر والسودان على الاهتمامات العاجلة الآن. لكن، تنتشر مطالب بمحاكمة رجال الأعمال الفاسدين والتحقيق في مزاعم سوء الإدارة في شركة النفط الوطنية في الجزائر.

يلمّح الحكام السودانيون إلى أنهم يرون أن الصعوبات الاقتصادية ملحة، وشملت تعبيرات الدعم السعودي والإماراتي للخرطوم تعهدات بالإسراع بالمساعدة الاقتصادية للبلد شبه المفلس.

يجب على المؤسسة العسكرية والأمنية أن تضع في اعتبارها المخاطر الأمنية المنجرة عن الفراغات في السلطة مع الحدود غير الآمنة. ويجب ألا ترتكب أخطاء الحكام التونسيين الذين تركوا المتطرفين الإسلاميين يخربون بلدهم بعد الثورة. أدى ذلك إلى وقوع حوادث إرهابية كبرى قبل أن تدرك الطبقة السياسية الجديدة أهمية الحفاظ على الأمن القومي في ظل الديمقراطية.

نفد الصبر

في المقابل، يجب أن يسمح المجتمع للمؤسستين العسكرية والأمنية في السودان والجزائر بمواصلة أداء مهمتهما في مواجهة تحديات الأمن القومي، في حين ينبغي أن تتاح الفرصة أمام الجيل الجديد من السياسيين لتوجيه بلدانهم نحو الديمقراطية وإعادة البناء الاقتصادي. وهذا هو أهم درس يمكن استخلاصه في النهاية.

العالم بأسره يحتاج إلى روح نوتردام

طارق القيزاني
صحافي تونسي

❏ بلغ حجم التبرعات المعلنة خلال يومين فقط بعد كارثة حرق كاتدرائية نوتردام رقم مليار أورو بحسب ما نقلته القنوات الإخبارية الفرنسية المنشغلة بالكارثة على مدار الساعة، وهو رقم غير مسبوق في مداه الزمني وفق هذه القنوات.

التعبئة الفرنسية والدولية لإنقاذ نوتردام تكاد تضاهي حجم تعهدات في مؤتمرات المنح الدولية، غير أن الفارق يكمن دائما في جدية الالتزام بتلك التعهدات، إذ أنها لا تخرج كعادتها عن سياسة المكيالين في تعامل القوى الكبرى والاقتصادات الغنية مع كوارث الكوكب.

ضمت حملة التبرعات منذ بدئها في فرنسا كبرى الشركات الوطنية العريقة مثل لوريال وطوطال وميشلان بجانب طبقة أثرياء المجتمع الفرنسي من بينها عائلتا بينولت وأرنولت وعائلة بتنكورت مايرز، إلى جانب جمعية التراث الفرنسية التي وفرت 300 مليون أورو، وحتى البنك الأوروبي فتح خزائنه للدعم بخلاف المساهمات التي يمكن أن توفرها دول التكتل الأوروبي وباقي دول العالم وأثرياء الكون المتضامنون مع باريس.

والرقم يمكن أن يصعد خلال أسابيع قليلة إلى أضعاف المليار أورو بكثير إذا ما تحقق مقترح رئيسة بلدية باريس آن إيدالغو بتنظيم مؤتمر دولي للمانحين من أجل تمويل أشغال إعادة بناء الكاتدرائية.

صحيح أن كاتدرائية نوتردام التي تعود للقرن الثاني عشر ليست في مستوى قدسية كنسية المهد ولكنها تحمل العراقة المعمارية والحضارية ذاتها مع كنيسة القديس بطرس في روما وآيا صوفيا، وهو ما يمنح تبريرا مشروعا لحماسة الفرنسيين واندفاعهم بأن يفخروا بهذه الحملات وهذا الاعتزاز الوطني بالتراث الثقافي والمسيحي، فأي حضارة لا تكون عريقة إلا بمقدار ما تحمله من شواهد على رقيها الإنساني.

لكن عمليا القاعدة ذاتها لا يعتد بها دوليا إذا ما ارتبطت بمواقع التراث الإنساني في مناطق أخرى بالعالم أقدم بكثير من كاتدرائية نوتردام، بل إن المشاعر النبيلة والرمزية التي رسخها الأديب الفرنسي فيكتور هوغو في روايته التي اقترنت بشهرة الكنيسة "أحدب نوتردام" وانتقاداته للظلم والتمييز المجتمعي وانحدار القيم، تكاد تعكس اليوم حقيقة المواقف الغربية تجاه ما يحصل في العالم من حوله بالمقارنة مع ردة فعله من كارثة الحريق.

بخلاف مدينة تومبكتو التاريخية منارة الصحراء في غرب أفريقيا والمرتبطة تاريخيا بالاستعمار الفرنسي، لم تحشد فرنسا ولا المجتمع الدولي ومن ورائه الأمم المتحدة ما كان يتوجب فعله مع الكثير من المعالم الحضارية والثقافية الأخرى، مع أنها تختزل أيضا عصارة الحضارة الإنسانية منذ حتى ما قبل التاريخ المسيحي.

مثل تومبكتو تماما تعرضت أعرق المدن التاريخية في سوريا، أحد أقدم المناطق السكانية والتجمعات البشرية القديمة في الأرض على الإطلاق، إلى تدمير ممنهج بالمعاول والذخيرة على أيدي العصابات الجهادية ومرتزقة داعش بجانب سرقات واسعة النطاق للمنحوتات والقطع الأثرية وأنشطة تهريب عابرة للدول لم تكن خافية عن الغرب.

كان العالم شاهدا على ما حدث من دمار في مدينة تدمر التاريخية ومعبد بل الذي ظل قائما منذ ألفي عام، وحلب القديمة والمسجد الأموي ونحو 300 موقع أثري في سوريا، طيلة سنوات من النزاع المسلح الذي شرد الملايين وألحق دمارا في مدن يفوق ما لحق وارسو ودرسدن في الحرب العالمية الثانية.

مع ذلك لم تأخذ الدعوات المشتتة إلى عقد مؤتمر دولي للمانحين طريقها إلى الأرض. كما لم ترتق مشاعر الصدمة العالمية إلى حملات تعبئة جدية لإنقاذ أقدم تراث إنساني على الأرض، كما هو الحال اليوم مع نوتردام.

وهناك أوجه مفارقة أكثر حدة خلف كارثة نوتردام. فالرئيس الفرنسي إيمانوال ماكرون توقع انتهاء أشغال إعادة البناء في الكاتدرائية خلال خمس سنوات برغم تحفظات المعماريين، وهو تحد يدفع دون وعي إلى تقييم مدى الالتزام الدولي بتحقيق تحديات أخرى أكثر ارتباطا بحياة الشعوب اليوم، وهي تتعلق بأهداف الانمائية للألفية للأمم المتحدة ومن بعدها أهداف التنمية المستدامة في أفق 2030 لمكافحة الفقر والجوع والتغير المناخي وتحسين ظروف العيش.

الصورة الحالية لا تبدو في مستوى التحديات، إذ تفيد إحصائيات الأمم المتحدة بأن عدد الجوعى في العالم في صعود على مدار السنوات الثلاث الأخيرة ليتخطى عتبة 820 مليون شخص، ويعني ذلك أن واحدا من كل تسعة أشخاص في العالم لم يكن لديه الطعام الكافي في عام 2017. ومن بين هؤلاء 151 مليون طفل أقل من خمسة أعوام، أي 22 بالمئة من إجمالي تعداد الأطفال في العالم يعانون من ضعف في النمو.

حتى وقت قريب كانت التفسيرات الأكثر شيوعا لخبراء التنمية هو أن التدهور الاقتصادي والأحداث المرتبطة بالمناخ مثل الجفاف والفيضانات هما المسؤولان عن هذا الاتجاه السلبي. لكن اتساع رقعة النزاعات المسلحة تقف اليوم كسبب مباشر لزيادة عدد الجوعى، إذ يكفي الإشارة إلى أن حرب اليمن على سبيل المثال تسببت في جعل ثلث سكان البلاد في عداد الجوعى، في أسوأ أزمة غذائية على وجه الأرض بحسب منظمة الفاو.

إن كلفة إعادة الحياة إلى نوتردام قد لا تقارن بكلفة تحقيق أهداف التنمية المستدامة لعام 2030 والمقدرة بما بين 3.3 تريليون دولار و4.5 تريليون دولار سنويا. ولكن سيكسب العالم مصداقية أكبر إذا ما تمت استعارة روح التعبئة والالتزام ذاتها في نوتردام لإنقاذ الجوعى في اليمن والتراث الإنساني الضائع في سوريا في المدى العاجل، والالتزام بتحقيق باقي تحديات الألفية على المدى المتوسط عبر مؤتمرات صادقة وجدية للمانحين الدوليين.

> كلفة إعادة الحياة إلى نوتردام قد لا تقارن بكلفة تحقيق أهداف التنمية المستدامة لعام 2030 والمقدرة بما بين 3.3 تريليون دولار و4.5 تريليون دولار سنويا. ولكن سيكسب العالم مصداقية أكبر إذا ما تمت استعارة روح التعبئة والالتزام ذاتها في نوتردام لإنقاذ الجوعى في اليمن والتراث الإنساني الضائع في سوريا

حريق نوتردام يؤجّج غضب السترات الصفراء

❏ **باريس** – عاد المتظاهرون من حركة "السترات الصفراء" مجددا، السبت، إلى شوارع باريس وعدد من المدن الفرنسية لتوجيه "الإنذار الثاني" إلى الرئيس إيمانويل ماكرون بعد أسبوع طغى عليه الحريق في كاتدرائية نوتردام. وفي السبت الثالث والعشرين من الحراك، اندلعت مواجهات جديدة بين قوات الأمن والمتظاهرين من السترات الصفراء في باريس.

وأعلنت إذاعة "فرانس أنفو" المحلية عن "اندلاع مواجهات بين قوات الأمن ومتظاهرين من السترات الصفراء في باريس والشرطة توقف 126 شخصا". ويلتقي المحتجون بشكل رئيسي في العاصمة. ويأتي تحرك السبت قبل أيام من إعلان الرئيس، الخميس، الإصلاحات المزمعة على ضوء "الحوار الوطني الكبير".

ويلقي حريق كاتدرائية نوتردام بظلاله أيضا على التحرّك، حيث منعت شرطة باريس التجمع في محيط الكاتدرائية. وقال قائد شرطة باريس ديديه لالمان إن الآلاف من السياح والمارة ما زالوا يتقاطرون يوميا إلى المنطقة لتفقد الكاتدرائية والصلاة أمامها. وأعرب بعض المحتجين على فيسبوك عن أملهم في أن يتمكنوا من التوفيق بين احترام موجة "التأثر الوطني" التي أثارتها كارثة الكاتدرائية والتنديد بسياسة رئيس الدولة حيث يطالبون كل سبت باستقالته.

وأعرب المتظاهرون عن حزنهم بسبب الحريق الذي شب في نوتردام، لكنهم انتقدوا في نفس الوقت سرعة رد كبار رجال الأعمال والمؤسسات والشركات في فرنسا لترميم هذا المعلم التاريخي في حين لم يهتم أحد لمشاكلهم ومازالت مطالبهم غير مستوفاة إلى حد كبير ويكافحون من أجل تنفيذها.

سبت ناري في باريس

زيارة غير عادية للسعودية

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❏ ليست زيارة رئيس الوزراء العراقي عادل عبدالمهدي للرياض حدثا عاديا. تكفي نظرة إلى البيان الصادر عن الزيارة والمحادثات التي أجراها عبدالمهدي مع كل من الملك سلمان بن عبدالعزيز ووليّ العهد الأمير محمد بن سلمان للتأكد من أن هناك حال مخاض يمرّ فيها العراق الذي يبحث عن هوية جديدة له بعيدا عن النفوذ الإيراني أوّلا وعن عُقد الماضي التي تحكّمت بعلاقاته مع العرب الآخرين ثانيا وأخيرا.

تضمّن البيان إشارات عدّة توحي بوجود رغبة في إقامة نوع من التوازن بين العراق من جهة وكلّ من إيران والدول العربية، على رأسها المملكة العربية السعودية، من جهة أخرى.

> العراق يحتاج إلى عمق عربي وخليجي تحديدا في حين تمتلك السعودية شركات وفيها رجال أعمال يتطلعون إلى الاستثمار في العراق، هذا البلد الذي كان مفترضا أن يكون البلد الأهم في المنطقة نظرا إلى ما يمتلكه من ثروات، بما في ذلك الثروة البشرية والمائية، فضلا بالطبع عن ثروة النفط

قبل كلّ شيء، تحدث البيان السعودي – العراقي عن"الروابط التاريخية المتينة التي تجمع بين البلدين الشقيقين، وعن ترسيخ للعلاقات وللرغبة المشتركة للدفع بها نحو آفاق أوسع، واستثمار الإمكانات الكبيرة والفرص المتاحة لتعزيز التعاون القائم في المجالات السياسية والأمنية والاقتصادية". تطرّق أيضا إلى "أهمّية استثمار هذا الإرث السياسي والتاريخي والديني، وتعزيز العلاقات انسجاما مع توجه القيادتين". وأشار إلى أنّه "على هامش الزيارة، عقد الاجتماع الأول للجنة الشؤون السياسية والأمنية والعسكرية، برئاسة وزيري خارجية البلدين".

هناك، إذا، كلام عن "إرث سياسي وتاريخي وديني" وعن "تعاون سياسي وأمني واقتصادي". هذا ما حاولت إيران إلغاءه منذ سلّمتها إدارة جورج بوش الابن العراق على صحن من فضّة في مثل هذه الأيّام من العام 2003. أرادت إيران وضع العراق في خانة الدول التي تقع كليا تحت هيمنتها. لم يعد سرّا أن الاحتلال الأميركي للعراق قبل ستة عشر عاما مهّد لانطلاقة جديدة للمشروع التوسّعي الإيراني في المنطقة. وهو مشروع وقف العراق عائقا في وجهه بين العامين 1980 و1988 لكنّه ما لبث أن أفسح له المجال لالتقاط أنفاسه عندما قام صدّام حسين صيف العام 1990 بمغامرته المجنونة في الكويت محاولا إلغاء وجود دولة عربية لم تقصّر معه في السنوات الثماني من الحرب مع إيران.

ما يكشفه البيان السعودي – العراقي أن عادل عبدالمهدي، الذي وجد نفسه في موقع رئيس الوزراء لأسباب مرتبطة إلى حدّ كبير برغبة إيران في تصفية حساباتها مع سياسيين عراقيين شيعة، على رأسهم حيدر العبادي، مضطر إلى التعاطي مع واقع جديد.

يتمثل هذا الواقع في استيقاظ الروح الوطنية العراقية مجددا عبر شخصيات شيعية من بينها عمّار الحكيم ومقتدى الصدر وحتّى حيدر العبادي. تجد هذه الروح الوطنية دعما لدى المرجع الشيعي علي السيستاني المقيم في النجف الذي كان لديه موقف واضح عندما زاره الرئيس الإيراني حسن روحاني، إذ فصل بين المصالح العراقية والمصالح الإيرانية، كما انتقد بطريقة مبطنة التدخلات الإيرانية في العراق عبر الجنرال قاسم سليماني قائد "فيلق القدس" في "الحرس الثوري"، الذي كان إلى ما قبل فترة قصيرة كثير التردّد على بغداد وغير بغداد.

ليس سهلا على شخص مثل عادل عبدالمهدي اتخاذ موقف متوازن بين الخليج العربي من جهة وإيران من جهة أخرى. يؤكد ذلك تأنيب "المرشد" الإيراني علي خامنئي له ودعوته إلى الوقوف في الصف الإيراني، خصوصا بعدما أبدى تفهّمه لحاجة العراق إلى القوات الأميركية وإلى الانفتاح على الخليج العربي في الوقت ذاته.

لا شكّ أن المملكة العربية السعودية سهّلت على رئيس الوزراء العراقي مهمّته وذلك عندما زار بغداد قبل فترة قصيرة وفد سعودي كبير ضمّ مسؤولين كبارا ومجموعة من رجال الأعمال والمستثمرين. لم تتردّد المملكة في تقديم مساعدة بمليار دولار من أجل بناء مدينة رياضية في العراق. ثمّة فارق كبير بين دولة عربية تسعى إلى إقامة علاقات طبيعية تخدم المصالح المشتركة مع العراق وبين دولة مثل إيران تريد العراق كوكبا يدور في فلكها. أكثر من ذلك، أن الاستثمار الإيراني الوحيد في العراق هو استثمار في إثارة الغرائز المذهبية التي يبقى "الحشد الشعبي" أفضل تعبير عنها.

ما تريده إيران من العراق هو أن يكون تحت جناحيها وأن تكون علاقاته مع العالم الخارجي عبر طهران وما تقرّره طهران. ما تريده إيران أيضا هو أن تتكرّر في العراق التجربة التي لا تؤمن بغيرها. هذه التجربة هي حلول الميليشيات المذهبية التي يحرّكها "الحرس الثوري" مكان القوى النظامية، أي الجيش والشرطة. تريد إيران أن يكون "الحشد الشعبي" كلّ شيء في العراق مثلما تريد أن يكون "حزب الله" كلّ شيء في لبنان و"أنصار الله" كلّ شيء في اليمن وأن تكون سوريا مرتعا لميليشيات مذهبية عراقية وأفغانية...

خطوة على الطريق الصحيح

ليست زيارة عادل عبدالمهدي للرياض سوى خطوة أخرى في الطريق الصحيح. ليس مستبعدا أن تعمل إيران على إفشال كلّ ما أسفرت عنه الزيارة بما في ذلك فتح المعابر البرّية بين البلدين على رأسها منفذ عرعر الذي بقي مسدودا طوال ثلاثين عاما. هناك عمل جدّي على تطوير هذه المعابر والمنافذ كما بين الدول المتحضّرة في أوروبا.

لعلّ أهمّ ما في الإنفتاح المتبادل بين العراق والسعودية أنه يقوم على مفاهيم مختلفة بعيدا عن الشعارات الفارغة وعن رهان إيران على أن لا استمرارية في السياسة السعودية. يحتاج العراق إلى عمق عربي وخليجي تحديدا في حين تمتلك السعودية شركات وفيها رجال أعمال يتطلعون إلى الاستثمار في العراق، هذا البلد الذي كان مفترضا أن يكون البلد الأهمّ في المنطقة نظرا إلى ما يمتلكه من ثروات، بما في ذلك الثروة البشرية والمائية، فضلا بالطبع عن ثروة النفط.

في النهاية، سيعتمد الكثير على ما سيشهده العراق من تطورات في المرحلة المقبلة وعلى ما إذا كانت إيران ستستوعب أنّ الردّ على العقوبات الأميركية، وهي عقوبات في غاية الجدّية، لا يكون بالتهديدات والدفاع عن "الحرس الثوري" ودوره التخريبي في المنطقة كما يفعل حسن روحاني. هناك شروط لا بدّ لإيران من التزامها والرضوخ لها. ترجمة ذلك تحوّلها إلى دولة طبيعية في المنطقة وليس قوّة إقليمية تمتلك مشروعا توسّعيا. هل إيران قادرة على الاستجابة لمتطلبات المرحلة المقبلة والتحديات الجديدة بدل اعتبار الموقف الأميركي من "الحرس الثوري" بمثابة "إهانة" لها على حد تعبير روحاني؟

إن الجواب عن هذا السؤال سيعني الكثير. سيعني أوّلا أن إيران مستعدة للعب دور بناء في المنطقة بعيدا عن عقدة تفوق الفرس على العرب. كذلك، سيعني أن إيران دولة طبيعية تهتمّ برفاه شعبها أوّلا، دولة قادرة على الاستفادة من توجّه العراق والسعودية إلى إقامة علاقات طبيعية بينهما تستند إلى المصالح المشتركة بديلا من الاستثمار في الميليشيات المذهبية وفكرة الدويلة داخل الدولة وتصدير "ثورة" ليس لديها ما تعطيه غير البؤس والدمار...

طهران تناور بين أنقرة ودمشق للخروج من حصارها الاقتصادي

رانيا مصطفى
كاتبة سورية

❏ صنّفت إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب الحرس الثوري الإيراني منظمة إرهابية، قبيل سريان تنفيذ دفعة جديدة من العقوبات الصارمة على إيران، في خطوة رمزية كجزء من حملة "الضغط الأقصى" ضد طهران، لإجبارها على الرضوخ لمطالب واشنطن بشأن خطة العمل الشاملة المشتركة حول الاتفاق النووي، ولوضع حدّ لتوسّع نفوذها في الشرق الأوسط.

تبنّت طهران استراتيجية التقارب مع أنقرة، وممارسة الضغوط على نظام الأسد المتهالك اقتصاديا، وعلى روسيا، لتعزيز موقعها في سوريا، غير المرغوب به عربيا، وأميركيا، وإسرائيليا، وروسيا.

تستغل طهران دور أنقرة الإقليمي في المنطقة، وخلافاتها مع واشنطن مؤخرا حول رفض الأخيرة لصفقة أس-400 بين روسيا وتركيا، وتهديدها لتركيا بإيقاف صفقة طائرات أف-35، إضافة إلى العقوبات الاقتصادية على أنقرة، والحاجة التركية إلى أوراق ضغط على واشنطن لإجبارها على المضي بإنشاء المنطقة الأمنية شمال شرق سوريا.

في هذا السياق، تراجعت تصريحات العسكريين الإيرانيين، مقابل إعطاء دور للتيار الإصلاحي الذي تمثّله وزارة الخارجية الإيرانية التي يرأسها محمد جواد ظريف، بعد أن رُفضت استقالته التي أعلن عنها عبر تويتر. حيث قام ظريف بجولة إلى دمشق وأنقرة، وهدأ من تشدد طهران السابق حيال الملفات الخلافية مع أنقرة، في ما يتعلق بملف إدلب وشرق الفرات واللجنة الدستورية.

تركيا مجبرة على هذا التقارب مع إيران، وعلى رفض تصنيف الولايات المتحدة للحرس الثوري منظمة إرهابية، لعدة أسباب: الأول اقتصادي يتعلق بحجم التبادل الاقتصادي الكبير مع طهران، وطبيعة هذا التبادل التكاملية، حيث يسعى الطرفان إلى زيادة حجم التجارة البينية إلى 30 مليار دولار، وهي ثلاثة أضعاف المستويات الحالية.

السبب الثاني سياسي يتعلق بالخلاف التركي العربي، والخلاف العربي الإيراني، وبالتالي تقتضي المصلحة التركية التقارب مع إيران، خاصة مع تشكيل حلف ضدّها يضمّ إسرائيل، وتقوده واشنطن. والحقيقة أن الخلاف التركي- العربي يفوّت على تركيا فرصة الاستثمار الاقتصادي في العمق العربي.

والسبب الثالث أن تركيا ترفض إطلاق صفة إرهابي على فصيل من جيش نظامي لدولة، والموافقة عليه سيشكل إحراجا لها، وسيفتح بابا جديدا من الضغوط أمام واشنطن، وقد يطال يوما الجيش التركي. وتركيا مضطرة إلى التعامل مع الحرس الثوري الإيراني، كونه يسيطر على معظم قطاعات الاقتصاد، البناء والعقارات والمصارف.

إذا كل العوامل السابقة تقول إن تركيا لن تمضي في القبول بالعقوبات المفروضة على إيران وحرسها الثوري، وقد لا تمدد الولايات المتحدة لتركيا فترة الإعفاء من الالتزام بالعقوبات المفروضة على الصادرات الإيرانية.

قد تسعى تركيا، حسب تصريحات وزير خارجيتها، مولود جاويش أوغلو، إلى آليات جديدة للتجارة مع إيران، باعتماد عملات غير الدولار، على غرار ما تفعله فرنسا وألمانيا وبريطانيا، بفتح ما سمي "أداة دعم المبادلات التجارية"، لتجنب العقوبات المفروضة على إيران.

في المشهد الإقليمي المعقد، تبدو إيران أقرب إلى تركيا منها إلى روسيا، هذا قد يعطيها إمكانية خلط الأوراق في الملف السوري، خاصة أنّها تسعى إلى فتح خطوط تواصل بين تركيا ونظام الأسد، ما تزال أنقرة ترفضها إلى الآن.

في حين أن إعلام النظام السوري كان يفرد ساعات للتنديد بالتدخل التركي في سوريا، وبدعم المعارضة، توقف عن ذلك بعد زيارة ظريف إلى دمشق الأربعاء الماضي، وتوجه للحديث عن أزمته الاقتصادية الخانقة، والتنديد بالعقوبات الأميركية، واعترف إعلامه شبه الرسمي، ممثلا بصحيفة الوطن، بتوقف الخط الائتماني الإيراني منذ 15 أكتوبر الماضي، وعدم وصول أي ناقلة نفط إلى السواحل السورية من تاريخه.

أعطت واشنطن طهران دورا كبيرا في تفتيت العراق طائفيا، عبر تمويلها لأكثر من 50 ميليشيا شيعية، وكذلك أعطتها الفرصة لمساعدة نظام الأسد على إنهاء الثورة، عبر إرسال ميليشياتها الطائفية، من حزب الله وكتائب أبوالفضل العباس ولواء زينبيون وفاطميون وغيرها، إضافة إلى تمويلها كتائب الدفاع الوطني السورية.

ويبدو أن دورها انتهى في البلدين بالنسبة لواشنطن، التي تتعامل معه بالقوة الناعمة، عبر العقوبات، وعبر ضرب إسرائيل لمواقعها في سوريا، ومؤخرا تهديدها أن تشمل الضربات لبنان والعراق؛ هذا إلا إذا اختار ترامب توجيه ضربات عسكرية لإيران، ترفضها إدارته.

فتحت إيران مع النظام السوري خطا ائتمانيا منذ 2011، بلغت قيمته حتى اليوم 5.5 مليار دولار، خُصّص أغلبُه للمشتقات النفطية. وفي أغسطس 2018، وقّع الطرفان السوري والإيراني اتفاقية تعاون عسكري تنصّ على تقديم طهران الدعم لإعادة بناء جيش النظام. ووقعا اتفاق تعاون اقتصادي طويل الأمد، شمل قطاعات النفط والطاقة الكهربائية والزراعة والقطاع المصرفي.

وبالتالي بات على نظام الأسد دفع 22-20 مليار دولار كديون لإيران كصفقات تجارية، عدا ما قدمته من سلاح ورواتب لميليشياتها وتبلغ قرابة 40 مليار دولار.

اليوم لم تعد إيران قادرة على الدفع، وهي في موقف ضعيف، مع اقتراب انتهاء مهلة الأشهر الستة التي أعطتها الولايات المتحدة لثماني دول، قبل إيقاف الاستيراد من إيران، ومنها تركيا، والصين التي تستورد 23 بالمئة من النفط الإيراني، والهند التي تستورد 21 بالمئة منه؛ خاصة أن صادرات النفط تشكل 90 بالمئة من الدخل القومي الإيراني.

وبالتالي فإن إيران مهدّدة في تواجدها في سوريا، خاصة أنه ليس بقوة التواجد في العراق، حيث الأرضية الثقافية والمذهبية الأكثر ملاءمة، ويبدو أنها تضع في حسبانها الانسحاب من سوريا، وهي تعزز تواجدها في سوريا لاستخدامه كورقة تفاوض مع واشنطن.

وقد يكون إيقاف طهران للخط الائتماني خطوة للضغط على نظام الأسد، لتحصيل التنازلات، ومنها الحصول على نفوذ في البحر المتوسط، الأمر الذي يشكل بدوره ضغطا على روسيا، للقبول بإعطاء إيران دورا في التسوية السورية، بدلا من التحالف مع العرب، ومع إسرائيل، لطردها، على غرار ما تفعل واشنطن.

عندما يحاول أردوغان تحميل الإمارات هزائمه وخساراته المتلاحقة

نظرية المؤامرة جزء أصيل من عقيدة السياسة التركية تضخم في ظل العدالة والتنمية

يخوض معارك دونكيشوتية

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

يصف الكاتب والصحافي التركي مصطفى أكيول سبب انتشار نظرية المؤامرة في تركيا قائلا «إنها تعطينا شعورا قويا بأننا نحظى بأهمية بالغة. عندما نعتقد أن العالم يتآمر ضدنا، يجب أن يكون حقا أمرا كبيرا... أعتقد أن الإيمان بنظرية المؤامرة يجعلنا نثق في أنفسنا أكثر بعدما كنا قد فقدنا هذه الثقة إبان انهيار الإمبراطورية العثمانية".

نظرية المؤامرة كانت موجودة في البلاد قبل تولي حزب العدالة والتنمية الحكم، لكنها محدودة ومنحصرة بالأساس في الموقف من الغرب مع التركيز على التصدي لأي حلم قومي للأكراد وإنكار الإبادة الجماعية للأرمن. أما بعد سيطرة العدالة والتنمية على السلطة، فأصبح الهدف الأول إسرائيل والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة والأكراد، قبل أن يتحول الهاجس لاحقا إلى عدوانية ضد الغرب وضد كل محور الاعتدال العربي، وبخاصة الدول المناهضة لقوى الإسلام السياسي وعلى رأسها الإمارات ومصر والسعودية، وكل من يثبت رفضه لمشروع التوسع الإمبراطوري الذي يطمح الرئيس التركي رجب طيب أردوغان إلى تحقيقه بجناحي الشوفينية القومية والعقيدة الإخوانية، بالإضافة طبعا إلى المعارضة في الداخل.

السلطان الجديد، الذي اقتنع بأنه يحظى بدعم من الله في السماء والمسلمين في الأرض، لم يعد يقبل أن يحلل بالعقل خساراته وهزائمه السياسية والاقتصادية، أو تراجع شعبيته وشعبية حزبه، لذلك عليه في كل مناسبة أن يتعلق بنظرية المؤامرة، لأنها وحدها التي يمكن أن ترضي ما يعانيه من حالة هي أقرب إلى البارانويا التي يملك المصاب بها جهازا عقائديا معقّدا وتفصيليا يتمركز حول أوهام واقعية تقنعه بأنه مستهدف من قبل الآخرين وأنّ السبب الرئيسي لاستهدافه من قبلهم هو كونه شخصا عظيما ومهمّا للغاية.

> المشاكل الداخلية والخارجية تدفع بنظام رجب طيب أردوغان إلى إقناع شعبه بأنه مستهدف، وأن من يستهدفه من الخارج تلك الدول التي لا تريد لمشروعه التوسعي الإمبراطوري أن يصل مداه تحت عباءة الإسلام السياسي. وتأتي دولة الإمارات على رأس اللائحة التي يعمل على ترويجها، وعندما لا يجد دليلا، يحاول أن يختلقه

آخر تجليات هذه الحالة الأردوغانية، محاولة الزج بدولة الإمارات العربية المتحدة في ما وصفته السلطات التركية بالقبض على جاسوسين قالت إنهما يحملان الجنسية الفلسطينية، وتربطهما علاقة ما بالقيادي الفتحاوي السابق محمد دحلان، ولتأكيد اتهام الإمارات، عمدت أنقرة إلى ما يعمد إليه عادة حلفاؤها القطريون والإخوان من التأكيد على أن دحلان هو أحد المستشارين الأمنيين لدولة الإمارات.

خبر وفرضيات

أعلن مسؤول تركي أول أمس الجمعة أن بلاده ألقت القبض على مشتبهين، هما سامر سميح شعبان وزكي يوسف حسن، وهما مواطنان فلسطينيان، في مدينة إسطنبول. وزعم المسؤول التركي أن المشتبهين من عناصر المخابرات وأنهما اعترفا بالتجسس على رعايا عرب.

وأضاف أن أنقرة تحقق في ما إذا كان قدوم أحدهما إلى تركيا مرتبطا بمقتل الصحافي السعودي جمال خاشقجي. وتابع أن النيابة العامة أحالت المشتبهين إلى القضاء بتهمة ارتكاب جريمة "التجسس السياسي والعسكري" و"التجسس الدولي".

وذكرت صحيفة "يني شفق"، المقربة من السلطات، أن المشتبه بهما أوقفا الاثنين الماضي خلال عملية مشتركة للاستخبارات التركية والشرطة. وأضافت أن هذين الشخصين أجريا في الآونة الأخيرة اتصالات كثيرة مع شخص مراقب من قبل الاستخبارات التركية في إطار التحقيق في قضية خاشقجي.

كعادة النظام التركي وحلفائه في المنطقة، يتم تلغيم الخبر بأكثر من فرضية ونحو أكثر من وجهة، لذلك تم ربط قضية الجاسوسين المفترضين أولا بمحمد دحلان، كونه يعتبر خصما سياسيا لحركة حماس الإخوانية ومنافسا جديا لها في قطاع غزة، وكونه يعتبر لدى إسلاميي المنطقة أحد أبرز المعادين لمشروعهم.

ولا يكتمل ذكر دحلان إلا بذكر ولي عهد أبوظبي الشيخ محمد بن زايد، الذي ينظر إليه الإخوان على أنه أحد أبرز المتصدين لمشروعهم التخريبي في المنطقة، وإلى بلاده على أنها الداعم الرئيسي لثورة الثلاثين من يونيو 2013 التي أطاحت بحكمهم في مصر، وللجيش الوطني الليبي الذي يعمل على اقتلاع آخر جذورهم في ليبيا، وهي إحدى الدول الأربع التي قاطعت نظام الدوحة وكشفت عن تورطه في دعم الإرهاب وتآمره على أمن واستقرار الشعوب وسيادة الدول ووحدة المجتمعات.

ثم جاء ذكر جمال خاشقجي، الصحافي السعودي الذي حاول أردوغان أن يجعل من قضية مقتله في قنصلية بلاده في إسطنبول حصان طروادة لابتزاز الرياض سياسيا واقتصاديا، قبل أن يستفيق على أنه كان يلاحق خيط دخان، فالمملكة بثقلها الحضاري والسياسي والاقتصادي والاستراتيجي أكبر من أن تخضع للابتزاز من أي طرف مهما كان حجمه ودوره.

الواقع أن النظام التركي لا يتحرك بمعزل عن مواقف حليفه القطري، الذي يعتقد جازما بأن الإمارات هي الدولة التي تتزعم الطرف المناهض لمشروع الإسلام السياسي في المنطقة. وتجذّرت هذه الفكرة لدى جميع قوى الإسلام السياسي في المنطقة التي ترى أن وضعها كان سيكون أفضل من حيث السيطرة والتمكين وبسط النفوذ لولا الدور الإماراتي، ولولا مواقف الشيخ محمد بن زايد.

ويصل الأمر بهذه القوى إلى القول إن ولي عهد أبوظبي هو من يتزعم معركة الإطاحة بمشروعها، وهو من أقنع دولا أخرى، ومنها المملكة العربية السعودية، بما تمثله من خطر على الجميع، وهو من كشف عن أجندات الدوحة وأنقرة في هذا السياق خصوصا بعد قرار الدول الأربع (السعودية والإمارات والبحرين ومصر) في يونيو 2017 مقاطعة النظام القطري واندفاع تركيا لمساندته، ما جعل وزير الخارجية التركي مولود جاويش أوغلو، يقول إن «أبوظبي لديها موقف سلبي تجاه أنقرة»، دون أن يسترسل في تفسير دوافع هذا الموقف، ومنها اتجاه نظام العدالة والتنمية إلى التحالف مع جماعة الإخوان ضد المجتمعات العربية بأسرها، وارتباطه بالمؤامرات التي تستهدف لا أنظمة المنطقة فقط، وإنما الدول ككيانات ذات سيادة، وبحثه عن منافذ للتسلل نحو تهديد الأمن القومي العربي في الخليج والمشرق العربيين وفي القرن الأفريقي وشمال أفريقيا.

تصدير أزمة

ربطت تركيا الأردوغانية مصيرها بمصير الإسلام السياسي بجميع تفرعاته من الإخوان إلى القاعدة فداعش. وحاولت من وجهة نظر مرتبطة بتاريخها الاستعماري أن تلعب دور القوة الصانعة لقرار المسلمين، وبخاصة السنّة منهم في المنطقة والعالم.

وعندما تمت الإطاحة بحكم الإخوان في مصر، شعر أردوغان أن مشروع الهيمنة فقد ركنا مهما وأساسيا في خارطته العقائدية، فاتجه بكل قوة ليعلن عداوته للإمارات، الدولة التي ترى أن قوة العرب في قوة مصر، وأن مصر لا يمكن أن تُختصر في مخطط جماعة ذات مشروع عابر للحدود ونقيض للدولة.

وعندما تعرّض النظام في تركيا إلى محاولة انقلاب في سنة 2016، كان الاتهام التركي جاهزا لدولة الإمارات بأنها تقف وراء دعمه، ولكن دون مؤيدات.

وجنّد أردوغان وسائل إعلامه لإقناع شعبه بأن الإمارات تقف وراء كل أزماته، وأنها تريد له أن يأتي عليه يوم لا يجد فيه ربطة خبز ليأكلها.

ومما زاد في حرقة دم السلطان الإخواني أن الإمارات اتهمت بلاده في أغسطس 2017 بـ"السلوك الاستعماري والتنافسي" عن طريق "محاولة الحد من سيادة الدولة السورية" من خلال وجودها العسكري في سوريا، ثم ما جاء لاحقا على لسان وزير الدولة الإماراتي للشؤون الخارجية الدكتور أنور قرقاش، من أن "النظرة الطائفية والحزبية ليست بديلا مقبولا، وأن العالم العربي لن تقوده طهران أو أنقرة".

اليوم، هناك مشاكل عدة تواجه نظام العدالة والتنمية تدفعه لمحاولة تصدير أزماته، منها ما هو داخلي كارتفاع معدل البطالة بأكثر من المتوقع إلى 14.7 بالمئة في يناير الماضي، 26.7 بالمئة منها في صفوف الشباب، وبلوغ عدد العاطلين عن العمل 4.7 مليون شخص، واتساع عجز الميزانية إلى 24.5 مليار ليرة (4.24 مليار دولار) في مارس الماضي.

وسجل ميزان المعاملات الجارية في البلاد عجزا قدر بـ 718 مليون دولار في فبراير الماضي، فيما بلغ عجز ميزان المعاملات الجارية 589 مليون دولار في يناير الماضي، إضافة إلى تراجع الليرة التركية من جديد أمام العملات الأجنبية.

وتسبب هذا الوضع الاقتصادي في تململ اجتماعي، سرعان ما ترجمته نتائج الانتخابات البلدية التي سجلت خسارة لحزب أردوغان في عدد من البلديات الكبرى أبرزها إسطنبول بما تمثله من رمزية له ولحزبه ولأنصاره، وأنقرة العاصمة بما تعنيه من رمزية الدولة ومؤسساتها.

وعلى مستوى المشاكل الخارجية، بدأ المشروع الإخواني الذي راهن عليه أردوغان في التقلص والتضاؤل والاضمحلال، خصوصا بعد نجاح مصر في تجاوز أزماتها التي كان يمكن أن تعرقل خطواتها وتعيد عجلتها إلى الوراء، وبعد الإطاحة بالحليف السوداني الذي مثل بوابة لأحلام السلطان في القارة الأفريقية، ونجاح الجيش الوطني الليبي في تحرير أكثر من 90 بالمئة من مساحة بلاده من الإرهاب والجماعات المتشددة المحسوبة على المحور التركي القطري، والتضييق على حضور تركيا في القرن الأفريقي، وانهيار مشروع أردوغان في السيطرة على سوريا من خلال قوى الإسلام السياسي، أو حتى في اختراقها عبر المنطقة الآمنة التي كان يطمح إلى بسط نفوذه عليها، واستعادة العراق جانبا من عافية علاقاته مع أشقائه العرب وخاصة المملكة العربية السعودية، ونجاح الرياض في تجاوز ارتدادات أزمة مقتل خاشقجي التي كان يراد لها أن تكون مصدر إرباك للدولة ولمؤسسة الحكم، إضافة إلى تآزم علاقات أنقرة مع واشنطن ومع أغلب العواصم الأوروبية.

> تركيا الأردوغانية ربطت مصيرها بمصير الإسلام السياسي بجميع تفرعاته من الإخوان إلى القاعدة فداعش. وحاولت من وجهة نظر مرتبطة بتاريخها الاستعماري أن تلعب دور القوة الصانعة لقرار المسلمين في المنطقة والعالم. وعندما تمت الإطاحة بحكم الإخوان في مصر، شعر أردوغان أن مشروع الهيمنة فقد ركنا مهما وأساسيا في خارطته العقائدية

كل هذه المشاكل الداخلية والخارجية، تدفع بنظام أردوغان إلى إقناع شعبه بأنه مستهدف، وأن من يستهدفه من الخارج تلك الدول التي لا تريد لمشروعه التوسعي الإمبراطوري أن يصل مداه تحت عباءة الإسلام السياسي.

وتأتي دولة الإمارات على رأس اللائحة التي يعمل على ترويجها، وعندما لا يجد دليلا، يحاول أن يختلقه، لتكون قضية التجسس المصطنعة، والتي لا تخرج عن دائرة اعتناقه نظرية المؤامرة التي طالما كانت ولا تزال جزءا مهما من عقيدته السياسية، ومن عقيدة حزبه وأتباعه، والتي بلغت بنائب رئيس حزب العدالة والتنمية في مدينة إسطنبول تولغاي دمير أن ادّعى قبل عامين أن الأرض في الواقع مسطحة وأن مفهوم الكوكب يُشكل مؤامرة خطط لها كل من الكرسي الرسولي، واليسوعيين والماسونية.

وزير لبناني مسيحي يغضب عون وحلفاءه

ريشار قيوميجيان

طبيب أسنان يحاول اقتلاع أنياب الفساد السياسي

● "حرب التحرير" التي يعرفها قيوميجيان هي التي دفعته إلى استفزاز عون في الجلسة الوزارية الأولى بتذكيره بما فعله الجيش السوري به، ما أخرج الرئيس عن طوره ورد بالقول "لم أنس ما فعلتموه أنتم بي أيضا".

● أداء قيوميجيان يبدو أنه وقع كالصاعقة على فريق "حزب الله" والتيار العوني، حيث إنه لا يتوانى عن التعبير عن معارضته للسياسات "الشعبوية" لـ"التيار" ورئيسه.

صلاح تقي الدين

❑ يأتي تصريح وزير الشؤون الاجتماعية اللبناني ريشار قيوميجيان من قصر بعبدا بعد لقائه مع الرئيس ميشال عون قبل أيام، بأن هناك "مزاريب هدر كثيرة" ليتكامل مع طبيعة حضوره في الساحة السياسية اللبنانية، ومع البداية التي صبغت علاقته مع عون منذ لحظة تشكيل الحكومة الحالية.

وقد لا تواجه الحكومات في مختلف دول العالم أوضاعا شبيهة بأوضاع الحكومات اللبنانية، حيث إن ما درج على تسميتها بحكومات "وحدة وطنية" جمعت في صفوفها المكونات السياسية المختلفة من معارضة وموالاة، فضمت كافة القوى السياسية التي يتشكّل منها مجلس النواب، تجد فيها من هو "على الخط" ومن هو يسير "عكس الخط". ومن بين هؤلاء وجد من أطلق عليه تسمية "الوزير المشاكس" لأنه كان يعبر عن "معارضته" للقرارات الحكومية علنا، وهذه هي الحال في حكومة "إلى العمل" التي يرأسها الرئيس سعد الحريري وتضم قيوميجيان وزير حزب "القوات اللبنانية"، "المشاكس".

لعل السبب المباشر في "المشاكسة" التي يمارسها قيوميجيان هي خلفيته "العسكرية" فهو كان أحد ضباط "فرقة الصدم" التي أنشأها الرئيس الراحل الشيخ بشير الجميل إبان الحرب الأهلية، وقد انخرط في هذه الحرب مثله مثل أقرانه من اللبنانيين الذين كانوا يحاربون "أشقاءهم" في المواطنة، كلٌ حسب رؤيته في تلك المرحلة للوطنية والسيادة والاستقلال.

مختبر الحرب الكبير

قيوميجيان ظل ينتمي إلى "العسكر" حتى نهاية الحرب الأهلية، مختبرا الحرب التي خاضها حزب "القوات" ضد الجيش اللبناني الذي كان يقوده العماد ميشال عون في حينه، والتي عرفت بحرب "الإلغاء"، ومن ثم "حرب التحرير" التي شنها عون ضد قوات الاحتلال السوري والتي انتهت باقتحام السوريين لقصر بعبدا الرئاسي ونفي عون من لبنان.

تلك الواقعة بالذات هي التي دفعت قيوميجيان إلى "مشاكسة" الرئيس ميشال عون في الجلسة الوزارية الأولى بتذكيره بما فعله السوريون به، ما أخرج عون عن طوره ودفعه للرد بقوله "لم أنس ما فعلتموه أنتم بي أيضا".

> القول بأن «حزب الله» انتصر على إسرائيل بسبب دعم «التيار الوطني الحر» يبقى حسب قيوميجيان، موضع استفهام. فالتيار أمن منذ العام 2005 الغطاء المسيحي للحزب للمزيد من الهيمنة في الداخل. و«حزب الله» سائر في مشروعه مع أو من دون «التيار». واللبنانيون جميعا، كما يقول قيوميجيان، أمنوا الغطاء للحزب ضد العدو الإسرائيلي

ولد قيوميجيان في بلدة بطحا في قضاء كسروان محافظة جبل لبنان في العام 1962 وحاز على شهادة الدكتوراه في جراحة الفم وطب الأسنان، من جامعة القديس يوسف ببيروت عام 1984، وحصل على دبلوم دراسات عليا في طب عام الأسنان المتقدم وبيولوجيا الفم، من جامعة ميريلاند في بالتيمور. لكنه تابع تحصيله العلمي، في مجال آخر وحصل على دبلوم دراسات عليا في السياسة الدولية، من معهد السياسة العالمية بواشنطن.

تسلم قيوميجيان مسؤوليات عديدة فكان رئيسا لمصلحة طلاب القوات اللبنانية، كما تولى منصب أمين الإعلام في المجلس السياسي لـ"القوات". ورشحه حزبه إلى الانتخابات النيابية عن مقعد الأرمن الكاثوليك في دائرة بيروت الأولى، وكان المتحدث الرسمي باسم الحملة الانتخابية للقوات خلال انتخابات العام 2009.

ملف النازحين السوريين

تولى قيوميجيان في حكومة "إلى العمل" التي شكّلها الرئيس الحريري، حقيبة الشؤون الاجتماعية التي تسلّمها من سلفه؛ "رفيقه" في القوات النائب بيار أبوعاصي، الذي نجح في إقفال ملف الجمعيات "الوهمية" التي كانت "تتناتش" على قضم الميزانية المرصودة للوزارة والتي لا تتجاوز 1 بالمئة من الميزانية العامة للدولة، وهو ما أكّد عليه قيوميجيان أثناء حفل التسلّم والتسليم حيث أكّد متابعته لهذا الملف وإقفال أي جمعية لا تزال عاملة، داعيا اللبنانيين جميعا إلى التوجه إلى مكتبه "شخصيا" لتقديم البلاغات بحق مثل هذه الجمعيات ليُصار إلى إقفالها.

ويضع قيوميجيان ملف "العائلات الأكثر فقرا" في لبنان على رأس أولويات عمله، بعدما نجح سلفه في خفض عدد المستفيدين "الوهميين" من هذا الملف من 100 ألف عائلة إلى 44 ألفا، حيث يؤكّد وجوب متابعة التدقيق في هذا الملف لكي يُصار إلى توفير المساعدات لمن يستحقها حقا.

وإلى جانب الملف الاجتماعي الذي يعنى به قيوميجيان، وجد نفسه أمام ملف لا يقلّ أهمية بالمعنى "السياسي" وهو ملف النازحين السوريين، حيث وجد قيوميجيان نفسه إلى جانب الرئيس الحريري ووزير التربية والتعليم العالي أكرم شهيب في مؤتمر بروكسل الأخير الذي جمع الدول المانحة والمنظمات الدولية التي تموّل البرامج الكثيرة المتعلقة بالنازحين، وقد نجحت الحكومة اللبنانية بتأمين استمرار الدعم الدولي للبنان للاستمرار في إيلاء النازحين السوريين والمجتمعات المضيفة لهم العناية اللازمة والاهتمام المطلوب.

وأكّد قيوميجيان في حديث إذاعي على أن "القوات اللبنانية كانت أول من طالب بعودة النازحين إلى سوريا اليوم قبل الغد، ولكن هناك حملة تضليل تحصل حول الموقف الذي اتخذناه وهذه الحملة ليست إلا محاولة لذرّ الرماد في العيون"، متسائلا "لماذا هذا الابتزاز؟ النظام السوري يريد ابتزاز لبنان ويريد عودة النازحين بشروطهم وهذا ما لن نرضى به نحن أقله كقوات لبنانية".

مرحلة اضطهاد

تمايز حزب "القوات" عن "التيار الوطني الحر" الذي يرأسه وزير الخارجية والمغتربين جبران باسيل الذي يحاول انتهاج مسلك "شعبوي" بالإصرار على إعادة النازحين السوريين إلى بلادهم، وتصوير أن من يتعاطى مع هذا الملف بخلاف هذا الموقف، فإنه يسعى إلى توطين السوريين في لبنان.

وأضاف قيوميجيان "هل حين عاد 150 ألف نازح سوري من لبنان إلى بلاده، اعترضت القوات اللبنانية؟ هل حين تمت مفاوضات لفتح معبر نصيب، اعترضت القوات اللبنانية؟ من يفرض الرسوم الطائلة في معبر نصيب ويبتز اللبنانيين؟ من يمنع عودة النازحين ويجبر بعضهم على التجنيد الإجباري والتحقيق معهم واعتقالهم أو إخضاعهم لكي يكونوا موالين لنظامه؟".

وفي خلال مؤتمر حول النازحين السوريين نظمه "الحزب التقدمي الاشتراكي" فاجأ قيوميجيان الحضور الذي تقدّمه رئيس "الاشتراكي" الوزير والنائب السابق وليد جنبلاط، بثقافته العالية ولهجته الخطابية المتمكنة، وبأنه كان رغم انتمائه التقليدي إلى "الخط اليميني الانعزالي الطائفي"، إذ كان مدمنا على قراءة كتب الزعيم الراحل كمال جنبلاط "اليساري، الاشتراكي العروبي".

يروي قيوميجيان كيف لم يتسن له حضور جنازة والده الذي توفي أثناء وجوده خارج لبنان، خصوصا بعد أن تم تداول صورة له وهو يبكي عند قبر والده بعد تعيينه وزيرا في الحكومة الجديدة، حيث إن قيوميجيان غادر لبنان إثر مرحلة الاضطهاد والقمع بعد اعتقال رئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع في 21 أبريل 1994.

واليوم يعتبر قيوميجيان أن "الدخول إلى الحكومة هو بغية العمل والإنتاج لا تمرير الوقت، ويكفي اللبنانيين انتظارهم تشكيلها 9 أشهر". يقول "أصبح مشهودا لـ'القوات اللبنانية' ووزرائها بأنهم يتعاطون بشفافية، منطق، منهج، عقلانية وتحت سقف القانون. فيا ليت الجميع يلتزم بهذه المسلمات، المشكلة في كيفية التعاطي بالشأن العام وإدارة الدولة وبذهنية بعض من يديرها. هدفنا بناء دولة القانون والعمل وفق ما تفرضه الأنظمة والقوانين المرعية على الأجراء، بالإضافة إلى أخلاقياتنا وقيمنا كقوات لبنانية. بالتالي متى كان الدستور والقوانين هي الفيصل يجب ألا تقع المناكفات. من يلاقينا في العمل وفق هذا المنطق سنلاقيه طبعا".

حزب الله بمواجهة المسيحيين

تصريح الوزير باسيل في ذكرى تفاهم "التيار الوطني الحر" و"حزب الله" بأنه لولا الحزب لما كان الرئيس ميشال عون رئيسا للجمهورية ولولا التيار لما صمد الحزب في وجه إسرائيل، يرد عليه قيوميجيان بالقول إنه "لو لم يكن هناك دعم مسيحي لانتخاب الرئيس عون لكنا ما زلنا في الفراغ حتى اليوم، رغم دعم حزب الله للرئيس ميشال عون الذي دام طيلة فترة الفراغ التي امتدت لسنتين ونصف السنة. فلو لم تؤمن 'القوات اللبنانية' الضمانة الكافية له لم انتخب رئيسا".

> السبب المباشر في «المشاكسة» التي يمارسها قيوميجيان قد يعود إلى خلفيته «العسكرية»، فهو كان أحد ضباط «فرقة الصدم» التي أنشأها الرئيس الراحل الشيخ بشير الجميل إبان الحرب الأهلية، وقد انخرط في هذه الحرب مثله مثل أقرانه من اللبنانيين الذين كانوا يحاربون «أشقاءهم» في المواطنة، كلّ حسب رؤيته في تلك المرحلة للوطنية والسيادة والاستقلال

وحسب قيوميجيان فإن القول بأن "حزب الله" انتصر على إسرائيل بسبب دعم "التيار الوطني الحر" يبقى موضع استفهام. فالتيار أمن منذ العام 2005 الغطاء المسيحي للحزب للمزيد من الهيمنة في الداخل. و"حزب الله" سائر في مشروعه مع أو من دون "التيار". واللبنانيون جميعا، كما يقول قيوميجيان، أمنوا الغطاء للحزب ضد العدو الإسرائيلي. وآن الأوان أن يخف غطاء "التيار" للحزب كي يفرض نفوذه في الداخل لمصلحة الغطاء للدولة كي تفرض نفوذها في الداخل.

وبعد تشكيل حكومة "إلى العمل" وتسمية حزب "القوات" لوزرائه فيها، توقع الكثيرون ألا تحل تسمية وزيرة الدولة لشؤون التنمية الإدارية مي شدياق بردا وسلاما على قلب فريق "التيار الوطني الحر" وحليفه "حزب الله"، غير أن الواضح أن أداء قيوميجيان هو الذي وقع كالصاعقة على هذا الفريق، حيث إنه لا يتوانى عن التعبير وبطريقة لافتة عن معارضته للسياسات "الشعبوية" لـ"التيار" ورئيسه الذي يحاول كسب شعبيته على حساب من يمثله قيوميجيان، ومن هنا فإن تسميته بالوزير "المشاكس" تبدو الأكثر واقعية بالنسبة لباسيل وحلفائه، فهل سيستمر وزير الشؤون الاجتماعية في ممارسة "هوايته" أم أن "التضامن الوزاري" سيفرض نفسه على أدائه؟

مقاتل مغربي في برية الرسم

عبدالله الهيطوط

الباحث عن مفردات حياة عابرة

فاروق يوسف

❑ حين يكون الرسم عادة فإن النظر إلى العالم يكون مليئا بالمفاجآت الجمالية. هناك جمال في كل لحظة نظر. وهناك ما لا يُحصى من المسرات.

حينها يكون من اليسير على المرء أن يكون رساما. فكل شيء يصلح أن يكون موضوعا للتأمل. كل شيء يكتسب نضارة إذا ما امتدت إليه يد الرسام الذي ينصت إلى أصوات الأشياء من حوله.

الباحث عن أناه في الرسم

هذا ما يفعله المغربي عبدالله الهيطوط وهو يحتفي بكل شيء من حوله، يمحو ويضيف، يركب ويفكك، يلصق ويزيل، مطاردا "أناه" التي توزعت بين المشاهد التي شكلت نوعا من الذكريات الشخصية؛ فالرسم بالنسبة له هو نوع من ممارسة العيش. إنه يرسم ليحيا.

> فكرة «الغزو» هي التي تؤطر تجربته بقدر هائل من العنف. يذكرني سلوك الهيطوط بما كان يفعله الرسام الهولندي كارل آبل حين يرسم؛ الرسم باعتباره صراعا ضد عدو غامض، غير مرئي وقوي

الحياة كما نُحب. الحياة كما تُحب. تستحق أن تكون موضوعا للرسم. وهي في الوقت نفسه تتحول إلى مغامرة اكتشاف. يعيد الرسام اكتشاف الحياة على الورق لتفاجئه بسحرها. تظهر المشاهد التي مرت عابرة.

لا يتعلق الأمر بمحاولة استحضار بقدر ما يعبر عن رغبة ملحة في المساءلة حين تقوم عناصر الرسم بالتنقيب بحثا عن دلالة اختطفها مرح أو حزن كامنان.

لذلك فإن الهيطوط ليس من الرسامين الذين ينتظرون الإلهام. إنه يباشر عمله في أيّ لحظة كما لو أنه يعرف ما يريد القيام به من غير أن يكون كذلك.

ليس هناك من شيء يعيقه عن الرسم. علاقته بالرسم هي أشبه بعلاقة المرء بفكرته عن حواسه. وهو ما ينبئ عن تجريد هائل يعيد تنظيم العلاقات بين ما يُرى من الألم وما يظل خفيا.

أشبه بمَن يكتب مخطوطة، تبقى أسطرها التي لم تُكتب بعد عالقة بخيال زمنها، يلاحق الهيطوط عناصر لوحته؛ إنه لا يزيل عنها الغبار بل يجدها ناصعة وهي تومئ له بحذر وسط الحفلة التي يقيمها.

الهيطوط رسام لا يبالي بما ينتهي إليه من نتائج. تهمه البدايات والمنحى الذي تأخذه حياته وهو يمارس الرسم. الطريق لديه أهم من الهدف. فهو لا يرغب في الوصول إلى بضاعة متقنة الصنع من أجل تسويقها.

كائنات معفية من المعنى

ولد الهيطوط عام 1971 في لاله ميمونا بالمغرب. درس الفلسفة عام 1993 ثم عمل في التدريس. اهتم كثيرا بإقامة ورش فنية للأطفال وهو ما ألقى بظلاله على تجربته الفنية. عام 2011 بدأ بإقامة معارضه الشخصية إضافة إلى المعارض المشتركة التي كان أهمها "ورد أقل"، الذي أقامه عام 2018 مع الفنانين عزيز أزغاي وفؤاد شردودي تحية للشاعر الراحل محمود درويش.

وبالرغم من أن فن الهيطوط يتضمن الكثير من التجليات الشعرية فإنه يتلمس طريقه إلى الإلهام عبر تماسه بما هو مادي، وهو ما جعله يقف بين عالمي الإسباني أنتوني تابيس والأميركي باسكيات، محتفيا بما تطرحه المواد من حلول جمالية وبما تعبر عنه تلك المواد من حيوية تقرب المخفي من صلابته غير المتوقعة.

كان الهيطوط مسحورا دائما بكفاءة أصباغه وقدرتها على صنع الفوضى وهو ما تعلمه من رسوم الأطفال، لكن بحذر شديد. فهو يحتاط من أجل ألا يسمح لتلقائيته بالسيطرة على مهارته التي هي عدته في صنع عالمه، الذي يسعى إلى أن يكون مرآة لأفكاره. لا يرسم الهيطوط مثل الأطفال ولا يتشبه بهم غير أنه ينظر إلى النتائج التي تنتهي إليها رسومهم بإجلال، لكونهم كائنات معفية من المعاني.

مرثيات لحياة زائلة

"التجريدية سمحت لي بتغيير طريقة النظر إلى الأشياء. أي بالتفكير ببساطة وحرية بكثير من العفوية. لست تجريديا بالمعنى الكامل للكلمة" يقول الهيطوط، ويضيف "إذا كانت التشخيصية تركز على المظهر فإن التجريدية لا تقف عند القشرة بل تغوص إلى العمق. أنا رسام تجريدي بهذا المعنى على الأقل ففي القاع يكمن الجمال".

لا يميل الرسام إلى الوصف. لذلك فإنه سعيد باختراق القشرة. ولكن العنف الذي يسيطر على السطح التصويري يشي بما يحمله الهيطوط معه من العالم الخارجي؛ من آثار الحروب وتداعياتها. فإذا كان الجمال يكمن هناك فلا يمكننا الحديث سوى عن نوع متشنج من الجمال. تسيل الأصباغ كما لو تتدفق من جسد اللوحة مثل دم ضائع.

التجريد بالنسبة لهذا الرسام هو محاولة للنبش بحثا عن أصول النظرة التائهة التي يلقيها بشر، قُدر لهم أن يعيشوا حياتهم على عجل كما لو أنهم كائنات عابرة.

رسوم الهيطوط هي عبارة عن تسجيل لما يُرى من أثر للعيش العابر الذي يمس الأشياء بخفة وقلق.

تبدو تلك الرسوم كما لو أنها مرثيات لحياة زائلة.

ولكن الهيطوط يحتفي بالمنسيات في محاولة منه للتذكر. تظهر الأشكال الواقعية شفافة كما لو أنها في طريقها إلى أن تختفي. وهي ليست بالنسبة للرسام إلا ذريعة لتنشيط الذاكرة.

الباحث عن أناه في الرسم هو في حقيقته باحث عن ترجمة تلك الأنا من خلال مفرداتها الصغيرة. وهي مفردات لا يمكن جمعها عن طريق لصق بعضها بالبعض الآخر بل عن طريق القبول بتناقضاتها. لا شيء من الانسجام يمكن توقع ظهوره في لوحات هذا الرسام. فالأشياء التي يستلهم الهيطوط عنف ظهورها إنما يقف بعضها أمام البعض الآخر بقدر لافت من التحدي والرغبة في المحو والإلغاء. ألا يمكننا أن نتحدث هنا عن جمال مضاد لا يعترف بمفهوم الراحة؟

لا يتبع الهيطوط في صناعة لوحاته المبدأ الذي يدعو إلى بث الشعور بالراحة في نفس المتلقي سعيا من خلاله إلى الوصول إلى جمال آمن ومطمئن. إنه يفعل العكس تماما. فهو لا يستثني من شغبه أي شيء تصل إليه يداه. إنه يبث روح تمرده في الأشياء كما في المساحات اللونية التي تهاجمها كما لو أنها تمارس غزوا.

قتال ضد الرسم

فكرة "الغزو" هي التي تؤطر تجربته بقدر هائل من العنف. يذكرني سلوك الهيطوط بما كان يفعله الرسام الهولندي كارل آبل حين يرسم؛ الرسم باعتباره صراعا ضد عدو غامض، غير مرئي وقوي. نوع من الكفاح من أجل أن يقتنع المرء بكونه يفعل الشيء الصحيح. يقوم الرسام بالفعل ذاته غير أنه ينتج أشياء مختلفة. تلك هي مفاجأة سيكون عليه أن ينتظر تأثيرها النفسي على الآخرين.

بالنسبة للهيطوط فإن الرسم هو نوع من القتال. أحيانا يتسم ذلك القتال بالعشوائية فلا يصيب هدفه. في أحيان أخرى يكون تلقائيا وبدافع الغريزة. الرسام هنا يدافع عن نفسه ضد الوصفات الجاهزة. يحاول أن ينسى ما تعلمه. سيكون عليه أن ينسف الطريق التي مشى عليها من أجل ألا ينظر إلى الخلف.

لقد درب نفسه على أن يهدم. غير أن العالم الذي كان يبنيه الأطفال أمامه ترك أثرا عظيما في نفسه. في لحظات يحاول أن ينسى مهمته في الرثاء لكي يعيد إلى نفسه قدرتها على التفاؤل. وهنا بالضبط تبدأ رغبته في إعادة بناء العالم بطريقة تنسجم مع خياله. "تحت الخطوات يرتسم ممشى الأشياء التي تظهر وتختفي" يقول وهو يصف استعادته لوعيه بالعالم ممّن حوله بعد أن وهب نفسه للرسم باعتباره عملا سريا خالصا.

يرسم الهيطوط كما لو أنه يلقي تحية الوداع على عالم لم يعد في حاجة إليه، غير أنه في الوقت نفسه يهب ذلك العالم نضارة هي واحدة من هبات الرسم الخالص.

> فن الهيطوط يتضمن الكثير من التجليات الشعرية، إلا أنه يتلمس طريقه إلى الإلهام عبر تماسه بما هو مادي، وهو ما جعله يقف بين عالمي الإسباني أنتوني تابيس والأميركي باسكيات محتفيا بما تطرحه المواد من حلول جمالية

العرب الثقافي
كتب | مسرح | سينما | تشكيل

فناء منارات الإنسانية

مكتبات ومتاحف: حرائق وسيول ومحكيات

شرف الدين مجدولين
كاتب مغربي

❏ حين اشتعلت النيران في كاتدرائية نوتردام بباريس تابع المشهد الملايين من المتفرجين عبر ربوع العالم، لم يصدقوا أن تلتهم السنة اللهب معلمة بدت، إلى آخر لحظة، عصية على خطوب الدهر؛ بعد حروب دينية وقومية وعالمية، وفتن وثورات، ظلت فيها الكاتدرائية ناهضة، مقاومة للشر الإنساني، وللصروف العابثة. تجلى السؤال المنبهق في أذهان الجميع على النحو التالي: لِمَ حدثت الكارثة؟ وكيف؟ في بلد اصطنع لنفسه كل آليات الوقاية، والتأمين، والحماية المسبقة، لمكتباته ومتاحفه وصروحه المعمارية. اشتعلت النيران وكأنما في أي إسطبل بقرية من بلدان الجنوب الفقيرة، استدعى حينها الجميع حريق المتحف الوطني بريو دي جانيرو بالبرازيل الذي أتى على أزيد من عشرين مليون قطعة من التحف واللقى الأثرية التي تخلد حضارة هذا البلد، لم يتبق منها شيء إلا بضع نيازك لأنها جبلت من نار ورماد. في غضون ذلك تابع المشاهدون خراطيم المياه تسعى جاهدة لمحاصرة النيران، وكأنما المياه ستبقي على شيء غير الحجر. فالماء والنار معا لهما الأثر ذاته على اللوحات والمخطوطات، كلاهما مدمر ومهلك وماح.

قبل قرون طويلة تناوبت النيران والمياه في مشاهد إعدام المخطوطات والتحف والصروح منذ حريق مكتبة الإسكندرية على عهد يوليوس قيصر، حين امتدت نيران السفن المحترقة بميناء الإسكندرية لتلتهم المكتبة، ولم تكن المياه بعيدة، لكنها كانت ممتنعة، ودون جدوى، بعدها نشأت أساطير ومرويات متعددة عن ولادات متجددة للمكتبة، واحتراقات متلاحقة، لا يوجد ما يثبتها من صور، كل ما هو مثبت محكيات عن جدل النار والماء. وبعدها بقرون أغرق هولاكو مكتبات بغداد في دجلة، لم يرد أن يهيل على قيض بغداد قرًا عاتيا لجهنم دنيوية، لن تستنفذ مكتبات بغداد قبل أن تأتي على المدينة برمتها، فكان الماء بديلا شافيا، بات لون دجلة أكثر سوادا بفعل الحبر، كما يذكر مؤرخو اجتياح المغول. ثم تواترت الكوارث والفيضانات والحرائق والحروب ونوازع الشر والكراهية التي أتت على متاحف ومكتبات وكاتدرائيات ودور أوبرا وقصور كبرى، من روما إلى حلب، ومن سراييفو إلى بغداد، ومن روما إلى القسطنطينية، ومن برلين إلى القاهرة، ومن قرطبة إلى شنقيط... ما تبقى من كل ذلك هو فقط نصوص التقطت الكارثة وصورت المحتمل أو ما يمكن أن يقع.

هكذا انصرفت أذهان عدد كبير من متابعي حريق نوتردام دوباري إلى رواية فيكتور هوغو ومحرقته المتخيلة، كان النص ذريعة لتخطي الواقعة، وإعادة رسم أثرها، عبر الاستشراف التخييلي، فللرواية القدرة على أن توحي بأن الثابت والحقيقي المسترسل في الوجود، شيء آخر غير ما تمثله الوقائع المتعينة، وأن العمران والمدن وما يستوطنها من صروح أليفة، هو ما يوجد هناك في الكتب، عبر مجازات وتمثيلات ورموز، تونع من باطن الحجر والطين والزجاج والخشب والمعدن، وأن الحسي منذور للفناء، لا مجن له من الماء والنار، وما تتخذانه من أقنعة متقلبة بتقلب أهواء الزيغ البشري، ونوازعه للبدء في كل مرة من قاعدة الخراب المستشري.

في العشرات من الصور يتوقف روائيون عرب وإسبان وآخرون من جنسيات مختلفة، عند تفاصيل محرقة مكتبات الموريسكيين في غرناطة ما بعد سقوطها في يد مملكة قشتالة، من قبل الكاردينال خمينث دي سيسنيروس أحد رموز محاكم التفتيش، بعد أن تم تجميعها في سوق الحرير القديمة تحت باب الرملة، حيث أعدمت النار ما يفوق ثمانين ألف مخطوط من كتب الحضارة العربية بالأندلس، ويصف الروائي والمفكر البريطاني (الباكستاني) طارق علي، في روايته "ظلال شجرة الرمان" المحرقة المتخيلة بقدر غير قليل من الرغبة في قراءتها بعين الخراب المعاصر، المتشظي عبر ربوع العالم الإسلامي، يقول السارد في فقرة مضيئة من الرواية: "بعض المتفرجين كانوا في حالة من الأسف والحزن، وآخرون في حالة هياج شديد، عيونهم متقدة، ووجوههم يكسوها الغضب والتحدي؛ وآخرون ساكنون، تتمايل أبدانهم بلطف من هذا الجانب إلى ذاك، تكسو وجوهه تعبيرات خاوية جامدة. ظل أحدهم، وهو رجل مسن، يردد العبارة الوحيدة التي كان يمكنه التفوه بها في مواجهة الفاجعة: لقد غرقنا في بحر من العجز" (ص14).

كلمة "العجز" تحديدا هي ما يتخايل إلى الذهن والوجدان في كل اللقطات المشابهة المسترسلة في السيحان من "كابول" إلى "معلولا"، عجز جهنمي لا يجد له سبيلا لبُرء. ذلك ما تنطق به شخصيات نجيب محفوظ بصدد محرقة "دار الأوبرا" القاهرية، حيث يتحول فناء المعلمة النورانية إلى كناية عن انكسار إرادة، وإجهاض حلم جماعي التقطته عشرات النصوص الروائية والسيرية والتاريخية ما بعد نجيب محفوظ، حيث أضحى انمحاء دار الأوبرا الخديوية الأصلية علامة على نهاية القاهرة الكلاسيكية وما اتصل بها من قيم وطرز وأحاسيس وصور متغلغلة في خلايا الأذهان.

هل باتت الذخائر عبئا على الإنسانية؟ قد يؤكد صدق هذا الافتراض اطراد الفقدان الإرادي أو القدري لمعالم الحضارة، كما قد يؤكده، إلى حد كبير، ذلك اللهاث اللاعج إلى تحويلها تدريجيا إلى كيانات صورية وعوالم افتراضية، من المكتبات إلى المتاحف إلى الكاتدرائيات والقصور والمساجد ودور عبادة اليهود والبوذيين، يبدو أن الهوس بالنار والماء، دفع البشرية بالتدريج إلى الاستغناء عن الشيء في حسيته، ومن ثم أضحى تداول صور اللوحات والمنحوتات والزخارف بدل أصولها الثمينة، وصور المواقع بدل المواقع الأثرية، وصور المخطوطات بدل رزم الأوراق القادمة من قعر الزمن، وصور الكتب بدل الكتب،... قبل أسابيع قليلة سألني الصديق عبدالسلام بن عبدالعالي عن نسخة من كتاب "النقد المزدوج" للمفكر المغربي عبدالكبير الخطيبي في طبعة دار العودة ببيروت، فقلت له إنني متأكد أنني أمتلك النسخة لكن لم أعثر عليها في مكتبتي، فكان رده "يبدو أن المكتبة اليوم لم يعد لها معنى".

النار تلتهم ذخائر الإنسانية وتحولها إلى ذكرى

> إعدام المخطوطات والتحف والصروح وحرق المكتبات عمدا أو احتراقها في حوادث متفرقة ينبئ بكارثة حقيقية وتحول كبير في الحضارة البشرية

التحكم في البعد الرابع

دارين المساعد
كاتبة من السعودية

❏ عند فسحة تأمل. مساحة صغيرة من الوقت أتدبر فيها يومي قبل أن تغفو عيناي. أحاول إدراك ساعات استيقاظي وأسأل كل ستين دقيقة كيف مررتِ عليّ! أتهم نفسي بالتسويف مرات وأعترف بالذنب وأخرى ألقي اللوم على عصري وزماني ثم ماذا؟ يأخذني تحليل المستجدات إلى نوم عميق وعند الصباح أنهض وقد جرفني تيار الوقت الأحق المواعيد. لطالما كان الوقت والزمن هاجسي. أشعر دائما بأنني مهيئة لإنجاز ما لم أصله بعد. إذا فرغت رأسي من الأصوات أسمع صوتا داخلي يحثني على التعجل! لقد أرهقه الصبر على تخبطاتي في العوالم الملهية حولي. أما الوقت عامة فعلى نحو شديد التركيز أفكر أن ضياعه أمر قد يتعلق بدوران الأرض وترتيب الكواكب المتمردة على أماكنها. أمر قادم تسرع الأيام من أجله. وأنا مثل باقي البشر أعلم بأن النهاية حتمية لكنني أعيش وكأن الخلود حتمي أيضا.

مفهوم الزمن قد لا يعرف لأنه حسي! أراه حلقة من الأحداث تدور حول البشر. يشعرون بها في أيامهم في تكرارها واختلافها، في تغير مزاجيتهم ونفوسهم، في تبدل أحوالهم وأحوال الناس.

من تعريفات الزمن الصحيحة بنظري أنه البعد الرابع للأشياء، بمعنى أن كل مادة الله عز وجل خلقها وصممها بطريقة تجعل للزمن أثرا فيها، إذن التغيير الذي أصاب الشيء بفعل الزمن هو البعد الرابع للأشياء. وكل مادة يتسع بعدها الرابع بالمتغيرات والأحداث طالها الزمان ومر عليها بخيره وشره. وكم من الأزمان مرت علينا، وكم مساحة البعد الرابع لكل واحد منا؟

يتعاقب الليل والنهار، واللهث خلف ثغرة فراغ في وقتي يشعرني بالعطش لأيام ما قبل الإنترنت. عندما كان كل شيء يستغرق وقتا دون ضجر، يتطلب كل عمل مراحل انتظار لا يأس فيها. كانوا يسرفون بالوقت عملا وراحة وتواصلا؛ تواصلا بالوجوه والتعابير، تواصلا يسلي الخاطر ويقرب القلوب، تواصلا لا ينتهي فجأة بصورة وردة أو قلب. تواصلهم ينتهي بسلام ودعاء وأمنيات خير، لا تطبيقات تشتت انتباههم وتخفض رؤسهم وتحني ظهورهم. وقتهم ملك لهم لا يسرقه منهم إعلان مفروض. الإنسان بفطرة العجلة والملل بدأ يخترع ما يزيد من فرص توفير الوقت خلال أي عمل، قال تعالى "خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ"، الانتظار حالة تمقتها النفسَ البشرية. كماً أني أعتقد بأن الإسراع رد فعل على يقين الإنسان بقصر حياته. الشعور بأنه هو وعالمه وكيانه مجرد وقت وكل يوم يمضي بعضه مثل فتات هش يتفرق حين يواجه أخف نسيم! التكنولوجيا والحداثة رفعتا عن كاهل البشر أحمال المشقة الجسدية وآتتا نفوسهم غربة الذاكرة والإحساس. يطلبون من الأدمغة الإلكترونية حفظ أرقامهم وكلامهم وحتى لحظاتهم. شعور مرير إذا حاولت تذكر شيء واكتشفت أنك مرهون بذاكرة اصطناعية وأن كل ما خلق الله في دماغك من تعقيد مبهر ومذهل استغللته لتسجن نفسك داخل ذاكرة قد تمحى وتمحيك.

يجدر بنا في مرحلة ما لن نصلها إلا بالإيمان أن نستسلم للنظام الكوني، فلم يخلق بهذه الصيغة إلا لحكمة من الله.

يقول الوزير ابن هبيرة:

الوقت أنفس ما عنيت بحفظه
وأراه أسهل ما عليك يضيع

الحرص على تنظيم الوقت أبرز ما تركز عليه التنمية البشرية، لأن إدارة الوقت هي العملة الوحيدة التي يمكن من خلالها شراء الإنجاز. أولا حدد أهدافك واقترح أن تجعل الأولوية يومية ثم أسبوعية.

تجنب التأجيل وحاربه بعداوة فهو شديد السمية. يتفشى من خلاله التسويف في عاداتك فتضحي بلا همة ودون هدف. تحسب أنك متمم أمرك وأنت أبعد عنه من السماء عن الأرض.

تتحلل طموحاتك ويمضي عمرك وتهجر مواقد عزيمتك وتختنق في قيد الإحباط. ينقشع العمر وكأنه لم يكن وكأنك أنت أيضا لم تكن.

حاول أن تتعلم التفويض وتتبادله مع الغير. جميل جدا أن يكون التعاون سبيلك لتوطيد العلاقات وتسهيل الإنجاز وتبادل الخدمات الإنسانية. اعزم أن تكون لكل يوم فرحة تحقيق ترفعك درجة أمام نفسك. وقتك ملكك اقبض عليه بالتنظيم، ولتبدأ الآن.

حبوبتي كنداكة

باسم فرات
كاتب عراقي

❏ انتشر في مواقع التواصل الاجتماعي تسجيل مرئي لفتاة سودانية تهتف "حَبُّوبتي كنداكة" مستنهضة همم الشعب السوداني في انتفاضته ضد نظام البشير، ولا أود الدخول في الانتفاضة ولا تاريخ الكنداكات، ولكن أود التطرق إلى مفردة "حبوبة" فقد قرأت تعليقا ذكر صاحبه أن لفظة حبوبة "باكستانية الأصل وتعني سيدة كبيرة السن، أو العجوز"، وحين أوضحت بأن هذه الكلمة "عربية" وتعني في السودان ما تعنيه في العراق أي "جدة" كان رده التالي: "اللغة العربية فيها الكثير من الدواخل من باقي البلدان، وربما ما زلنا نسجل في القاموس كل مصطلح جديد يتداوله الناس ويؤخذ في ما بعد على أنه عربي الأصول، لغتنا العربية هي فصحى بحت، ولا يوجد في قاموسها كلمة حبوبة بمعنى الجدة".

فهل حقا هذه الكلمة "باكستانية"؟ وأن لغتنا العربية يخلو معجمها من الكلمة؟ وأن لا وجود للوزن "فَعُول"؟

من أدوات اللغويين المعاصرين في تفصيح العامية؛ أو ما يُسمى بالصواب اللغوي؛ أنهم يأتون بالاستعمالات الجديدة لبعض الألفاظ ويحاولون التوصل إلى طريقة إدخالها إلى القاموس العصري من خلال مطابقتها وقياسها على الأصول العربية، فإن وافق العربية فالكلمة صحيحة، بحيث تجري على التقاليد العربية. فاللغة غير الكلام، والكلام يكون فيه إبداع الجديد، ثم يتدخل اللغويون لوضعه من خلال آليات الحفاظ على اللغة وتطورها في آن. فلا يمكن إنكار التطور التاريخي للغة وللكلمات واستعمالاتها.

وكلمة "حبوبة" يمكن إدخالها إلى القاموس العصري، لأنها على وزن عربي. فالحبوبة مشتقة من الحب، وهي عربية لا غبار عليها. لكن الجذر (فعُول) وفيعول وفعلون وفاعول من الجذور التي لم تنتشر في البيئة العربية القديمة، بل بقيت في البيئات الحضرية فقط. فاعول كان يدل على الآلة مثل قابوس وفانوس وفعلون أكثر في الأندلس وشمال أفريقيا. وفعُول بقي صيغة مبالغة، فالحبوبة هي كثيرة الحب. واستعمالها بمعنى الجدة منتشر في العراق والسودان وربما أماكن أخرى بينما في بعض مناطق المغرب تستعمل للبنت الصغيرة التي تكون محبوبة الأسرة. فمن أسماء الله الحسنى (القيُّوم)، ومسألة انتقال معنى الكلمة لتؤدي معنى آخر هو من إبداع الناس، من باب التطور الدلالي الذي أنتجته العامة لحاجته وتماشيه مع الذائقة، وقد أطلقوه على العجائز والجدات لظرافتهن وأنس مجالسهن فهن محببات عند أحفادهن. أما عن استعمال (حبوبة) فهو لفظ مستعمل، بل هو تسمية أو لقب لبعض الناس.

أما أن تكون كلمة "حبوبة" باكستانية، فلا وجود للغة باكستانية، وواضح أن لغتهم الأوردو، وهذه اللغة أقدم نصوص لها في القرن الرابع عشر الميلادي، بعد أن أصبح منجز اللغة العربية قد فاق الأربعة ملايين كتاب، وهو أكبر تراث عرفه تاريخ اللغات، ومجمل عدد كتب التراث العربي خمسة ملايين.

وكانت الأوردية شفاهية وتم تدوينها في القرن التاسع عشر. وهنا أود أن أوضح أن تسلسل اللغة العربية من حيث التدوين ولا أقول الكتابة، هو الرابع، والتدوين أشمل وأوسع، ومرحلة أعلى من الكتابة، أما اللغات التي سبقتها فهي السريانية واليونانية واللاتينية، بينما اللغات الأخر تكاد تخلو من التدوين؛ وإن كان بعضها يملك كتابة واسعة وغزيرة.

المزاج العام في وقتنا الراهن، مناهض للعروبة، لأن أنظمة حملت رايتها سياسيا؛ حكمت لعقود بعنف وفساد إداري أدّت إلى إنكار الناس لهويتهم، لكن المعضلة الكبرى أن النخب في غالبيتها لا تميز بين أنظمة جائرة وهوية شكلتنا، وجمعتنا تاريخا ولغة حين تبناها الجميع وأبدعوا فيها وأثروها، وهذا ما نراه في السلبية المفرطة التي ينشر ويكتب ويتحدث بها كثير من الناس بما في ذلك كثير من المحسوبين على النخب، وهؤلاء يفتون بغير علم.

رجل ممدّد تحت شجرة تفاح وفي قلبه طلق ناري

جبّور الدويهي: لطالما حلمت برواية بوليسية ذات أفق فلسفي

يخوض الروائي اللبناني جبور الدويهي تحديا لكتابة رواية بوليسية عربية لا تتلاشى بعد قراءتها

خيط وثيق يظل رابطا بين الكاتب وموطنه مهما غادره إلى أمكنة أخرى، أو باعدت المسافات بينه وبين ذكريات طفولته وأزقة مدينته، ومن ثم يصير الوطن بحاضره وماضيه هاجسا وشاغلا مستمرا للكاتب، لاسيّما حينما يكون ذلك الوطن هو لبنان، الذي قُدّر لكُتّابه ألا تغادرهم فوضى الحروب والصراعات. "العرب" حاورت الروائي اللبناني جبّور الدويهي حول مكونات عالمه الروائي، والفضاءات الجديدة التي يطرقها في روايته الجديدة.

حنان عقيل
كاتبة مصرية

❏ "ملك الهند" عنوان الرواية الصادرة حديثا لجبور الدويهي عن دار الساقي للنشر، وهي رواية تدور أحداثها حول جريمة قتل. يتحدث الدويهي عن دوافع كتابته لهذا النمط قائلا "تعجّ الروايات بالجرائم وأول ما انطلقت في كتابة روايتي الجديدة "ملك الهند" ألحّت عليّ صورة رجل ستيني أنيق يعتمر قبعة قش بشريط أحمر ويرتدي بذلة من الكتان الأبيض يُعثر عليه في أطراف بلدته اللبنانية مصابا بطلق ناري واحد لجهة القلب تحت ظلال شجرة تفّاح الجبل في مكان مطلّ على البحر الأبيض المتوسّط. وكنت دائما استعيد من ذاكرتي صورة رجل يشبهه كان يمرّ أمام منزلنا ونحن صغارا وبيده صحيفة باللغة الإنكليزية يردّ بها عن رأسه أشعة الشمس

> يوضح الدويهي أن في غالبية أعماله هناك «سرّ» صغير يبقى دفينا يعبّر فيه عن ميله للألغاز البوليسية ويحفز على التساؤل، لاسيّما مع حبه للروايات البوليسية وخصوصا الأميركية منها، فقد كان يحلم دائما برواية بوليسية لا تنتهي مع الفراغ من قراءتها. أي الوصول إلى المزج بين «الأدبي» والبوليسي

كنت أخترع له حياة في الأمكنة التي لا بد أن يكون عاش فيها قبل عودته. هكذا "تورطت" في جريمة كان عليّ كشف ملابساتها واحتمالاتها من دون قرار مسبق بكتابة رواية بوليسية، وهي في الواقع ليست كذلك إذا ما نظرنا إلى أسلوبها الكتابي الذي يشبه روايات الخيال الأدبي العامة.

الألغاز البوليسية

بينما تجتذب الروايات ذات الطابع البوليسي قطاعات كبيرة من القراء، يظل التعامل النقدي معها جافا ومُتعاليا، وهو ما يُشكّل تحديًا بالنسبة للكاتب. يوضح الدويهي أن في غالبية أعماله هناك "سرّ" صغير يبقى دفينا يعبّر فيه عن ميله للألغاز البوليسية ويحفز على التساؤل، لاسيّما مع حبه للروايات البوليسية وخصوصا الأميركية منها، فقد كان يحلم دائما برواية بوليسية لا تنتهي مع الفراغ من قراءتها. أي الوصول إلى المزج بين "الأدبي" والبوليسي.

يرى الدويهي أن إعراض النقاد العرب عن النوع البوليسي يأتي بسبب عدم التقائهم به، وبرأيه، فإن غياب النوع في أدبنا له أسباب، تتعلق بتركيبة مجتمعاتنا وتخلف أجهزة التحقيق الجنائي وغياب الجرائم "الغامضة"، ففي لبنان مثلا تأتي تقارير تقول إنه تم الكشف عن جميع الجرائم التي ارتكبت في العام الماضي واعتقال جميع الفاعلين.

تتوزع أحداث الرواية ما بين لبنان ودول أخرى وتنطلق من حس بوليسي إلا أن الكاتب اختار عنوان الرواية "ملك الهند" رغم عدم تماسه مع الأحداث بشكل واضح، يُبيّن الدويهي أن اختيار العنوان جاء مجانيًا ورغم ورود عبارة "ملك الهند" مرة واحدة في النص فهي لا تعبّر عن أي مضمون للرواية بل تثير فضولا لا يرتوي تماما كما التي قد لا تجد حلاً في مجتمع انكشفت فيه جميع الجرائم وهذا هو التحدي الذي طرحه على نفسه.

أُلفة الكتاب

نشر الدويهي أول عمل إبداعي له بعنوان "الموت بين الأهل نعاس" عام 1990، ومن ثم فقد تأخر في ولوج عالم الكتابة الإبداعية، وعن هذا يقول "وصلت إلى الكتابة الروائية متأخرا، في الأربعين من عمري، بعد أن مارست التدريس وبالتحديد تدريس الأدب والأدب الروائي خصيصا في الجامعة اللبنانية، فخلقت هذه الألفة مع الكتابة الروائية ورحت أجرّب نفسي وكما يقال بالفرنسية إن الشهية تأتي مع الأكل فانتقلت هكذا من كتابة القصص القصيرة إلى الروايات وبتّ عاجزا عن التوقف لأن الكتابة كانت ولا تزال متعة حياتي ولم أعد أتخيّل حياتي وأيامي من دونها".

بعد طول مراس في الكتابة الإبداعية يرى الدويهي أن الكتابة باتت أكثر سهولة بالنسبة إليه، لاسيّما مع المراس والتقنيات والانتقال من الكتابة بقلم الرصاص إلى لوحة مفاتيح الحاسوب، فهو لا يندم على كتاباته الأولى لأنه بدأ متأخرا، أي ناضجا إلى حدّ ما، ولأنه يمنح نفسه الوقت الكافي للكتابة والمراجعة، بمعدل ثلاث سنوات للرواية الواحدة.

قبل أن يشرع الدويهي في خوض غمار الكتابة الإبداعية، كان قد قطع شوطا في تدريس وممارسة النقد الأدبي، وفي بعض الأحيان قد تفرض صرامة النقد على الكاتب حدودا لا تُناسب جموحه الإبداعي، وهنا يقول الدويهي إنه لم يجد رابطا واضحا أو واعيا بين موقعه كمدرّس للأدب وبالتالي "ناقد" للروايات وامتهانه الكتابة الروائية فهناك، كما خبر، هوة تفصل بين الممارستين وكل كاتب في أي مرحلة من حياته الكتابية يكون مبتدئا ينسى أصول النقد ليغوص في عالم الخيال الروائي الذي لا قاعدة له خارج قدرات صاحبه الذاتية. بالطبع إن الثقافة شرط جوهري للكتابة لأن الرواية نوع اختبر منذ قرون في العالم أجمع وعلينا أن نتطلع قدر الإمكان على الإنجازات المعروفة في هذا المجال.

هاجس الواقع

في رواية "طبع في بيروت" يجعل الدويهي قصة قرن من تطور الطباعة في بيروت موازية للتحولات السياسية والاجتماعية في لبنان، يوضح الدويهي: جئت إلى رواية "طبع في بيروت" من أماكن عدة منها ما ذكرت أي تمرير تاريخ بيروت من خلال مطبعة بمعنى أن ما يجري داخلها يعكس أحداثا وظواهر اجتماعية موجودة خارجها والحقبات السياسية والثقافية التي مرت على العاصمة من العثمانيين إلى الانتداب الفرنسي وصولا إلى الاستقلال فالحرب الأهلية. ومن جهة أخرى كان لا بدّ في هذا السياق من رواية التحولات على مهنة الطباعة والنشر، بين ازدهار وتدهور من اليدوي إلى الرقمي. وكانت لي هواجس عديدة أخرى حول الكتابة وعلاقة الكاتب بنصّه وأحوال الكتاب مع النساء ومع تقييم الآخرين لهم.

يكتب الدويهي من خلال هاجس التاريخ والواقع اللبناني وتحضر الحرب الأهلية اللبنانية بتنويعات مختلفة في أعماله، في الوقت ذاته فإنه يحرص على تجنب التكرار والتشابه بين الأعمال الروائية، وهنا يلفت إلى أن رواياته تدور حول أزمنة وأمكنة يعرفها واختبرها وكونه ينهل من الواقع لا بد أن تكون كتاباته "لبنانية" بمرجعيتها، تصف وتعبّر عن أحوال اللبنانيين ومعيشتهم وكانت له في هذا الإطار رواية تحكي عن بلدته حصرا، "مطر حزيران"، وكانت هي الرواية التي ترجمت إلى أكبر عدد من اللغات الأجنبية وعرفت انتشارا واسعا. فالمحلية في الأدب خرافة يمكن دائما تجاوزها طالما الناس متشابهين بالأهواء والسلوك والموقف من الحب والموت، كل ذلك شرط أن يحملها أسلوب كتابي ولغة منفتحة. كما أنه يتحاشى التكرار بشكل واع ويبحث في كل مرة عن توليفة روائية (تعامل مع الزمن السردي، تسلسل الأحداث، تراتب الشخصيات..) لا تشبه سابقاتها ويمنح نفسه الوقت اللازم لذلك.

ويستطرد: احترم كثيرا واقعية الأحداث والمواضيع وأجري دائما أبحاثا تؤمن المطابقة مع الحقائق التاريخية أو العلمية. "طبع في بيروت" دفعتني إلى أكبر قدر من المراجعات والتدقيق بسبب تنوع مواضيعها (الطباعة، الكتابة، تزوير العملة، تاريخ بيروت وقرأت حوله الكثير من الكتب أولها كتاب سمير قصير...)، أما "مطر حزيران" فلم أضطر لكبير جهد لأنها حكايتي وحكاية أهلي، أعيش فيها وفي ذكراها وأعرف كل ما يتعلق بها عن ظهر قلب.

ثقافة المقاومة لأجل الحرية

المثقفون السودانيون لم يقودوا الحراك الاجتماعي لكنهم جزء فاعل فيه

محمد الحمامصي
كاتب مصري

الروائي مهند الدابي مع الكاتب حسام بشير

❏ حضر المشهد الثقافي السوداني داخل الثورة الشعبية التي أطاحت بالرئيس عمر البشير وأركان نظامه، حضر مثقفوه في الداخل والخارج سواء داخل الحراك المجتمعي الثائر واعتصاماته، أو على صفحات الجرائد والمجلات ومواقع التواصل الاجتماعي على اختلافها، هؤلاء المثقفون الذين عانوا الأمرين سجنا ونفيا وتشريدا ومصادرة على مدار سنوات طويلة من مواجهة نظام فاشي بصبغة دينية إسلاموية، من خلال أعمالهم الابداعية شعرا وقصا ورواية وفنا تشكيليا ومقالات. في هذا التحقيق نتعرف على السبل التي سلكوها لخدمة مستقبل وطنهم السودان، وفي هذا السياق يتبادر إلى الذهن فورا السؤال عما إذا كان يمكن للحراك السوداني أن ينجح في إنجاز ما أنجزه وصولا إلى إسقاط دكتاتورية البشير، من دون أدوار المثقفين.

الروائي منصور الصويم أكد بداية أن دور كتاب ومثقفي السودان في المقاومة لم يكن وليد هذه اللحظة التاريخية الفارقة من عمر الدولة السودانية، وإنما كان دورا نضاليا تراكميا مستمرا لثلاثين عاما هي عمر هذا النظام البائد؛ دور مستمد من قيم الوعي والإيمان بالإنسان وأحقيته في حياة كريمة، ويمكن ملاحظة ذلك بسهولة إذا ما توقفنا عند العدد المهول من المثقفين والكتاب السودانيين الذين نفيوا وتشردوا جراء السياسات الغاشمة للنظام المخلوع.

وقد لعب هؤلاء بشكل خاص ودقيق جدا دورا محوريا في هذه الثورة العظيمة التي أطاحت بالبشير وهي في سبيلها إلى الإطاحة بأذيال نظامه والتي ما فتئت تحاول سرقة جهد الثوار وتزييف مكتسبات الثورة، فقد كان للمثقفين والكتاب المهجريين – إضافة إلى الموجودين بالداخل – الدور الأكبر في تحريك وتفعيل الوعي الشبابي الجمعي؛ وللوسائط الحديثة ومواقع التواصل الإشراق الأكبر في وصل هؤلاء المثقفين والكتاب بالجيل الشاب الثائر والمصادم. وفي اعتقادي الشخصي أن الشعار المشرق لهذه الثورة المبني على "السلمية"، لم يكن ليتحقق لو لم يلعب هؤلاء الكتاب والمثقفون دورا تصبيريا حقيقيا روض الغضب الثوري المنفلت بجرعات الوعي المطلوبة. هذا بشكل عام أما على الأرض وبين الثوار، فالمثقفون والكتاب موجودون ممثلين عن كياناتهم النقابية التي أعلنت منذ البدء انضمامها إلى "تجمع المهنيين السودانيين" المحرك الفعلي لهذه الثورة العظيمة. ومعروف أن سجون ومعتقلات البشير استقبلت المئات من الكتاب والمثقفين ضمن الألوف من السودانيين الثوار الذين حاولت قمعهم وتحييدهم، وربما ستدهش إن علمت أن آخر أيام النظام البائد شهدت ابتكارا أمنيا قمعيا فريدا أُطلق عليه "الأمن الثقافي"، وهو فرعية أمنية قصد منها إرهاب وقمع المثقف السوداني بشكل خاص. إذن، يا صديقي، لم يكن المثقفون السودانيون خارج الحراك، بل كانوا في قلبه، ثائرين بين الثوار لأنهم جزء منهم لا ينفصل أو ينقطع أبدا.

بدوره، أكد الشاعر والكاتب محمد نجيب محمد علي أن "خلف كل ثورة تقوم في أي بقعة من العالم يوجد إبداع وثقافة يمهدان لها الإشتعال، إذ أن الثورة في ذاتها هي حالة ثقافية وإبداعية، وثورة السودان التي انطلقت في أغسطس من العام الماضي ولا تزال ترسم خارطتها الكاملة سبقتها محاولات كثيرة. بدأت بعد فترة ليست طويلة من الانقلاب الذي حدث في عام 1989، وإذا ما حاولنا أن نرصد الدور الذي قام به المبدعون طيلة تلك الفترات التي سبقت اكتمال جنينها نجد أن أغلبهم دفعوا مهرا غاليا بين السجون والمنافي، ومن أشهر الشعراء الذين عانوا الكثير من عذابات السجون جراء قصائدهم وأغنياتهم التي لعبت ولا تزال دورا في إشعال الثورة والتبشير والتنوير بها هو الشاعر لمخوب محمد شريف الذي رحل عن عالمنا قبل سنوات قليلة جراء معاناته في السجون لفترات تجاوزت الـ13 عاما. كانت نتيجتها إصابته بداء في الرئتين لم يمنعه من أن يكتب آخر قصيدة له قبل ساعات من رحيله في المستشفى يقول فيها:

أقول دون رهبة
أقول دون زيف
أموت لا أخاف
أين أو متى وكيف
بغتة مستمتعا بأنجم السماء ليل صيف
رصاصة في القلب
أو طعنة من سيف
أموت لا أخاف
أين أو متى وكيف

ويختم القصيدة بقوله:

أموت لا أخاف
كيفما يشاء لي مصيري
أموت لا أخاف
قدر ما أخاف
أن يموت لحظة ضميري
من أين أتى هؤلاء؟

وأضاف الكاتب، "غير لمخوب هناك الكثير من الشعراء الذين ذاقوا ويلات السجن بل بينهم من اختفوا عن الحياة، ولا يعرف لهم حتى اليوم أثر مثل الشاعر أبوذر الغفاري والذي كتب الكثير من قصائد النضال والثورة، وبجانب الشعراء هنالك الروائيون والكتاب والمثقفون ولعل أشهرهم الطيب صالح صاحب موسم الهجرة للشمال والذي تساءل يوما بقولة مشهورة "من أين أتى هؤلاء" وأيضا نجد الكثير من كتابات الأجيال المتعاقبة مثل كتابات الشاعر والمسرحي الراحل محمد مهي الدين وكتابات فضيلي جماع ومحمد المكي إبراهيم وعالم عباس وحافظ محمد نور وعماد البليك وحمور زيادة صاحب رواية شوق الدرويش الفائزة بجائزة نجيب محفوظ والكاتبة الروائية سارة عبدالمنعم صاحبة رواية الملكة وصبي الأفيون وبجانبهم شعراء العامية الذين فعلوا الكثير في تنوير الشعب وتحريضه على الثورة أمثال الراحل محمد الحسن حميد والشاعر محمد طه القدال وأزهري محمد علي وغيرهم كثيرون يصعب دون شك ذكرهم كلهم في إجابة مختصرة.

ولفت إلى أن لأدباء وكتاب وشعراء السودان أدوارا كبيرة في نشر الوعي الثوري والإنساني والذي صاحب هموم الناس وتطلعاتهم إلى المستقبل الآتي، ونتيجة كل ذلك الثورة التي تحدث الآن لترسم خارطة سودان الأعماق بعيدا عن الهيمنة السياسية التي عذبت الناس وعانوا منها ماعانوا في شتى زوايا الحياة.. وكانت أجمل قصائدها الشهداء الذين دفعوا أرواحهم مهرا لها ومحبة للسودان الوطن. ودون شك سيأتي الوقت الذي يكتب فيه عن دور الكتاب وإبداعاتهم في تحقيق الثورة والأدوار التي لعبوها. وأعود وأقول خلف كل ثورة إبداع وثقافة وكتاب يضيئون لها الطريق ويمهدون لها فجرها.

الكلمة في مواجهة الطغيان

وقالت الروائية والباحثة آن الصافي "القنوات المتاحة هي التي تمثلت في شبكة الإعلام الجديد بينما العالم صمت على ما دار منذ أول يوم للثورة، ولكن الشعب السوداني بجميع طوائفه قال كلمته ضد الطغيان والظلم والفساد الذي تمثل في تيار شرذمة مثلها الحزب الحاكم وعلى رأسه عمر البشير وزبانيته. بعض القنوات العربية والعالمية كانت تتناول الأحداث على استحياء من حين إلى آخر، ودائما هناك تقليل من شأن ما يدور، مثل ذكر أرقام الثوار المعتصمين بالمئات وهم فاقوا الملايين! وذكر أنها مجرد تظاهرات وليست ثورة لحاجة في نفسهم لم تهمنا بالتأكيد.

إن تجمع المهنيين مثل رأي الشعب السوداني، منحناه كامل الثقة. وكل ما أشاروا لنا به عبر حساباتهم بتطبيقات التواصل الاجتماعي تبنيناه كل منا حسب طاقته. مهم جدا أن تقال كلمة الحق وبث الروح الثورية من قبل من يمتهنون الكتابة ويهتمون بالشأن الثقافي. هذه ثورة مجتمع

> خلف كل ثورة تقوم في أي بقعة من العالم يوجد إبداع وثقافة يمهدان لها الإشتعال، إذ أن الثورة في ذاتها هي حالة ثقافية وإبداعية، وثورة السودان التي انطلقت في أغسطس من العام الماضي ولا تزال ترسم خارطتها الكاملة سبقتها محاولات كثيرة

المثقفون فاعلون

ولفت الشاعر والروائي عادل سعد يوسف إلى أن إدوارد شيلز رأى أن المثقفين أولئك الأشخاص الذين يوظفون معاملاتهم وعباراتهم رموزا عامة ومرجعيات

☜

الروائي محمد الطيب في الاعتصام

آن الصافي

الشاعر عادل سعد والقاص الهادي علي

مجرَّدة متعلقة بالإنسان والطبيعة والكون بكثافة أكثر من أفراد المجتمع الآخرين. وقال "إذا استندنا إلى هذا التعريف مقروءا بتاريخ السودان الحديث فقد ظل المثقف يلعب دورا بارزا في كل الحراك الوطني، دون أن يتخلف عن إنتاج فعله الثوري عبر الممارسة التنظيرية أو الإبداعية، ومن هنا يكتسب المثقف والكاتب السوداني ميزة ذات خصوصية منذ مؤتمر الخريجين إلى هذه اللحظة، بغض النظر عن رأينا الخاص في ما آلت إليه الأمور بعد ذلك، إلا أن هذا الدور يمكن أن يخبو أو يتوهج تبعا للفضاء السياسي الضاغط، أعني في الفترات التي سيطرت الدكتاتوريات على الحكم في السودان. لكن يظل المثقف السوداني فاعلا وملتزما بقضايا شعبه وطموحاته. لذلك ظل المثقفون والمبدعون طيلة السنوات الثلاثين الماضية يتحركون جنبا إلى جنب مع الكيانات المجتمعية الأخرى رغم التهميش والإقصاء والبطش الذي طالهم. وهم باقون حتى يتم تحقيق الثورة بمفهومها الكلي والقضاء على نظام البشير وتصفية جيوبه الإسلاموية".

> قاومنا العنصرية بالكتابة عن دارفور والنيل الأزرق، وحافظنا على رباطنا الاجتماعي بالكتابة، وأزلنا الفوارق الطبقية المتعمدة بالكتابة. وثقنا وحافظنا على موروثاتنا العريقة بأقلامنا فوصلنا إلى ما نصبو إليه، وسنواصل مسيرة الوعي استشرافا لمستقبل يستحقه الشعب السوداني وهو دورونا الطبيعي

وخلص عادل سعد إلى أن المثقف والمبدع يدركان التشكلات المرتبطة بالواقع وأيضا المتغيرات ويمتلكان درجة من "الوعي الخلاق" بحسب تعبير الجابري، يعبران من خلاله عن مجموع هذه التشكلات. ويصبح قادرا، أي المبدع، على خدمة الثورة، نعلم أن هناك مبدعين ليست لهم علاقة بالسياسة أعني غير مرتبطين أو متجذرين في أيديولوجيا حزبية، لكنهم عبّروا عن قضايا الإنسان من خلال متونهم الإبداعية، وهذا لا ينتقص من دورهم أبدا. كما في المقابل مثقفون وكتاب وقفوا ضد إرادة شعوبهم في الحرية والكرامة الإنسانية، وهذا يشكل استثناء وليس قاعدة، لقد استدرجتهم السلطة إلى فخاخها وأصبحوا أحد أبواقها الترويجية. وعلى الرغم من خطابات ما بعد الحداثة ومنزلقاتها التعريفية والمرجعية يظل دور المثقف العربي مرتبطا بمدى المسافة المتصلة والناقدة في آن لمشروعات السلطة وخطاباتها التي تعمل على فرض هيمنتها على الشعوب.

ترجمة التراكم

وأكد الروائي محمد الطيب أن ما حدث ويحدث الآن في الشارع السوداني يشكل ترجمة لتراكمات وعي اشتغل عليها المثقف السوداني منذ أول اصطدام فعلي له بالوجه الحقيقي للحكومة السابقة في بداياتها في تسعينات القرن الماضي، التسعينات الحالكة، في ذلك الوقت وعى مهندس الحركة الإسلامية ومنظرها حسن الترابي أن عقبته الكؤود التي تحول بينه وبين السيطرة على السودانيين تتمثل في وجود المثقف الواعي، فقام بمحاربة الكتاب والمثقفين والفنانين والتشكيليين والمسرحيين، سجن منهم من سجن، وشرد البقية، بينما ظل قليلون ممسكين بالجمر.

ثقافة مقاومة

الكاتبة سارة حمزة الجاك قالت "قاومنا العنصرية بالكتابة عن دارفور والنيل الأزرق، وحافظنا على رباطنا الاجتماعي بالكتابة، وأزلنا الفوارق الطبقية المتعمدة بالكتابة. وثقنا وحافظنا على موروثاتنا العريقة بأقلامنا فوصلنا إلى ما نصبو إليه، وسنواصل مسيرة الوعي استشرافا لمستقبل يستحقه الشعب السوداني وهو دورونا الطبيعي. لقد تشربنا معاني حروفنا من إرثنا الثقافي، صلاح أحمد إبراهيم، لمخوب شريف، محمد الحسن، سالم حميد، الطيب صالح، ملكة الدار محمد، وكل شيء سجل اسمه بحروف من نور في مسيرة الوعي السودانية".

وشدد الروائي مهند الدابي على أن هذه الثورة ثورة الوعي السوداني، والمثقفين السودانيين الذين جاهدوا وصبروا من أجل هذا اليوم، وقدموا رغم ضيق اليد والحيلة كامل التوعية اللازمة لإزاحة دولة الدكتاتورية واستبدالها بالمدنية، سلاحنا كان السلميّة المطلقة والقلم والمحبة وقبلها الوطنية، لقد عانى السودانيون عقودا طويلة من الظلم وإهدار موارد البلاد البشرية والطبيعية والثروات وفي وجه كل ذلك كان يقف صاحفي شريف أو مغن صادق أو شاعر يحمل من الهموم عتيًا أو روائي محتقن بدماء الغضب، إن ما نراه الآن هو ثمرة عمل تراكمي طويل حيث حمل المثقفون السودانيون بمختلف مفاهيمهم مشعل العمل السياسي، وقد يرى البعض أن تلك المطالب عصيّة المنال بعيدة الاحتمال، لكن المثقف السوداني نجح في أن يحدث التغيير في الدوائر الضيّقة التي تتسع يوما بعد يوم، وقد جاهد زملائي الكتّاب والمثقفون في كشف حيل وألاعيب حكومة البشير الفاسدة وكتب البعض روايات مضمونها كشف الإسلام السياسي وقد واجه العديد منا ويلات الاعتقال والإبعاد وهذا ما زاد من إصرارنا على أن نعمل على رفع السقف المعرفي وتطوير الحس الحقوقي لدى جماهير الشعب السوداني التي لبّت نداء تجمع المهنيين بكل تصالح وهي تعرف جيدا أن النصر سيكون حليفا لا مهرب منه.

وقال "دائما كان المثقف السوداني داخل أو خارج البلاد يمارس دوره الوطني الغيور بعيدا عن المكاسب السياسية وغيرها وقد ناضل الكثيرون من النخبة الثقافية السودانية لأجل تغيير البلاد وإعادتها إلى الحكم المدني. للشاعر السوداني لمخوب شريف قصيدة مشهورة تقول في جزء منها 'وحياة الشعب السوداني في وجه المدفع تلقاني وأنا بهتف تحت السكين، الثورة طريقي وأيامي، معدودة وتحيا الحرية، الشعب حبيبي وشرياني'، وقد كان الغناء السوداني مليئا بالحس الثوري خفيا كان أم واضحا كما ذلك الفن القصصي والكاريكاتير ومختلف الفنون، وكان ذلك البداية الأمثل لتوحيد حلم الشعب بالخلاص والاستقرار. وأخيرا فإن المثقف السوداني تمرد وراهن على كل شيء لأجل هذا اليوم الذي منتظر أن تكتمل فرحته بقيام الدولة المدنية".

وختم الكاتب معتصم الشاعر بأن الاحتجاجات بدأت شعبية خالصة، لم يكن للمثقفين ككتلة دور ريادي، كانوا ضمن الهبة الشعبية، داعمين بأقلامهم ووقفاتهم. الدور القيادي كان لتجمع المهنيين.

من يفتح صندوق باندورا الفرنسي؟

السترات الصفراء في عيون الفلاسفة

أغلب أشكال الصراع الطبقي غير المسيسة كانت الأكثر استعدادا لفرض الدكتاتورية

لم يكن الملاحظون يرون في خروج "السترات الصفراء" إلى العلن أكثر من مظاهرات تمّ تدبيرها عبر المواقع الاجتماعية احتجاجا على الترفيع في أسعار المحروقات، ولكن اتساع رقعة تلك المظاهرات وتزايد حجم المساهمين فيها وتنوع شرائحهم وتعدد مطالبهم حولتها إلى ما يشبه الثورة على النظام القائم، خصوصا بعد تدخل عدة أطراف سياسية ونقابية، فضلا عن طابع العنف الذي اتسمت به منذ حلقتها الثانية، بين "المكسّرين" الذين ينتمون في الغالب إلى الأحزاب المتطرفة يمينا ويسارا، وشباب الضواحي الناقم على النظام أيا ما تكن أيديولوجيته من جهة، وبين النظام من جهة أخرى. هذا النظام الذي اختار التصعيد ومواجهة العنف بالعنف، بل والإفراط في استعماله حتى ضد المسالمين ورجال الإعلام الذين أصيب عشرات منهم إصابات بليغة. ومنذ ذلك التاريخ لا تزال" السترات الصفراء" حديث المحللين على مدار اليوم.

أبو بكر العيادي
كاتب تونسي

❑ هذه التظاهرة، التي وصفها بعضهم بشرارة الربيع الغربي، بعد أن وجدت صداها في بلجيكا وألمانيا وسواهما عبر تحركات مماثلة، شكلت عودة الشعب إلى الواجهة، لينكر على أقلية نخبوية تقرير مصيره بدلا عنه، وكشفت عن عمق الأزمة الاقتصادية والاجتماعية وحتى القيمية التي يعيشها الفرنسيون منذ أجيال.

ولئن فاجأت الجميع بسرعة انتشارها وتعدد مشارب المنخرطين فيها، فإنها لم تفاجئ من دأبوا على متابعة ما يجدّ في الساحة الفرنسية والعالمية، ونعني بهم علماء الاجتماع والمؤرخين والمفكرين.

تنفي الفيلسوفة شنطال ديلصول، مديرة معهد حنة أرندت بجامعة مارن لافالي، أن يكون الاحتجاج الحالي ثورة جياع، ولو أن المطالب المالية (كالتخفيض في الضرائب وتحسين مستوى المعيشة بعامة) لعبت دورا أساسا في انطلاق شرارته، ذلك أن تنوع المتظاهرين واختلاف مطالبهم، التي وردت أحيانا في شكل إنذارات، وإصرار حركتهم واستمرارها، تعكس كلها ضيقا عميقا قادما من بعيد، ضيقا ثقافيا ناجما عن إحساس بالقطيعة بين الشعب والنخبة.

لا جدال أن كل مجتمع يتألف من نخبة وشعب، وأن من غايات السياسة المحافظة على الانسجام بين الطرفين، انسجاما يقوم على ثقافة مشتركة تجعلهما يعيشان في تفاهم برغم التفاوت. هذه الثقافة المشتركة انتفت اليوم، وقد صار الاختلاف في جوهره أيديولوجيا، حيث النخبة كوسموبولية ما بعد حداثية فيما الشعب محافظ متجذر.

ولو لخصنا المشهد لقلنا إن النخبة منشغلة بنهاية العالم، بينما الشعب منشغل بنهاية الشهر. والمشكل أن النخبة هي التي تقرر كل شيء، دون الرجوع إلى الشعب: تريد أن تفرض على الشعب بعضا من طوباوية العولمة كمبدأ الوقاية والصحة الجيدة.

ولا يمكن في نظر ديلصول إجراء إصلاحات لتمكين المناطق من استقلالية ذاتية، على غرار الكانتونات في سويسرا، لأن فرنسا يعقوبية، ونخبها ليست ديمقراطية.

وفي رأيها أن فرنسا منذورة لثورات متناوبة، شأن أي شعب ناضج، يعامَل على أنه غير ناضج، مثلما هي منذورة لصدامات بين شعب متجذر ونخبة معولمة.

وفي هذا تأكيد على الانتقادات التي ما انفكت توجه إلى الرئيس ماكرون، متهمة إياه بالانحياز إلى من أوصلوه إلى السلطة، أي رجال المال والأعمال، فكانت سياسته في مجملها إرضاء لهم، وتحقيقا لرغباتهم، وهو ما ساهم في تقليص شعبيته وشعبية رئيس حكومته، لأنهما عادة ما يتكئان على النخب. يقول الفيلسوف بيير زاوي الأستاذ المحاضر بجامعة ديدرو بباريس: "لسنا في حاجة إلى قراءة ماكيافيلي كي نفهم أن "الأمير" الذي يعتمد باستمرار على الكبار، ولا يعتمد أبدا على الشعب، يعرض نفسه لأخطار كبرى. ولسنا في حاجة إلى ماركس كي نعرف أن الصراع الطبقي لا يُسنّ ولا يُلغى، بل قد يأخذ أكثر الأشكال ابتكارا وجدة، كما هي الحال مع "السترات الصفراء" التي ابتدع أصحابها شكلا جديدا من أشكال المقاومة، بتحويل مظاهر البؤس والتهميش التي كانوا يحيونها إلى قوة لفرض الذات على الآخر قولا وفعلا، واجتياح الفضاء أفقيا وعموديا، واحتلال شتى المواقع داخل المدن وخارجها."

> هذا «العنف الذي يستفيد منه الجميع باستثناء الضحايا» كما يقول الفيلسوف فريديريك غرو، لكونه أدى وظيفة استراتيجية وسياسية استفادت منها الحكومة أولا، لأن الاحتجاج يسمح لها بوصف كل إعلان جديد عن تنظيم مظاهرة بأنه عمل غير مسؤول

أما عالم الاجتماع جيرالد برونر، فقد لاحظ تماثل حركة "السترات الصفراء" مع الإنترنت، من حيث هيكلته وتعدد نقاط تحركه على الميدان، فقد ألقوا شبكة استولت على رقعة كبيرة من التراب الفرنسي، ومن حيث اقتناعه بنظرية المؤامرة لا سيما بعد عملية ستراسبورغ في 11 ديسمبر 2018، إذ رأوا فيها محاولة من النظام لتحويل الأنظار عن مأزقه، وعجزه عن الخروج من الأزمة. ثم ركز على ما بعد النزاع، ماذا يتبقى من أسابيع من الهياج الإعلامي والسياسي، والمواقف المتناقضة من مطالب السترات الصفراء التي قسمت المجتمع الفرنسي؟ ففي خضم صراع الأحزاب على تقاسم مكاسب هذه الثورة الاجتماعية، تبدو الشعبوية اليمينية أنشط من سواها.

وفي رأيه أن مشكلة سياسة الكارثة، أنها لعبة تمارس بعدد من اللاعبين، وفي النهاية يكون اليمين المتطرف هو المنتصر. إن السردية التي ترافق هذه الأحداث تركز على خيانة الشعب، وهذا من الكلاسيكيات في الديمقراطيات الغربية، حيث يزعم كل طرف أنه يريد ممارسة سياسة تعيد الشعور بالانسجام إلى أمة تفككت فئاتها الاجتماعية، وحتى طوبولوجيا ترابها.

ليس مؤكدا أن الشفافية أو الديمقراطية المباشرة، تلك الحلول التي ترد عفو الخاطر، ذات جدوى، ومن ثم لا بد من تحديد إبلاغ حيّزي سياسي proxémie politique (مجمل الملاحظات والنظريات الذي يستنبطها الإنسان من الفضاء بوصفه منتوجا ثقافيا مخصوصا، وهو مصطلح صاغه الأنثروبولوجي الأمريكي إدوارد تويتشيل هال) لتعيين المسافة الدنيا التي ينبغي أن تحافظ عليها الهيئات المتفاعلة فيما بينها، وهي مسافة رمزية أكثر منها فضائية يمكن تقييمها بنوعية المعلومات بين تلك الهيئات الضرورية للحياة الديمقراطية أي بين المنتخَبين والمنتخِبين، وإلا فسوف يحدث ما لا تحمد عقباه كما هي الحال اليوم، حيث صارت التظاهرات مشفوعة بعنف غير مسبوق.

هذا "العنف الذي يستفيد منه الجميع باستثناء الضحايا" كما يقول الفيلسوف فريديريك غرو، لكونه أدى وظيفة استراتيجية وسياسية استفادت منها الحكومة أولا، لأن الاحتجاج يسمح لها بوصف كل إعلان جديد عن تنظيم مظاهرة بأنه عمل غير مسؤول، ما دامت المظاهرة قد تحولت إلى تهديد موضوعي بالحرب، برغم نوايا المنظمين السلمية.

واستفادت منها الحركة ثانيا، لأن العنف الذي ارتكبه المتطرفون والمكسّرون يبرئ المتظاهرين، ويتيح لهم في الوقت ذاته الانتفاع بآثاره السياسية. واستفادت منه وسائل الإعلام أخيرا، لا سيما قنوات الأخبار المسترسلة، إذ دأبت كل يوم سبت على تنظيم "نشرات خاصة" لمعاينة الكارثة عن كثب.

ولئن تساءل المحللون عن الطبيعة السياسية والمصدر الاجتماعي والتراتيب الاستراتيجية للسترات الصفراء، فإن فريديريك غرو يتساءل عن وضعية العنف في ما بدا للناس أنها حركة غير مسبوقة. فقد كان أشبه بحرب عصابات حرص كل طرف فيها على استعمال ما يتوافر من "سلاح" لإلحاق أكبر قدر من الأذى بالآخر، حتى أعوان الأمن، ولو أنه حيازتهم حق "العنف الشرعي" جعل المحللين يقدمون عنفهم كعمل دفاعي لحماية الأنفس والأرواح. هذا العنف لا يقر بمسؤوليته أحد، ولو أنهم يبحثون كلهم عن المكاسب التي تحدد مشهدا سياسيا معقدا ومعتكرا قد يستمر طويلا.

بيد أن فرنسيس وولف، أستاذ الفلسفة بدار المعلمين العليا بباريس، ينفي عن الحركة طابعها السياسي، ففي رأيه أنها مؤلفة من فرنسا الضواحي، تلك التي ترتاد المراكز التجارية، والتي تكدح وتكسب قليلا، ليست فقيرة بالشكل الذي يهم خطط مقاومة الفقر، ولا غنية بشكل يسمح لها بالعيش الكريم، تلك التي لم تتظاهر قط مع الموظفين قررت ذات يوم أن تعبر عن غضبها ضد الزيادة في أسعار الوقود بسد مفترقات الطرق، ومعابر الأوتوستراد، ومداخل المدن، قبل أن تقتحم الشوارع والميادين. اليمين صفق إذ رأى فيها ثورة ضريبية. اليسار اقتفى الخطى، معتبرا ذلك عدالة اجتماعية. اليمين المتطرف رأى فيها صحوة "البيض البسطاء" الذين أهملتهم العولمة. اليسار المتطرف شخص التمرد القادم.

وهكذا تدخل الجميع في الحركة ليذكوا نارها، ووجدوا فيها ما يلبي حاجتهم لأن المطالب كانت متحولة ومتناقضة، والحال أنهم كلهم مخطئون، كما يقول. لأن الطبيعة العميقة لهذه الحركة، المرتبطة بالمرحلة، مناهضة للسياسة، إذ يحدوها سلطان "حقوق ذاتية" لا حد لها ولا مقاس.

ومناهضة للاشتراكية، لكونها ثورة طبقية لا تحمل وعيا بالنظام الطبقي ولوجودها خارج إطار الإنتاج.

اليوتوبيا السوفييتيّة وأيقوناتها الفنيّة

معرض باريسي للمتخيل الفني المثالي لعالم ما وراء الستار الحديدي

موسكو كمدينة مليئة بالحياة

عمار المأمون
كاتب من سوريا

هيمنت "الواقعية الاشتراكيّة" على المنتجات الثقافيّة بعد الثورة البلشفيّة، ومنذ عام 1917، صُبغت مختلف عناصر الحياة بالأيديولوجيا، وأصبح الشكل الجماليّ خزانا للرسائل السياسيّة، ووسيلة ثورية خاضعة للرقابة المباشرة، في سبيل رسم صورة مثاليّة عن الدولة والمجتمع، ليتحرك النشاط الفنيّ والثقافيّ ضمن دوغما متماسكة جماليّاً ومحمية أمنياً للتلاعب بوعي الجماهير وتوجيهها نحو خدمة أهداف الثورة.

> تبدأ المرحلة الثانية من هذه اليوتوبيا الفنيّة في الثلاثينات، حينها أحكم ستالين قبضته على الحكم وضبط كافة جوانب الحياة، وتم تبنّي الواقعية الاشتراكية بقوة القانون

يقيم القصر الكبير في باريس معرضاً بعنوان "أحمر، الفن واليوتوبيا في العهد السوفييتي"، ونشاهد فيه أكثر من 400 عمل، أنتجت منذ عام 1917، الفترة التي أعيد فيها التأسيس لنظام عام جديد حتى 1953 العام الذي مات فيه ستالين، خلال هذه السنوات نتعرف بداية على فترة العشرينات التي شهدت الحركات والتيارات المستقبليّة والمجموعات الفنيّة المختلفة، بعدها نشهد كيف تلاشى هذا "الانفتاح" في الثلاثينات، وتحول الجماليّ إلى سياسي، وفرضت المعايير الواقعية الاشتراكية على كل ما هو علني وثقافي، لتكون المنتجات الفنيّة المختلفة على تماس مع الجموع وتعكس آمالها وتطلعاتها.

هاتان الفترتان شكلتا رؤيتين متناقضتين للعالم السوفييتيّ، ففي العشرينات، كان الفن على تماس مع الحياة، والأهم أنه كان يستهدف الفن البرجوازيّ "القديم" ويحتفي بالثورة ويكرّم إيقوناتها، كما نرى في أعمال بوريس كوروليف، الطليعي، الذي أنجز عام 1918، منحوتة لميخائيل باكونين، الفيلسوف والمنظر الشهير، المثير للاهتمام أن هذه المنحوتة واجهت الكثير من الانتقادات لاحقاً، كونها لا واقعية، وتتبنى التكعيبيّة التي مُنعت لاحقا في الاتحاد السوفييتي واتهم روّادها بالبرجوازية.

هذه العلاقة الحيويّة مع الجماهير فعّلت الكثير من فنون الشارع والحوار المباشر، إذ يصف مايكوفسكي فناني تلك الفترة بأنهم استخدموا الشوارع كريش للرسم والساحات كألوان، والأهم أن الهيمنة الأيديولوجيّة حينها لم تكن فعّالة بشكل كامل، ولم يُجبر الفنانون على اختيار شكل ونمط محددين، لكنهم انهمكوا في أشكال أخرى بعيدة عن الرسم التقليدي، وفضّلوا فنون التصميم والبوستر، لجعل "الفن" يعكس الحياة الجديدة ومقاييسها، كما في بوسترات غوستاف كلوتسيس، تلك التي تلتقط الحيويّة الثوريّة، والتي تدمج الحياة المثالية المُنتجة مع العمل الفنيّ، فإتقان مقاييس الأخير يجب أن يتطابق مع مهارات الجسد السوفييتي.

سنوات الرعب

تبدأ المرحلة الثانية من هذه اليوتوبيا الفنيّة في الثلاثينات، حينها أحكم ستالين قبضته على الحكم وضبط كافة جوانب الحياة، وتم تبنّي الواقعية الاشتراكية بقوة القانون، وحورب وهدد كل من يعمل خارجها، وأصبح الفن يسعى لتغيير العالم ورسم صورة مثاليّة له، الأهم أن "الواقعية الاشتراكية" لم تكن تصوّر الواقع، بل المتخيل عن هذا الواقع، لنقله للجماهير من أجل أن يعملوا في سبيل تحقيقه، وذلك عبر التركيز على الفرد السوفييتي، الجندي والرياضي، ذي الجسد المثالي، الماهر، القادر على الإنتاج كما في لوحات ألكسندر ساموخفالوف، الذي يصور حياة المواطن السوفييتي، المنتج في المصنع والعامل في الأرض والسعيد بالاحتفالات الوطنيّة، حيث الانضباط والإيقاع المتماسك كما آلة لا تتوقف ولا تخطئ.

هذه الصورة المثاليّة والتركيز على النشاط الجسديّ والحيويّة نراها مثلاً في لوحة لإلكسندر دينكا بعنوان "حريّة" حيث تركض النساء في الطبيعة، يتمرنّ ويحافظن على لياقتهن ليكنّ أصحاء دوماً، في تخيّل مثاليّ للجسد الوطنيّ الخالي من الأمراض ذي اللياقة العاليّة، ذات الحيويّة والحركة المستمرة نتلمسها أيضاً في لوحات يوري بيمينوف، التي تصور موسكو، المدينة الجديدة والعاصمة التي يتوجه كل من فيها إلى عمله دون تأخير.

نشاهد في المعرض ملامح الخوف والرعب التي شهدها مواطنو الاتحاد السوفييتي، وقسوة الرقابة الشديدة التي فرضها ستالين، كما في لوحة لسالمون نيكرتين بعنوان "محكمة الشعب" والتي أنجزها في الثلاثينات، حيث انتشرت الاغتيالات السياسية والاعتقالات، وأصبح الجميع مُطيعا خائفاً من التعبير، وهذا ما نراه في اللوحة حيث الأوجه بلا ملامح، خائفة، تتأمل بصمت. الرعب السابق يقابله احتفال برموز الاتحاد السوفييتي كمكسيم غوركي الذي تجسد أعماله الواقعية الاشتراكية إذ نراه في لوحة لفاسيلي إيفانوف على فراش الموت يجلس ستالين إلى جانبه مودعاً أيقونة السوفييت الثقافيّة، ويمتد هذا التمجيد إلى قادة الاتحاد السوفييتي، عبر إسباغ صفات أسطورية عليهم، إذ يحضر لينين وستالين في العديد من الأعمال الفنيّة كما في لوحات ألكسندر غوراسيموف، الذي يظهر فيها القائد أشبه بشخص عاديّ، لكن بعد الإمعان في اللوحة، نراه بمقاييس مختلفة عما حوله، كما أنه يحدق دوماً بعيداً، نحو المستقبل، لنرى أنفسنا أمام صورة تقليدية للدكتاتور، هو والد الشعب لكنه في ذات الوقت الذي يبطش بمواطنيه، إذ يتحول القادة في هذه اللوحات إلى أيقونات لا حقيقية، ذات طاقة سحريّة من نوع ما، فالقائد رمز الحداثة والعصر الجديد ذاك الذي يبنيه المواطن السوفييتي الخائف الخاضع لسطوة الرعب.

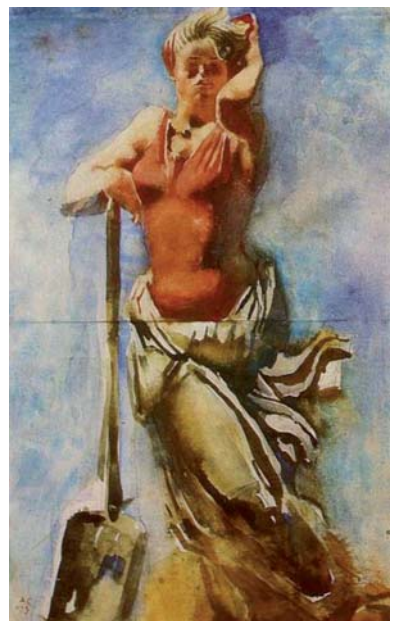

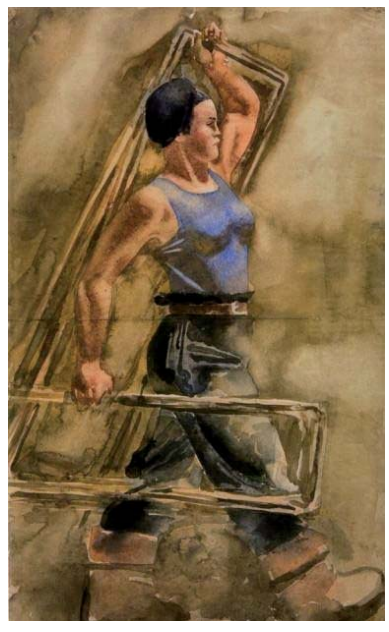

أيقونات الجسد السوفييتي الماهر

البحث في سحر الشر الإنساني

«الحفل» فيلم كلود شابرول المثير للأسئلة

أمير العمري
ناقد سينمائي من مصر

العلاقة الغامضة بين الفتاتين تزيد الفيلم سحرا

❏ في 2010 اختارت صحيفة "الغارديان" البريطانية فيلم "الحفل" للمخرج الفرنسي الكبير الراحل كلود شابرول (1930 – 2010) ضمن قائمتها لأفضل 25 فيلما من أفلام الإثارة والجريمة والتشويق.

ينتمي كلود شابرول إلى جيل الموجة الجديدة في السينما الفرنسية التي ظهرت في أواخر الخمسينات، بل ويمكن القول إن فيلم شابرول الأول كان في الحقيقة الإعلان الرسمي المباشر عن مولد تلك الحركة السينمائية التي أضافت الكثير، إلى التراث السينمائي العالمي.

كان شابرول مع غودار وتريفو، أحد نقاد مجلة «كراسات السينما» الفرنسية التي لعبت دورا كبيرا في عصرها الذهبي، أي في الخمسينات، في تطوير السينما الفرنسية. وقد تحول النقاد الثلاثة إلى الإخراج السينمائي، وبرزوا في ذلك المجال مع رابعهم المتميز جاك ريفيت. لكن شابرول ابتعد في أفلامه عن العامل السياسي بقدر ما اقترب من السيكولوجي، أي على النقيض من غودار. وعلى صعيد الأسلوب، اتخذ شابرول من الغموض والإثارة والتوتر، عناصر يطور من خلالها أسلوبه الخاص.

وفيلم «الحفل» (1995) مقتبس عن رواية للكاتبة الإنكليزية روث رنديل بعنوان "حساب صخري". وتتفق الرواية في الكثير من أبعادها، مع سينما شابرول ونمط تفكيره، وقد وجدها هو بالتالي صالحة للتعديل بحيث يجعل أحداثها تدور في الريف الفرنسي بدلا من الريف الإنكليزي.

في "الحفل" (La Cérémonie) للمخرج الفرنسي كلود شابرول، الذي يسير على ذلك الدرب الذي اختاره لنفسه منذ أن بدأ الإخراج السينمائي عام 1958 مفتتحا مشواره السينمائي كمخرج بفيلم "سيرج الوسيم" الذي اعتبر أيضا البداية الحقيقية لحركة الموجة الجديدة. إنه مغرم بفحص موضوع "الشر الإنساني".. فهو يرى أنه ليس من الممكن بالضرورة إخضاعه للتحليل النفسي ودراسة السلوك والدوافع وغير ذلك، بل هو شر كامن، له خططه الخاصة بل وسحره الخاص أيضا، والشرير في أفلامه يتمتع بجمال الوجه وحدّة الذكاء.. لكنه ذكاء مخفي وراء قناع سميك يحيط صاحبه بالغموض.

> في الفيلم شخصيات غريبة ضائعة ضالة، ولكنها شديدة الجاذبية، تنغمس في الجريمة، بإرادتها لا رغما عنها، دون تبرير نفسي قوي، ودون تفسير مقنع للأبعاد والدوافع الاجتماعية

في الفيلم شخصيات غريبة ضائعة ضالة، ولكنها شديدة الجاذبية، تنغمس في الجريمة، بإرادتها لا رغما عنها، دون تبرير نفسي قوي، ودون تفسير مقنع للأبعاد والدوافع الاجتماعية. ومن خلال هذا الهيكل العام، يسوق شابرول أفكاره المتكررة، عن خواء البورجوازية الفرنسية وأنانيتها ومظاهرها الكاذبة التي تثير الاستفزاز، ويلمس موضوع التناقضات الطبقية دون أن يكون هدفه بالطبع هو بلوغ التحليل الطبقي، فهو أكثر اهتماما برصد الدوافع الخفية الغامضة داخل النفس البشرية. فما الذي يمكن أن يدفع فتاتين شديدتي الجاذبية والرقة والجمال، إلى القتل الوحشي بل وإلى الاستمتاع بالقتل أيضا؟

اللقاء الأول

يبدأ الفيلم بلقاء بين السيدة الحسناء كاثرين (جاكلين بيسيه) وفتاة تدعى صوفي (ساندرين بونير) في مقهى. السيدة تبحث عن خادمة أو مشرفة على تدبير شؤون منزلها الفخم الكبير في الريف الفرنسي. والفتاة تبحث عن عمل بعد أن هجرت منزل أسرتها وأصبحت تعيش تقريبا من دون مأوى. تعرض كاثرين على صوفي الحضور للعمل في منزل أسرتها في الريف الفرنسي وتخبرها أنه بوسعها أن تبدأ العمل على الفور إذا أرادت. كاثرين متزوجة من رجل ثري يعمل مديرا لإحدى الشركات في البلدة المجاورة، ولديها منه ابن، ولكن ابنته من زوجة سابقة تقيم معهم وهي فتاة جميلة تدعى ميليندا بلغت العشرين ربيعا.

تذهب كاثرين إلى محطة القطارات في البلدة لاستقبال صوفي لكنها لا تراها، وعندما يختفي القطار من الصورة، تراها واقفة تتطلع إليها من على الرصيف المقابل. وطريقة تكوين المشهد من خلال أحجام اللقطات وزوايا الكاميرا تشي أولا بالغموض الذي يكتنف صوفي وتصرفاتها الغريبة (تقول إنها وصلت في القطار السابق) وثانيا يظهر المشهد أن صوفي تملك القدرة على التحكم في مخدومتها الجديدة والتلاعب بها.

تبدأ صوفي العمل في صمت، وتثبت منذ اليوم الأول حصافتها ومهارتها وإخلاصها إلى درجة تجعل أفراد الأسرة جميعا يشعرون بالسعادة، فقد عثروا أخيرا على ضالتهم في تلك الخادمة المخلصة التي تجيد الطهي أيضا وتصنع أطباقا لذيذة. والأسرة تنفق وقتا طويلا على مائدة الطعام، حيث يتذوق الجميع مختلف الأطعمة ويتجاذبون الحديث حولها أيضا حسب التقاليد الراسخة للبورجوازية الفرنسية.

وأثناء ذهاب الأسرة لقضاء عطلة قصيرة، تتعرف صوفي في البلدة على فتاة أخرى هي جين، وهي موظفة في مكتب البريد. وجين على النقيض من صوفي الكتومة المنطوية، فهي متفتحة تميل للمرح والضحك والعبث. تنجذب إليها صوفي كما لو كانت قد عثرت فيها على النصف الآخر الذي يكمل شخصيتها.

وراء القناع الظاهري الذي ترتديه كل من الفتاتين تكمن في الحقيقة أشياء وحقائق أخرى خطيرة. ففي إحدى الأمسيات التي تقضيها الاثنتان معا، تعترف كل منهما للأخرى بالحقيقة، بالماضي، فصوفي تقول إنها حقا قتلت والدها وهربت من البيت ولم تكتشف الشرطة فعلتها لأنها دبرتها بحيث تبدو من تدبير القضاء والقدر، أما جين فقد قتلت ابنتها التي كانت في الرابعة من عمرها لأسباب غير معروفة فقد ركلتها بجوار الموقد فاحترقت، لكنها لا تبدو حزينة أو نادمة بل تتعامل مع الأمر بنوع من اللهو والمرح، إلى درجة أنها تتمكن من إخراج صوفي الانطوائية من صمتها وحزنها الخفي.

تساؤلات دون إجابات

هل الفتاتان مختلتان عقليا؟ أو قاتلتان بالفطرة (حسب تعبير المخرج الأميركي أوليفر ستون) أم أن الظروف الاجتماعية السيئة قادتهما إلى ارتكاب ما ارتكبتاه، أم تحت القشرة السطحية العادية يكمن انحراف نفسي خطير؟ هل هناك علاقة مثلية ما تنشأ بينهما وتجمع بينهما في الفراش. إننا نراهما في أكثر من مشهد يلتصقان ببعضهما البعض، أو يتبادلان القبلات. لكننا لا نستطيع أن نجزم بوجود علاقة شاذة بينهما.

كلود شابرول يتعمد ألا يجيب عن مثل هذه التساؤلات بل ولا يبدو أنه مهتم بالإجابة عنها، بقدر ما يرغب في أن يوحي لنا باحتمال وجود كل هذه الأشياء مجتمعة، فهو مولع -كما أشرنا- بفكرة غموض الشر.

مع عودة الأسرة واكتشاف الزوج/ الأب علاقة صوفي بجين يثور ويغضب، فهو لا يشعر بالراحة تجاه جين بعد أن رأيناه يذهب إلى مكتب البريد الذي تعمل فيه ذات مرة ويتهمها صراحة بفتح الخطابات التي ترسل إليه والاطلاع على فحواها، لكن الفتاة تتحداه أن يثبت ذلك بل وتتفوه بكلمات غير لائقة عن زوجته التي تتهمها بأنها كانت عارضة أزياء منحلة في باريس قبل أن يتزوجها.

تصدر تعليمات لصوفي بعدم السماح لجين بأن تأتي إلى منزل الأسرة. ويرغب الرجل في طرد صوفي لكن زوجته تصرّ على بقائها وتدافع عن مستوى ما تقدمه من خدمات للأسرة.

في حجرتها التي تأوي إليها بمفردها تجلس صوفي ساعات تشاهد التلفزيون، ثم تقتل الوقت بالتنصت على المكالمات الهاتفية فتعرف أن ابنة الأسرة ميليندا حملت من الشاب الذي ترتبط بعلاقة معه والذي يستعد لخطبتها. وهي تحادثه هاتفيا وتخبره بأنها تخشى من اطلاع والدها على الأمر.

وذات صباح تخرج الزوجة وولداها ويذهب الزوج إلى عمله لكنه يحتاج إلى ملف من بين أوراقه فيتصل هاتفيا بالخادمة ويقول إنه سيرسل إليها من يأخذ الملف من على مكتبه، لكن صوفي تغلق على نفسها حجرتها، وتمتنع عن الاستجابة إلى الرجل الذي يطرق الباب بلا جدوى. لقد أخفت شيئا مهما عن الأسرة طوال الوقت، وكذلك عن صديقتها جين، وهي نقطة ضعفها الكبيرة التي تخشاها: إنها لا تستطيع القراءة والكتابة، فهي أمية تماما. وبينما يعرف المتفرج من البداية هذه الحقيقة، تبقى المعلومة إلى حين اقتراب النهاية خافية على شخصيات الفيلم، وعندما تُكتشف تكون مقدمة للنهاية.

تدّعي صوفي أولا أنها ضعيفة النظر فتطلب منها الأسرة استشارة طبيب الأسرة ويمنحونها بعض المال لدفع التكاليف، لكنها تنفق المال مع صديقتها وتضرب عرض الحائط بالأمر. وميليندا هي التي تكتشف أمرها عندما تصرّ على أن تقرأ لها صوفي شيئا، هنا لا تجد صوفي إلا تهديد ميليندا بإفشاء سرها، أي كونها حاملا، إلى أسرتها، إن هي تجرأت وكشفت حقيقة كونها أمية لا تقرأ ولا تكتب. وفي لقائها مع جين، تروي لها صوفي ما حدث ورغبة رب المنزل في طردها، وتتسلل الفتاتان إلى داخل المنزل في الليل بينما الأسرة مجتمعة حول جهاز التلفزيون لمشاهدة أحد العروض الأوبرالية المفضلة لديها. وفي المطبخ ينفلت الشر من عقاله، يصنعان القهوة ثم يصعدان إلى غرف النوم يمزقان الفراش الوثير ويصبان القهوة على الوسائد ويحطمان المرايا الثمينة، ثم تجد الفتاتان طريقهما إلى أسلحة الأسرة النارية، وتكون المذبحة في قاعة الجلوس، يقتلان أفراد الأسرة جميعا، وهما تضحكان في هستيرية.

تبقى صوفي في المنزل بينما تخرج جين تقود سيارتها بعد وعد باللقاء في اليوم التالي لكنها تصطدم بسيارة أخرى وتقضي نحبها. وينتهي هذا الفيلم الغريب ذو الطابع الغامض غموض معظم أفلام شابرول.

كلود شابرول: مولع بفكرة غموض الشر

الحفل هو حفل الإعدام، والأسلحة المستخدمة في القتل هي نفس الأسلحة التي تستخدمها الأسرة البورجوازية في قتل الحيوانات أو اصطيادها.

تبدو جين موظفة البريد هنا، مدفوعة بالحقد والغيرة من الأسرة الثرية التي تتمتع بكل ما حرمت هي منه، وأن تراكم الحقد الطبقي هو الذي يدفع بها إلى الجريمة.

النهاية الدامية

وعن نهاية الفيلم يشير شابرول في حديث معه، إلى أنها تعبر عما يخشى منه أكثر مما تعبر عما هو متوقع أي منطقي. فالمشاهدون يتعاطفون مع الفتاتين من خلال أسلوب السرد وطريقته في تقديم الشخصيات، ويأملون أن تنتهي الدراما المشوقة نهاية سعيدة كأن تصحو الفتاتان من حلم مثلا. لكن الفيلم ينتهي بالقتل ليس لأنهما يشعران بأن أسرة لوليفر تستحق القتل بحكم سلوك أفرادها، فهو لا يحيط سلوك أفراد الأسرة بأي تصرف غير معتاد أو غير أخلاقي مثلا فهي تبدو معقولة في تصرفاتها وسلوكيات أفرادها، بل وتتمتع أيضا بحس فني رفيع، فهي تهتم بمتابعة عروض الأوبرا، لكنها تستحق القتل بحكم ما تملكه بينما الفتاتان تحرمان منه!

إنها محاكمة سينمائية على طريقة شابرول، تنتهي بالعقاب الصارم الدامي فالبورجوازية الفرنسية تستحق في النهاية الإعدام، ليس بسبب ما ترتكبه من شرور، أي استغلال الآخرين وحرمانهم من حقوقهم الأساسية، بل بسبب ما تنطوي عليه من أنانية غير مباشرة، لها انعكاسات خطيرة على المجتمع.

رسالة الفيلم غريبة بعض الشيء. وشابرول في أفلامه السابقة كان يسعى أكثر من سعيه في هذا الفيلم إلى التعامل على مستوى أعمق مع الأبعاد النفسية وتجسيد الشر بشكل أكثر وضوحا ومباشرة. لكنه يبدو هنا أكثر انبهارا بما يكمن في الرواية من غموض بشأن دوافع الشخصيات، منجذبا إلى سحر الشخصيتين الرئيسيتين. ولذا فهو يولي عناية خاصة إلى الدورين اللذين أسندهما إلى اثنتين من أكثر الممثلات مقدرة في السينما الفرنسية: ساندرين بونير (صوفي) وإيزابيل أوبير (جين)، بالإضافة بالطبع إلى الممثلة البريطانية- الفرنسية جاكلين بيسيه في دور كاثرين.

أما عن عنوان الفيلم أي "الحفل" فيقول شابرول إنه استمده من الكلمة الفرنسية التي تشير إلى طقوس الإعدام بالمقصلة، وهي كلمة كان الفرنسيون يستخدمونها عند الإشارة إلى تلك الطقوس.. أي إلى الشخص الذي ينتظر تنفيذ الإعدام تحت سن "المقصلة".

موسم سياحي في جزيرة بالما دي مايوركا بعيدا عن الفوضى

إجراءات صارمة لاستقبال الباحثين عن الشمس والبحر في إسبانيا

اختلفت سياحة اليوم عن سياحة أواخر القرن الماضي حين كانت تقتصر العطلات على الأثرياء الذين يأتون للشواطئ بحثا عن الهدوء والراحة، صار اليوم بإمكان الجميع تنظيم عطلة صيفية بعد ادخار القليل من المال خلال العام، وأضحى الشباب أيضا يسافرون إلى الدول والمدن السياحية حاملين معهم حيويتهم وصخبهم، لكنهم يخلفون كثيرا من الفوضى والمشاكل، وهذا ما دفع السلطات المحلية في بالما دي مايوركا لتنظيم الموسم السياحي القادم، بإجراءات صارمة.

❏ **بالما دي مايوركا (إسبانيا)** – على الرغم من أن شواطئ جزيرة بالما دي مايوركا الساحرة في جنوب إسبانيا ما تزال خالية من المصطافين خلال هذه الفترة من العام، وإن كان من الممكن مشاهدة شخص أو اثنين على الأكثر يتجولون في شوارع البلدة، إلا أن الضوضاء الوحيدة مصدرها أعمال الصيانة التي تقوم بها البلدية في كل مكان، وكذلك الفنادق التي أعيد بناء بعضها بالكامل استعدادا للموسم الذي سيبدأ مع إجازات أسبوع الآلام أواخر شهر أبريل الجاري، حيث سيبدأ توافد السياح الذين يبحثون عن الشمس والبحر والهواء النقي.

بالما دي مايوركا هي أكبر المدن والموانئ في جزيرة مايوركا، وهي أيضا عاصمة إقليم جزر البليار، حيث يمكن أن يشعر السائح بالإيقاع الإسباني، ويتمتع بفرصة حيوية بين العديد من النوادي والمحلات التجارية والمطاعم التي تقدم أطباق متنوعة من المأكولات الإسبانية ومأكولات البحر الأبيض المتوسط، حيث يوجد الكثير من الحلويات والجبن.

مواسم الاصطياف في بالما دي مايوركا بأجوائها الاحتفالية تصاحبها ممارسات غير إيجابية من بينها الإفراط في تناول المشروبات الكحولية وما تخلفه من مشاجرات وقمامة في الشوارع وإزعاج لمتساكني المناطق الشعبية.

وتأمل السلطات أن تتحسن سلوكيات المصطافين وخاصة من الشباب الذين يفضلون السهر حتى مطلع الفجر في الشوارع وعلى أحد أشهر شواطئ إسبانيا والعالم.

وأعلنت السلطات المحلية، هذا العام، هذه المنطقة ضمن "دائرة الاهتمام السياحي الخاص"، وهي مبادرة تغطي شاطئ بالما دي مايوركا بالكامل وتتضمن سلسلة من قواعد السلوك.

من الناحية العملية، يُفترض حظر نقل الكحول إلى الشارع، فضلاً عن حظر العروض الترويجية لـ"ساعة سعيدة" والعروض المغرية للمشروبات الكحولية ذات التركيز العالي.

وسوف تطبق القواعد بمنتهى الصرامة في شارع خامون بوسط المدينة والمشهور بحاناته ومطاعمه السياحية والشوارع المجاورة، بشكل خاص.

وتشتهر المدينة بشوارعها الجميلة المرصوفة المليئة بعربات الخيول التي تطوف بالسياح في رحلة في مايوركا القديمة.

وتنص إجراءات هذه السنة على أنه يجب أن يكون تناول الكحول في التراسات (المقاعد المصطفة أمام المحلات) كما لا يمكن تناول المشروبات الكحولية على الرصيف وهي عادة يفضلها السياح الشباب القادمين من ألمانيا وبريطانيا خاصة.

وأصبحت جميع هذه التدابير سارية المفعول اعتبارا من شهر أبريل الجاري وستظل حيز التنفيذ حتى نهاية سبتمبر. وسوف تفرض غرامات مالية كبيرة في حالة عدم الالتزام بتنفيذها.

لكن ماذا عن رأي أصحاب الحانات في المنطقة؟ أعرب صاحب حانة "بيركوينغ" الشهيرة عن تأييده لتلك الإجراءات، قائلا، "تمنع هذه الإجراءات السلوكيات غير الحضارية، تناول أو بيع المشروبات الكحولية في الشوارع".

ويضيف، "بالرغم من أن تطبيق القواعد الجديدة يشترط حضورا قويا لرجال الشرطة في الشارع، إلا أن هذا من شأنه تحسين الأحوال الأمنية لفائدة الجميع، السكان المحليين والمصطافين".

بدورها تؤيد جيرالدين فينينغر، مالكة سلسلة حانات "مينشنر كيندل" على الشاطئ منذ 30 عاما، تلك الإجراءات، مؤكدة "بكل أسف تعتبر القواعد المنظمة للسلوك ضرورية لردع البعض الذين يسيئون التصرف، وهذا هو السبيل الوحيد للحفاظ على سياحة الشواطئ بطابعها الاحتفالي، وهي في حد ذاتها ليست مظهرا سيئا".

وفي السنوات الماضية شهدت المواسم السياحية العديد من حوادث العنف، كما يستفيق السياح والسكان على القمامة المكدسة في الشوارع والساحات التي تخلفها السهرات الشبابية.

ويرى رون باتنر مدير حانة "47-11" لمشاهدة مباريات كرة القدم، أن القواعد لم تغط بعض الجوانب، ومنها الباعة الجائلين للمشروبات الكحولية المنتشرين في الشوارع، بالرغم من التحسن الملحوظ الذي طرأ على شواطئ بالما دي مايوركا خلال السنوات الخمس الماضية.

ومن ثم يعتقد أنه يجب تعزيز الأمن في الشوارع، وخاصة ليلا "يرتاد حانتي الكثير من الزبائن الذين يؤكدون أنهم تعرضوا لكثير من المضايقات في الشارع".

ويوجد العديد من المنتجعات في الجزيرة، مثل مايوركا وإيبيزا وبالم، التي أعلنت نيّتها اتّباع نهج عدم التسامح تجاه مَن يخالف القوانين الجديدة، وقررت أن تفرض غرامات مرتفعة الثمن أيضا.

وحتى السكان المحليين فقد رحبوا بالقواعد الجديدة للتصدي للسلوك غير الحضاري وحالات السكر والعربدة التي تشهدها شوارع المدينة.

ولهذا يعتبر بيل بارسيلو رئيس جمعية أصدقاء شواطئ بالما دي مايوركا، والذي لطالما طالب بتدخل السلطات للتصدي لهذه السلوكيات، أن هذه الإجراءات تتويج لجهوده الناجحة. ويضيف "إنها الإجراءات السليمة لتعزيز التعايش. لا يأتي غالبية السياح لاحتساء الكحول والسكر، بل بحثا عن الاستمتاع، وهو ما سيتمكنون من الحصول عليه بكل تأكيد بصورة أفضل دون إفراط أو تجاوزات".

يقول المتحدث باسم بلدية المدينة، "هناك أمل أن تردع الغرامات المالية المفرطين في تناول الكحوليات وتجعلهم يلتزمون بالسلوك الحضاري، حيث يبلغ الحد الأدنى للعقوبة ألفين ومئتي يورو (2500 دولار) في حالة خرق القواعد الجديدة"، مشيرا إلى أن كل هذا يطبق من أجل الصالح العام.

ويضيف، "لن يتعرض أحد للمشاكل بسبب تناول الجعة في الشارع، كل ما هنالك أنه أصبح لدينا قواعد تنظيمية للتصدي للسلوك غير اللائق مثل: التبول في الشارع، أو التقيؤ، أو إزعاج سائحين آخرين، في هذه الحالة نتدخل نحن وحينئذ سوف نفرض الغرامات".

قلة من السائحين الذين يحبون الاستمتاع بالهدوء على الشاطئ قبل انطلاق ذروة الموسم أواخر أبريل يقرون بأن الأحوال على شاطئ بالما دي مايوركا تشهد تحسنا ملحوظا هذا العام مقارنة بالمواسم السابقة.

من هؤلاء فرناند وأنيكي من لوكسمبورغ، وقد جاءا للطواف بالجزيرة على دراجات هوائية، ويؤكدان أن حالة الفنادق صارت أفضل، وهذا من شأنه أن ينعكس على تحسن سلوكيات الزبائن أيضا.

غير أن الألماني يورغن اكتون يتساءل، إذا كان شاطئ بالما دي مايوركا بهذا التوحش الذي يصفونه به، "جئت إلى هنا في أواخر السبعينات وكان الوضع مختلفا تماما، المخالفات التي تحدث الآن لا تقارن على الإطلاق بحالة الانفلات التي كنا نعيشها آنذاك".

> التدابير الصارمة أصبحت سارية المفعول من شهر أبريل الجاري وستظل حيز التنفيذ طيلة الموسم السياحي حتى نهاية شهر سبتمبر القادم

ومايوركا التي يسميها العرب القدامى ماجوركا وجهة سياحية أيضا لمحبي السياحة الثقافية حيث يمكنهم زيارة كاتدرائية «لا سو» المتميزة بالعمارة الرومانية القوطية، وترتكز على المرفأ القديم حيث ترتفع أبراجها فوق المدينة.

وفي مايوركا معالم أثرية عربية لا زالت تحتفظ بألقها كالحمامات العربية التي تعود إلى عهد العرب والمسلمين في الأندلس، وتتميز بطرازها العربي الجميل المزخرف والمليء بالنقوش الرائعة.

شواطئ عربية للاستمتاع بعطلة صيفية

السعديات موطن السلاحف في أبوظبي

❏ السعديات في أبوظبي جزيرة خلابة، يصنف شاطئها من أكثر المناطق الشاطئية التي يتم زيارتها في الإمارات. يضم مجموعة متنوعة من المنتجعات العالمية، وشاطئ عام برسم دخول مقبول جدا.

وقد تم وضع قوانين توجيهات صارمة من أجل المحافظة على البيئة الطبيعة، فالشاطئ يحتوي على الحياة البرية من سلاحف الصقرية المنقار التي تأتي كل عام بين شهري أبريل ومايو لتضع بيضها. وخلال مواسم التفقيس، يقوم فريق برصد مسارات السلاحف وأعشاشها مع القيام بدوريات يومية على الشاطئ لضمان نجاح عملية التفقيس، وبالتالي الحفاظ على هذا الحيوان البحري المهدد بالانقراض.

شرم اللولي جنة شواطئ مصر

❏ الشاطئ الذي يقع في مرسى علم تم وصفه بالجنة على الأرض، فالمياه الصافية والرمال البيضاء تبدو وكأنها خرجت للتو من لوحة لعالم سحري خرافي.

و الاسم المتداول لـ"شرم اللولي"، بين سكان البحر الأحمر، هو شاطئ "حنكوراب"، والمنطقة التي يقع بها محمية طبيعية، لا يوجد بها سوى خيمة بدوية، لمن يريد الاستمتاع بمشروب "الجبنة" وهو نوع من القهوة المشهور به السكان المحليين للمنطقة.

وتعد شواطئ البحر الأحمر بمياهها الصافية وما تحتويه من كنوز وكائنات بحرية متفردة، مصدر إلهام لكل من يزورها، علاوة على امتداد القرى السياحية والفنادق، ما بين الغردقة وسفاجا والقصير ومرسى علم.

المغسيل شاطئ الصخور الضخمة في صلالة

❏ شاطئ المغسيل من أجمل الشواطئ في العالم ويبعد أربعين كيلومترا على مدينة صلالة.

وخلال جولة على رمال الشاطئ البيضاء الناعمة نشاهد الكتل الحجرية الضخمة المنحوتة بفعل عمليات المد والجزر وتشكل لوحة فنية في غاية الروعة، مع النوافير المائية الطبيعية التي تندفع من الحفر الصغيرة على الأراضي الصلبة للشاطئ بشكل متواتر في منظر ساحر يحبس الأنفاس وتصدر أصوات جميلة عند تدفقها ضمن هذه الحفر وقبل انطلاقها، ويستمتع الزائر برؤية الشعاب المرجانية والطحالب البحرية كما يستمتع بمشاهدة أجمل المناظر لغروب الشمس الحمراء خلف مياه بحر العرب.

الأزرق يرفرف على شاطئ السعيدية في المغرب

❏ العشرات من الشواطئ في المغرب تتمتع بجمال خلاب وشهرة محلية وعربية وعالمية، ولكن شاطئ السعدية يملك ما يميزه عن غيره، وبالتالي يمكننا القول بأنه واحد من أجمل الشواطئ في العالم العربي.

يتميز الشاطئ بالرمال الصفراء والأفضل من هذا كله هو أن المناخ في السعيدية مثالي طوال العام. هناك الكثير مما يمكن القيام به سواء الاسترخاء أو السباحة أو حتى ممارسة الرياضات المائية، كما يمكن التعريج على مارينا السعيدية التي تحتوي على ميناء ترفيهي وعدد كبير من المطاعم والمحال التجارية. السعيدية فازت باللواء الأزرق أكثر من مرة وهي جائزة تمنح للمناطق التي تملك أنظف الشواطئ.

الأحجار الجيرية علامة جزر فرسان

❏ تعد جزر فرسان من المناطق الخلابة بالفعل. تعتبر منطقة سياحية بامتياز، وذلك بسبب الطبيعة الخلابة لها والأحجار الجيرية.

وتتميّز جزيرة فرسان التي يُرجّح عمرها بثلاثة ملايين عام بطبيعة خلابة حيث المسطحات من الأحجار الجيرية الشعابية وهي غنيّة بالحياة البرية والبحرية والنباتية، إذ تنتشر أنواعٌ من الأشجار كالقندل والسّدر والأراك، وتعيش فيها حيوانات مختلفة بعضها مهدد بالانقراض، كما تُحلّق في أجوائها الطيور ومن أهمها العقاب النّساري والبجع الرّمادي والنّورس القاتم ومالك الحزين وصقر الغروب وأنواع من القماري.

قانون أوروبي يزلزل الواقع الحالي للنشر على الإنترنت

حماية صارمة للحقوق الفكرية تهدد نشاط المستخدمين وعوائد فيسبوك ويوتيوب وغوغل

سلام سرحان
صحافي عراقي

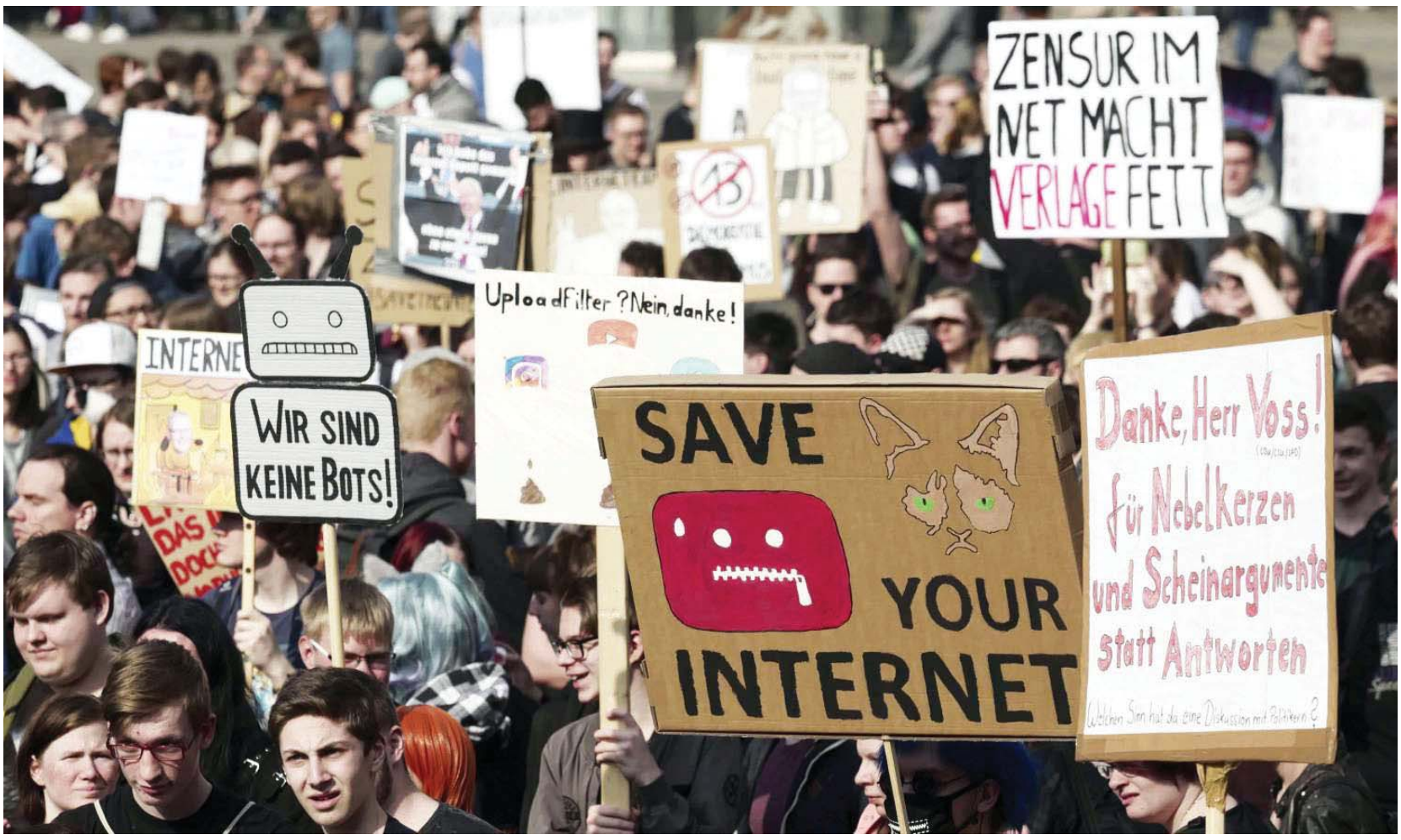

❑ دخل واقع نشر الموسيقى ومحتوى الفيديو والكتابات المحمية بحقوق ملكية فكرية على الإنترنت في أوروبا، عهدا جديدا بالمصادقة النهائية على إصلاحات توجه ضربة شديدة لشركات الإنترنت العملاقة ونشاط المستخدمين.

قد لا يصبح بإمكان المستخدمين تحميل مقطع من أغنية أو من فيلم أو حتى خبر من وكالة أنباء على مواقع مثل فيسبوك ويوتيوب وتويتر دون موافقة من يملك حقوق الملكية الفكرية. وقد يحجب المنشور تلقائيا من قبل مرشحات التحميل التلقائية.

ويُقصد بمرشحات التحميل البرامج التي تستخدم الذكاء الاصطناعي للتعرف على المحتويات المحمية بحقوق النشر خلال محاولة تحميلها على الإنترنت واستبعاد تحميلها تلقائيا.

كما ستحد القواعد الجديدة من قدرة شبكات الإنترنت العملاقة مثل غوغل على استخدام عناوين الأخبار أو القصص الإخبارية دون الحصول على إذن من المؤسسة الإعلامية صاحبة الخبر أو حتى دفع مقابل لاستخدام ذلك المحتوى.

يمكن أن نتخيل نسبة المنشورات التي تنشر يوميا والتي يمكن أن يطولها الحذف التلقائي، وعواقب ذلك على عوائد منصات الإنترنت العملاقة لأنه يقلص حركة المرور فيها ويقوض عوائدها من الإعلانات بشكل كبير.

وستكون لذلك تداعيات كبيرة على نشاط الأفراد على مواقع التواصل الاجتماعي وجميع النشاطات على الإنترنت، وقد تكون له عواقب اقتصادية كبيرة.

قبضة صارمة

وتتضمن الإصلاحات إجبار شركات الإنترنت على دفع مزيد من الأموال لوسائل الإعلام لقاء الوصول إلى محتواها الإخباري وإعادة إنتاجه بطرق أخرى، بعد أن ضغطت وسائل إعلام على رأسها وكالة الصحافة الفرنسية من أجل تلك الإصلاحات.

وأشارت الإصلاحات الجديدة إلى أن شركات مثل فيسبوك وغوغل تكسب مليارات عبر الترويج لقصص صحافية فيما يعاني ناشروها الأصليون من ضيق الموارد.

وأقرت دول الاتحاد الأوروبي في اجتماع وزاري في لوكسمبورغ هذا الأسبوع بشكل نهائي الإصلاح المثير للجدل بعد مصادقة البرلمان الأوروبي عليه في نهاية الشهر الماضي.

وكانت نتيجة التصويت متوقعة بعد المفاوضات الشاقة التي أجريت في ظل حملات الضغط القوية من جانب داعميه ومعارضيه على السواء.

ونال الإصلاح تأييد 19 بلدا من أصل 28 دولة وعارضته 6 بلدان هي إيطاليا وفنلندا والسويد ولوكسمبورغ وبولندا وهولندا، فيما امتنعت 3 بلدان هي بلجيكا وإستونيا وسلوفينيا عن التصويت، وهو ما يعني تنفيذ القواعد الجديدة في جميع بلدان التكتل الأوروبي.

مخاوف كبيرة تختزلها لافتات «انقذوا الإنترنت»

وأشاد الوزير الروماني فالير دانيال برياز الذي تتولى بلاده الرئاسة الدورية للاتحاد بنص الإصلاح الذي اعتبره "متوازنا ويفتح فرصا متعددة للقطاعات الإبداعية الأوروبية وللمستخدمين الذين ستتعزز حرية تعبيرهم عبر الإنترنت".

وفور نشرها في الجريدة الرسمية للاتحاد الأوروبي، سيكون أمام البلدان الأعضاء مهلة 24 شهرا لإدخال القواعد الجديدة إلى تشريعاتها الوطنية.

ورحب رئيس المفوضية الأوروبية جان كلود يونكر بانتهاء الرحلة الطويلة لوضع هذا التشريع منذ سبتمبر 2016 حين بدأت الهيئة التنفيذية الأوروبية بتقديم هذا الإصلاح، الذي ستكون له تبعات مالية كبيرة.

وأكد في بيان أن "أوروبا ستصبح لديها قواعد واضحة تضمن مداخيل عادلة لمبتكري المحتوى وحقوقا كبيرة للمستخدمين".

مخاوف جدية

وتتركز احتجاجات المعارضين أنصار الحريات الإلكترونية على البند 13 الذي يعزز حقوق المبتكرين وأصحاب الحقوق كالمؤلفين والفنانين في مواجهة المواقع التي تنشر إبداعاتهم مثل فيسبوك ويوتيوب لأنه يفتح الباب أمام تشديد الرقابة واستخدام فلاتر لمراقبة التحميل التلقائي.

وتخشى النائبة الأوروبية جوليا ريدا وهي من أبرز المعارضين لهذا التعديل من اتساع ممارسة الضغوط في العامين المقبلين للتضييق على تطبيقات محلية ما يضر بحقوق المستخدمين الأساسية.

وطالبت المجتمع المدني بمواصلة الضغوط على البلدان الأعضاء في الاتحاد الأوروبي.

كما يثور الجدل بشأن البند 11 الذي يوصي باستحداث "قانون موازٍ" لحقوق المؤلف مخصص لناشري الصحف.

ومن شأنه السماح لوسائل الإعلام مثل وكالة الصحافة الفرنسية بالحصول على مقابل مالي لإعادة نشر إنتاجها عبر الإنترنت من قبل شبكات مثل غوغل أو فيسبوك.

وقد نددت مجموعة الضغط "سي.سي.آي.أي يوروب" المرتبطة بقطاع الصناعة الرقمية في المفوضية الأوروبية، بنص التعديلات الجديدة ووصفته بأنه "غير متوازن ولا يفي بمتطلبات إنشاء إطار حديث لحقوق النشر".

وقالت العضو في المجموعة مود ساكيه في بيان "نخشى أن يضر هذا الإصلاح بالابتكار الإلكتروني ويحد من الحريات عبر الإنترنت في أوروبا. نحض الدول الأعضاء على إجراء تقييم معمق ومحاولة تقليل تبعات النص خلال تطبيقه".

ويخشى المعارضون من أن يؤدي ذلك إلى ما يسمى ترشيح أو تنقية عمليات تحميل المحتوى على الإنترنت باستخدام تطبيقات آلية، وهو ما يمكن أن يحجب محتوى قانونيا أيضا.

وحاولت الحكومة الألمانية تهدئة المخاوف من القيود التي سيفرضها إصلاح قانون حقوق النشر الجديد بالقول إنه "يتعين أن يكون الهدف هو جعل مرشحات التحميل غير ضرورية إلى حد كبير".

انقسام غير قابل للرتق

نص الإصلاح الجديد متوازن ويفتح فرصا متعددة للقطاعات الإبداعية الأوروبية ويعزز حرية تعبير المستخدمين

فالير دانيال برياز
وزير الثقافة الروماني

نخشى اتساع الضغوط في العامين المقبلين لإضرار بحقوق المستخدمين بمواصلة الضغوط على البلدان الأعضاء في الاتحاد الأوروبي

جوليا ريدا
نائبة في البرلمان الأوروبي

وأوضحت الممثلة عن الحكومة الألمانية أن إصلاح القانون ضروري على نحو ملح، مضيفة أن الحكومة الألمانية تتوقع أن يتم الاتفاق على تطبيق موحد للقانون لأن التطبيق المجزأ "لن يكون متفقا مع مبادئ السوق الداخلية الرقمية".

المعركة مستمرة

وبما أن رحلة دخول تلك التعديلات حيز التنفيذ لا تزال طويلة وقد تستغرق عامين على الأقل فإن الجهات المعرضة لهذه القواعد وشركات التكنولوجيا لن تلقي السلاح وستواصل ضغوطها لعرقلة تنفيذها.

وتقف إلى جانبها الكثير من منظمات الحقوق المدنية التي تخشى من أن تضر تلك القواعد بحرية وصول المستخدمين إلى المعلومات، إضافة إلى الأضرار التي تلحقها بالشركات الرقمية الصغيرة والناشئة.

ويمتد الانقسام بشأن التشريع الجديد من البرلمان الأوروبي إلى الحكومة والشركات وجماعات الضغط وصولا إلى قطاعات واسعة من المواطنين الأوروبيين. وقد شهدت الأسابيع الماضية حملات مكثفة وبدرجة غير مسبوقة. وجاءت أبرز تلك الحملات من شركات الإنترنت العملاقة ونشطاء حرية الإنترنت في مقابل شركات الإعلام وإنتاج المحتوى الفني والموسيقي والبرامج المصورة.

وكان مشروع قانون إصلاح حقوق الملكية الفكرية قد أطلق في عام 2016 واعتبر ضروريا بسبب تقادم القانون وعدم تحديثه منذ عام 2001، أي قبل ولادة موقعي يوتيوب وفيسبوك.

أنصار متحمسون

ودعم الفنانون وشركات الإعلام مشروع الإصلاحات، التي تستجيب لمطالبهم بالحصول على عائدات أفضل من منصات الإنترنت مثل غوغل ويوتيوب وفيسبوك التي تسمح للمستخدمين بنشر المحتوى الخاص بها دون إعطائها أي حقوق تذكر.

وكانت 260 مؤسسة تضم دور نشر وصحفا ووكالات أنباء ومحطات إذاعية وشركات إنتاج ومؤسسات إعلامية، قد وقعت على مبادرة من أجل إصلاح قواعد حماية حقوق الملكية الفردية في الاتحاد الأوروبي.

ونشرت تلك المؤسسات نداء بعد لقاء في برلين تطالب فيه بمشاركة عادلة في نشاط الإنترنت وعوائده من أجل ضمان توفير شبكة إنترنت ثرية ومتنوعة ويكون للمعلومات والثقافة فيها مكان ثابت.

في المقابل واجهت الإصلاحات معارضة شديدة من شركات الانترنت العملاقة ومن بينها غوغل المالكة لموقع يوتيوب، والتي تحقق أرباحا طائلة من الإعلانات التي تجنيها من المحتوى الذي تنشره وكذلك مواقع التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك وتويتر.

كما واجهت الإصلاحات معارضة مؤيدي حرية الإنترنت الذين يخشون من أن تتسبب الإصلاحات في وضع قيود غير مسبوقة على حرية الشبكة، والإضرار بقنوات حصول المستخدمين على المحتوى والبيانات.

ويخشى المنتقدون من عدم تمكن المنصات من تطبيق اللوائح إلا باستخدام تقنية "مرشحات التحميل" التي تتيح إمكانية التحقق خلال التحميل مما إذا كانت الصور أو الفيديوهات أو المقاطع الموسيقية محمية بحقوق النشر.

وتم تنظيم عشرات الاحتجاجات في دول أوروبية مثل ألمانيا والنمسا وبولندا والبرتغال تحت شعارات ولافتات كتب عليها "انقذوا الإنترنت" و"لا تكسروا الإنترنت".

ويؤكد المتظاهرون وشركات الإنترنت وجماعات الضغط المعارضة لهذا الإصلاح القانوني أنه سيلحق أضرارا كبيرة بحرية المعلومات والناشرين الصغار على الإنترنت ويؤدي إلى فرض رقابة على الإنترنت.

وحذر الاتحاد الألماني للشركات الناشئة من مخاطر هذا الإصلاح على الاقتصاد الرقمي إذا فرض على الشركات الناشئة استخدام "مرشحات التحميل" لرصد المحتوى تلقائيا من أجل تفادي انتهاك القانون. وأكد أن ذلك سيؤدي إلى تحملها تكاليف مرتفعة لأنها لا تستطيع تطوير تلك التقنية الباهظة بنفسها.

ويبدو من المستبعد أن يجد التشريع الجديد طريقا سلسا إلى التنفيذ لأنه يؤثر على مئات المشورات يوميا ويمكن أن يقلب حياة مئات ملايين الأشخاص، ولذلك من المرجح لأن يتعرض لتعديلات واسعة خاصة في ظل رفضه من قبل 6 بلدان أوروبية وتحفظ 3 بلدان أخرى.

الفنانون والكتاب من أشد مناصري القواعد الجديدة التي أطلقتها 260 مؤسسة لإنتاج المحتوى

أيهما أفضل لكبار السن رياضة خفيفة لمدة طويلة أم تدريبات القوة

الأشخاص ذوو القوة السريعة يعيشون أطول

يؤثر تقدم السن في تراجع القوة العضلية والقدرة على ممارسة التمارين لفترات طويلة، لكن لا يعني ذلك الاكتفاء بالجهد القليل أو النادر، حيث تظل الرياضة مرتبطة بجودة الحياة مهما كان سن المتدرب، وكلما كان الفرد نشطا، ساعد ذلك في إطالة العمر والحفاظ على لياقة بدنية متوازنة وأقل عرضة لأمراض الشيخوخة.

ذوو اللياقة القلبية التنفسية الأقل الأكثر استفادة من تحسين لياقتهم

❑ **لشبونة** – أثبت مدربو اللياقة أن الوصفة المثلى للحصول على جسد سليم ومعافى، رغم التقدم في السن، تكمن في إدماج الرياضة في النشاطات اليومية بشكل منتظم.

إلا أن خلافا بين الخبراء بشأن ما إذا كان الأفضل هو ممارسة رياضة خفيفة لمدة طويلة أم ممارسة تدريبات القوة. وبينما تشير الكثير من الدراسات إلى أفضلية ممارسة رياضة الركض، توصي دراسة برازيلية، نشرت نتائجها ضمن مؤتمر "يورو بريفنت 2019 الذي عقدته الجمعية الأوروبية لأطباء القلب في مدينة لشبونة البرتغالية، بالتدرب بالأثقال الحديدية الخفيفة.

وخلص باحثون، متخصصون في الطب الرياضي في مستشفى كلينيمكس في ريو دي جانيرو، في الوقت ذاته، إلى أن مجرد رفع الأثقال لا يكفي، وقالوا إن الأمر الحاسم في ذلك هو السرعة التي تؤدى بها هذه التدريبات.

وأشار الباحثون في هذا السياق إلى أهمية العلاقة بين القوة القصوى والقوة السريعة، وقالوا إن الأولى تصف القوة الأعلى التي تستطيعها العضلات والجهاز العصبي ضد مقاومة ما.

وتستخدم القوة القصوى عندما يضطر الإنسان على سبيل المثال لدفع سيارة متعطلة، في حين أن القوة السريعة هي التي يحتاجها الإنسان لتعجيل سرعة جسمه أو أي شيء آخر في وقت قصير، مثل القوة التي يحتاجها الإنسان لصعود السلم بسرعة.

وأوضح الطبيب الرياضي كلاوديو جيل أراويو، الذي أشرف على الدراسة، أن "النهوض من المقعد في سن متقدمة أو دفع كرة يتطلب قوة سريعة... ومع ذلك فإن معظم تدريبات القوة تركز على القوة القصوى... لذلك فإن الكثير من الناس يركزون خلال تدريباتهم في صالة اللياقة على الأثقال والأوزان وعلى عدد مرات تكرار التدريبات، بدلا من التركيز على سرعة الأداء".

واختبر الباحثون خلال الدراسة القوة السريعة لدى 3878 شخصا غير رياضي في سن 41 إلى 85 عاما (متوسط سن 59 عاما)، وقسموا المتطوعين خلال ذلك وفقا للنتائج إلى أربع مجموعات.

ولقياس القوة السريعة، اختار الباحثون تدريب "التجديف في وضع القيام" أو التجديف وقوفا، والذي يقوم خلاله المتدرب برفع أحد الأثقال وهو واقف بذراعين ممدودتين باتجاه الذقن. وقال الباحثون إن هذه الحركة تشبه حركة رفع المشتريات أو رفع الجد لحفيده.

وتوفي بعد ستة أعوام ونصف العام من بدء التجربة 247 رجلا بنسبة 10 بالمئة من إجمالي عدد الرجال و75 امرأة بنسبة 6 بالمئة من مجموع عدد النساء وتبين أن احتمال الوفاة كان أعلى في المجموعات ذات القوة السريعة الأقل، أي بمعنى آخر، ووفق ما توصل إليه الطبيب الرياضي أراويو، "كشفت الدراسة للمرة الأولى أن الأشخاص ذوي القوة السريعة الأعلى يعيشون أطول".

كما أشار أراويو إلى أن ظهور هذا التأثير احتاج فقط إلى أن تكون الأحمال أعلى بقليل من المتوسط. وأوصى الأطباء بقياس القوة السريعة لمرضاهم ونصحهم بالمزيد من التدرب على القوة، ولكن ماذا إذا لم يكن الإنسان قادرا على الإطلاق على رفع الأثقال؟

كانت لدى مؤتمر "يورو بريفنت" إجابة لهذا لسؤال، حيث أوضح الباحثون أن دراسة سويدية أظهرت أن أي نوع من الحركة يمكن أن يطيل العمر، وحسبما أوضحت الطبيبة الين إكبلوم باك من الكلية السويدية للعلوم الرياضية والصحية، "يعتقد الكثيرون أن عليهم الذهاب لصالة اللياقة البدنية والتدرب الشاق لكي يصبحوا أكثر لياقة وصحة"،.. في حين أن معظم الناس يكفيهم فقط مجرد أن يكون يومهم نشطا، بحيث يتضمن مثلا صعود الدرج أو ركوب الدراجة، لأن هذه الأنشطة اها تأثير إيجابي على الصحة.

وأكد الباحثون أن اللياقة القلبية والتنفسية تتحسن بمقدار إمداد الدورة الدموية للجسم بما يحتاجه من الأكسجين.

وكان فريق اكبلوم باك قد حلل بيانات أكثر من 316 ألف بالغ سويدي تعود للفترة بين 1995 و2015 "وتبين أن الأمر المهم هو أن رفع اللياقة كان له تأثير إيجابي بصرف النظر عن نقطة الانطلاق.. مما يرجح أن الناس ذوي اللياقة القلبية التنفسية الأقل يمكن أن يكونوا هم الأكثر استفادة من تحسين لياقتهم".

وأوصت الطبيبة الين إكبلوم باك بجعل قياس قوة اللياقة جزءا من الفحوص الصحية، وقالت إن نقص اللياقة البدنية يمثل عنصر خطر، مثله مثل التدخين والبدانة والسكر، ولكنه لم يحظ حتى الآن بنفس القدر من الاهتمام.

وتجدر الإشارة إلى أن البروفيسور هربرت لولجين ينصح كبار السن، الذين تخطوا 60 عاما، قبل ممارسة رياضة ركوب الدراجات بإجراء فحص طبي لمعرفة مدى مناسبة هذه الرياضة لحالتهم الصحية.

وأوضح الرئيس الشرفي للجمعية الألمانية للطب الرياضي والوقاية أنه على الرغم من أن ركوب الدراجات يعد رياضة مثالية لكبار السن، إلا أنه يلزم قبل الانطلاق في الرحلة الأولى التأكد من أن الحالة الصحية لكبار السن لا تشكل خطرا عند المشاركة في حركة المرور.

وأوضح لولجين أنه لا بد من تحقيق 100 إلى 125 واط في اختبار الإرجوميتر، وهو الحد الذي تكون عنده احتياطات الطاقة كافية للانتباه لحركة المرور بشكل جيد. ولكي يساعد ركوب الدراجة ولا يضر الجسم في شكل آلام بالظهر مثلا، فيجب أن يكون الجسم في وضعية صحيحة، وإذا تعذر على كبار السن القيام بذلك بشكل صحيح، فإنه يتعين طلب المساعدة من متجر الدراجات مثلا.

ولتجنب المتاعب بشكل عام نصح لولجين بعمل التمارين التكميلية مثل السباحة الخلفية، كما أوصى الأطباء بأن يقوم كبار السن بشكل مبدئي بعمل تمارين تقوية العضلات مرتين في الأسبوع، وخاصة إذا كانوا من قائدي الدراجات النارية، ولا يلزم هنا الذهاب إلى صالة الألعاب الرياضية، بل يمكن القيام بهذه التمارين في المنزل.

وإضافة إلى التمارين الرياضية، كشفت دراسة أميركية حديثة أن اتباع نظام غذائي صحي يمكن أن يساعد الرجال الأكبر سنا في الحفاظ على قدراتهم البدنية التي عادة ما تنخفض نتيجة الشيخوخة.

الدراسة أجراها باحثون في مستشفى النساء بريغهام بالولايات المتحدة، ونشروا نتائجها في العدد الأخير من دورية (جورنال أوف نوتريشن هيلث اند آيجينغ) العلمية.

وأوضحت الدراسة أن قدرة الأشخاص على الحفاظ على استقلاليتهم جسديا تعتبر جزءا أساسيا من عيش شيخوخة صحية، لكن هناك القليل من الدراسات التي بحثت في الدور الذي يمكن أن يلعبه النظام الغذائي في ذلك. وأضافت أن النظام الغذائي الصحي يمكن أن يساعد كبار السن في الحفاظ على وظائفهم البدنية كالمهام اليومية الأساسية مثل الاستحمام أو ارتداء الملابس أو حمل البقالة أو صعود الدرج.

ولكشف العلاقة بين الحد من الإعاقة الجسدية لدى كبار السن، والنظام الغذائي، راقب الباحثون 12 ألفا و658 رجلا في سن الشيخوخة لمدة 4 سنوات.

> نقص اللياقة البدنية يمثل عنصر خطر، مثله مثل التدخين ولكنه لم يحظ حتى الآن بنفس القدر من الاهتمام

وفي بداية الدراسة، قام الفريق بتقييم قدرة المشاركين على القيام بأنشطة مثل الاستحمام وخلع الملابس والمشي والانحناء وتسلق الدرج ورفع البقالة، كما قاموا بتقييم عاداتهم الغذائية.

واعتمد النظام الغذائي الصحي على 3 فئات أساسية؛ الأولى ضمّت مكونات غذائية لا بد من الإكثار من تناولها وهي: الخضروات والفواكه والحبوب الكاملة والمكسرات والبقوليات وأحماض "أوميغا 3" الدهنية (الأسماك الدهنية كالسلمون والسردين والتونة وبذور الكتان)، والأحماض الدهنية المتعددة غير المشبعة (زيت الزيتون والمكسرات والأفوكادو).

الكافيين يحسن الأداء أثناء ممارسة التمارين الرياضية

❑ **لندن** – كشفت مراجعة لبحوث سابقة أن تناول الكافيين قبل ممارسة التمارين الرياضية قد يحسن أداء مجموعة واسعة من التدريبات.

وكتب الباحثون في دورية "الطب الرياضي" البريطانية أن الكافيين يمكنه على وجه الخصوص تعزيز السرعة والطاقة والقوة والتحمل.

وقال جوزو جرجيك قائد فريق البحث من جامعة فيكتوريا في ملبورن بأستراليا، "المكملات التي تحتوي على الكافيين شائعة جدا بين الرياضيين وكشفت دراسة ترجع لعام 2011 أن نحو 75 بالمئة من عينات بول رياضيين شاركوا في الألعاب الأولمبية تحتوي على مستويات مرتفعة من الكافيين".

وفي 2004 رُفع الكافيين من قائمة الوكالة العالمية لمكافحة المنشطات كمادة محظور تناولها خلال المنافسات.

وقال جرجيك لرويترز بالبريد الإلكتروني "منذ ذلك الحين زاد تناول الكافيين بين الرياضيين ولا توجد مؤشرات على انحسار ذلك". وأجرى جرجيك وزملاؤه مراجعة شاملة لنتائج مراجعات سابقة حللت عدة دراسات تتعلق بالكافيين والأداء الرياضي. واكتشفوا أن الكافيين عزز قدرة العضلات على التحمل وقوتها وأداء القفز وسرعة أداء التمارين.

وقال جرجيك "كقاعدة عامة يكون لتناول كوبين من القهوة قبل نحو 60 دقيقة من بدء التمرين تأثير قوي لدى معظم الأفراد".

وتأتي هذه الدراسة مغايرة تماما لدراسة أسترالية سابقة كانت قد نصحت الرياضيين بعدم شرب القهوة بانتظام قبل التمارين الرياضية، لأن كثرة مستويات الكافيين في الجسم تؤثر بالسلب على أدائهم البدني.

الدراسة أجراها باحثون بجامعة دبلن الأسترالية، ونشروا نتائجها في دورية "أنترناشيونال جورنال أوف سبورت نوتريشن آند إكسرسايزس ميتابوليزم" العلمية.

وقال الباحثون إن "الرياضيين عادة ما يشربون القهوة والمشروبات التي تحتوي على الكافيين على نطاق واسع، لتحسين قدرتهم على التحمل وزيادة قوة العضلات، حيث يحفز الكافيين الجهاز العصبي المركزي للحد من التعب والنعاس". ودرسوا تأثير شرب القهوة بانتظام على أداء الرياضيين، وخاصة قبل التمارين الرياضية، حيث راقبوا عيّنة تعدّ 81 رجلا كانوا جزءا من فريق رياضي. وطلب الفريق من جميع المشاركين الرجال المشاركة في 10 سباقات عدو يبلغ طول كل منها 40 مترا، وقبل كل سباق، طلب من الرياضيين مضغ علكة تحتوي على الكافيين، بمستويات تعادل نسب الكافيين الموجودة في كوبين من القهوة، فيما تناولت مجموعة أخرى علكة خالية من الكافيين.

وكشفت الدراسة أن الرياضيين الذين مضغوا علكة الكافيين، بشكل غير منتظم قبل سباقات العدو، كان لها تأثير ضئيل على أدائهم البدني. ووجد الفريق أن الذين يشربون ما يعادل حوالي 3 أكواب فأكثر من القهوة يوميا بانتظام وخاصة قبل بدء التمارين الرياضية شهدوا انخفاضا في مستواهم البدني في اختبارات العدو المتكررة.

وفي المقابل، حافظ أولئك الذين كانوا يشربون القهوة بمعدلات منخفضة وغير منتظمة على أدائهم في جميع سباق العدو.

وقال الباحثون إن نتائج الدراسة تشير إلى أن "شرب المشروبات التي تحتوي على الكافيين وعلى رأسها القهوة بشكل منتظم قد يؤثر على الأداء البدني للرياضيين".

وتجدر الإشارة إلى أن المراجعة الدولية لمجموع البحوث السابقة قد أثبتت أن الكافيين يجعل العضلة تستخدم الدهون كمصدر للطاقة مع الكربوهيدرات، ولهذا فهو يساعد على تحمل فترات أطول من التدريب لتعدد مصادر الطاقة أثناء التدرب. فيساعد شرب القهوة بعد التمرين على إعادة ملء مخازن الغليكوجين وعلى سرعة إزالة مخلفات التمرين من العضلات وتقليل الشعور بالتعب، نتيجة تراكم حمض اللاكتك وبالتالي زيادة سرعة الاستشفاء العضلي.

ويحتوي فنجان واحد من القهوة على مقدار حوالي 150 ملغراما من الكافيين الذي يساعد على زيادة ضخ الدم للعضلات وتحسين أداء التمارين وزيادة التركيز.

كما أثبتت 39 دراسة عن فوائد القهوة أن أداء الرياضيين الذين تناولوا كوبا واحدا تحسن بنسبة 12.5 بالمئة. وفي دراسات أخرى، وجد أن تناول كوبين يحسن الأداء على المدى الطويل كما هو الحال في ركوب الدراجات لمسافات طويلة أو رياضة السباحة، كما يعطي تناول القهوة الرياضيين قدرة أكبر على الاستمرار في التمرين بمقدار الثلث.

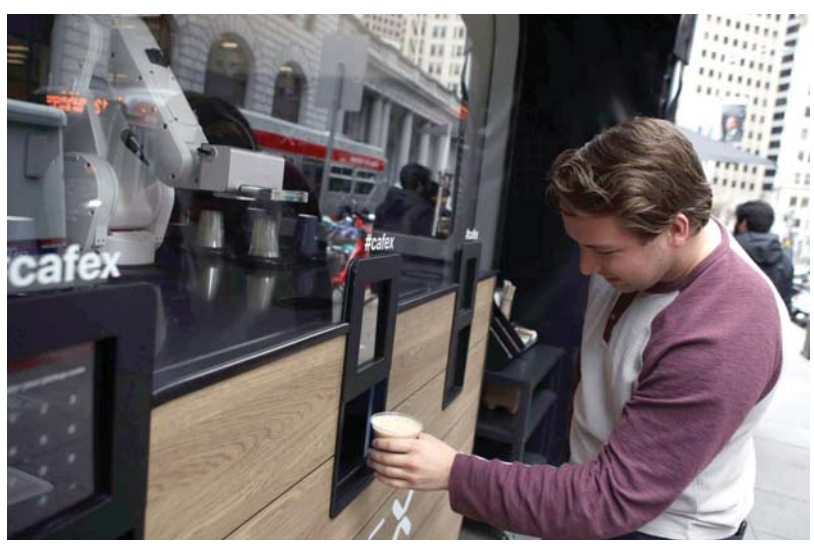

الكافيين يعزز السرعة والطاقة والقوة والتحمل

> كقاعدة عامة يكون لتناول كوبين من القهوة قبل نحو 60 دقيقة من بدء التمرين التأثير القوي لدى معظم الأفراد

الإيمان بنظريات المؤامرة أسهل عند الشباب العرب من تقبل الهزيمة

الاستسلام لفكرة المؤامرة أحد أسباب انقياد الشباب للتطرف والإرهاب

تتشارك شعوب العالم الانجذاب نحو نظريات المؤامرة، وتكتسب النسخة العربية منها انتشارا واسعا بين أبناء الجيل الجديد في ظل الإحباطات والإخفاقات التي يعيشها، فتبدو فكرة وجود مؤامرة على هذا الجيل مغرية أكثر من الاعتقاد بأنه فاشل ومهزوم.

❏ **تونس** – "العالم يتآمر علينا، العالم يضطهدنا، كنا أصحاب القوة والمجد، لكن هذا النجاح أثار حفيظة الأمم الأخرى وحقدها، فدفعها إلى التآمر علينا، على حضارتنا، ودِيننا وشعبنا وبلادنا. كل ما نحن فيه من معاناة ما هو إلا نتيجة مؤامرة حيكت بإتقان ضدنا"، والقائمة طويلة من النظريات المتوارثة جيلا بعد جيل تجد آذنا صاغية لدى الشباب العرب.

لا يدرك الكثير من الشباب أن جميع شعوب العالم تتمتع بالانجذاب نفسه نحو نظرية المؤامرة، والمتآمرون أنفسهم يعتقدون أن هناك من يتآمر عليهم.

ادعاءات ومغالطات

وفي العالم العربي على وجه الخصوص يتم الترويج منذ أجيال لنظريات مؤامرة لا حصر لها، خاصة في ظل الإحباطات والإخفاقات لشعوب لديها تاريخ تتغنى به، رغم أنه مشوب بالكثير من الادعاءات والمغالطات إلا أنه ارتبط بالأذهان بالعظمة والمجد، بينما تستمر النكبات والأزمات عليه في شتى المجالات في العصر الحالي.

ولا تقتصر خطورة نظرية المؤامرة على تبرير الهزيمة للجيل الجديد، أو على جعله يتقبل الهزيمة ويستسلم لها، ولكن خطورتها أنها تعمل على تسطيح وعي الشباب والمجتمع، وبمرور الوقت تصبح أي فرصة للإصلاح مظهرا من مظاهر التمرد، ويتكتل الجميع من أجل محاربتها بأي شكل.

كما أن الاستسلام لتحكم "القوى الخفية" يجعل الشباب غير قادرين على حل مشاكلهم، ابتداء من الأمور الشخصية إلى القضايا الكبيرة، كالصحة وحقوق الإنسان والتعليم في العالم العربي الذي استسلم لفكرة أنّ التعليم سيء؛ لأن الآخرين لا يريدوننا أن نتقدم، وحقوق الإنسان ليست سوى خزعبلات صدرها لنا الغرب لتخريب أخلاقنا وثقافتنا، والصحة كما التعليم تم القضاء عليها من قبل الدول الأخرى التي تهابنا وتخافنا وينشغل حكامها ليل نهار بالتخطيط لإبقائنا أغبياء جاهلين ومرضى؛ لأنّنا سنقضي عليهم إذا تقدمنا، وسنحكم العالم من جديد.

وتؤكد الدراسات الحديثة أن الشباب هم من أكثر الفئات العمرية تأثرا بنظريات المؤامرة حتى في الدول المتقدمة، فقد بينت نتائج استطلاعات رأي في الولايات المتحدة، أن 33 بالمئة من تلاميذ المدارس وطلاب الجامعات غير متأكدين من أن الأرض كروية.

سجناء الأفكار المتشككة

وأفاد موقع لايف ساينس، بأن هناك حركات اجتماعية قوية في الولايات المتحدة، يعتقد المشاركون فيها بأن الأرض مسطحة. وحسب اعتقادهم، فإن "ناسا" والعلماء وشركات الطيران يخفون هذه الحقيقة عن الناس ضمن إطار المؤامرة العالمية للنخب.

وقد أعلن بعض ممثلي هذه "الاتجاهات الثقافية" عن استعدادهم للتضحية بحياتهم من أجل إثبات ذلك.

ولا يختلف الأمر كثيرا في العالم العربي، بل بالعكس يبدو أكثر انتشارا إذ يمكن ملاحظته بشكل واضح في مواقع التواصل الاجتماعي مع أي خبر وفي أي مجال، حيث يبدو سيل التعليقات وغالبيته من الشباب مروجا لنظريات مؤامرة لا حصر لها.

ويقول خبراء اجتماع إن هناك فئات في المجتمعات العربية تواجه تحديات الحاضر باستدعاء أدوات الماضي، والاعتماد على نظرية المؤامرة وتخوين وتكفير كل من يخالفها في الرأي متحصنة بمفردات دينية، ما يجعل إيمان الشباب بنظريات المؤامرة أحد الأسباب الرئيسية للانقياد وراء التطرف والإرهاب. ويؤكد الخبراء أن تعزيز الفكر الوسطي لدى الشباب ضروري لمواجهة الخرافة المتعلقة بنظريات المؤامرة والإرهاب، وأن هناك مسؤولية جماعية على عاتق مؤسسات المجتمع المدني ووسائل الإعلام لترسيخ هذا الفكر وزيادة الوعي في المجتمع. وألقت دراسة جديدة الضوء على كيفية انتشار نظريات المؤامرة عبر الإنترنت وعلى أولئك الذين يصدقونها في الواقع.

مؤمنون غير عقلانيين

وحاول فريق من الباحثين الأستراليين كشف السبب الذي يجعل المعتقدات الغريبة، في الكثير من الأحيان، تلقى جاذبية واسعة النطاق. وقام الباحثون بتحليل حوالي 1.7 مليار تعليق وبيانات على الإنترنت، في الفترة بين أكتوبر 2007 ومايو 2015.

ووجدوا أن المؤمنين بنظرية المؤامرة يميلون لأن يكونوا غير عقلانيين وربما حتى مرضى نفسيين. ووفقا للباحث الرئيسي كولين كلاين، فإن أصحاب نظرية المؤامرة يمتلكون نظام اعتقاد "أحادي"، حيث يؤدي الإيمان بمؤامرة واحدة إلى الإيمان بالمؤامرات الأخرى، ويشرحون كل حدث مهم في إطار "المنطق التآمري".

ومن خلال البيانات الضخمة التي تم تحليلها، كشفت النتائج أن المؤامرات تصبح شائعة وواسعة الانتشار عندما يربطها عدد من الأشخاص المختلفين بمعتقداتهم، حيث أن الكثيرين يتعاملون مع هذه النظريات بسبب عدم الثقة في المصادر التقليدية للمعلومة، وبسبب تفاعلاتهم على الصفحة، أصبحوا متورطين في أفكار متطرفة بشكل متزايد.

وبعبارة أخرى، فإن الباحثين، وجدوا أنه إلى جانب "المؤمنين الحقيقيين" هناك مجموعات مختلفة تقف وراء انتشار نظرية المؤامرة، سواء كانت تلك المجموعات مرتبطة بالأيديولوجيات المشتركة أو اللاعقلانية البسيطة.

ويقول الباحثون إن الأفراد المشاركين في نظريات المؤامرة قد يمتلكون دوافع نفسية ومعتقدات ومواقف مختلفة، فمنهم من يكون غير منطقي وبعضهم يكون غاضبا، والبعض الآخر يكون عنصريا، بالإضافة إلى الذين يشككون في كل شيء. لذلك يمكن القول إن نظرية المؤامرة يمكن فهمها على أنها أفضل وسيلة للتعبير عن انهيار الثقة في مؤسسات مثل الحكومات ووسائل الإعلام، وعلى الرغم من صعوبة إعادة بناء الثقة، إلا أن اكتشاف دوافع ومواقف المؤمنين بنظريات المؤامرة المتنوعة والمعقدة، قد يكون خطوة نحو إيجاد حل لكيفية القضاء عليها.

> اتجاه جديد لعدد من الشباب يعتبرون أن نظرية المؤامرة هي أكبر مؤامرة ضد شعوب لا تريد أن تواجه مشاكلها

واستنادا إلى هذه الدراسة ومدى ثقة الشباب العربي في وسائل الإعلام والحكومات، يبدو واضحا سبب الانتشار الهائل لمعتنقي نظريات المؤامرة بين أوساط الشباب.

وفي أحد التعليقات يبرز أحد المدونين الشباب مدى تأثير هذه النظريات على حياته قائلا "الجهل الذي أعاني منه مؤامرة، الفقر مؤامرة، الفساد المستشري مؤامرة، حتى ثورات الربيع العربي الناتجة عن غضب طبيعي من كل الإخفاقات المذكورة، مؤامرة، أنا شخصيا مؤامرة. هنا، نحن نواجه حالة مرضية ناتجة عن ظروف مرضية، وليست مجرد استثارة طفولية حيال قصص خيالية كما في سائر بلاد العالم".

ولا يمكن التخلص من عقيدة نظرية المؤامرة، إلا بعد استبدال ثقافة المجتمع التي تعتبر الاعتراف بالخطأ من علامات الضعف الإنساني، بثقافة أخرى يلعب فيها النقد الذاتي والإقرار بالخطأ دورا أساسيا، وهذا لا يتم بين ليلة وضحاها إنما يحتاج إلى الكثير من التوعية والتثقيف على مدار سنوات في المدارس والجامعات لزراعة بذور فكر جديد في جيل المستقبل قائم على المنطق والمحاكمة العقلية.

لكن هناك من يطرح تساؤلا؛ كيف ستقوم المدارس والجامعات بدور التوعية وعدم الاستسلام لنظريات المؤامرة التي هي في الحقيقة نظريات استسلام للهزيمة إذا كان القائمون على هذه المؤسسات هم أساسا من المؤمنين والمروجين لهذه النظريات.

في المقابل ظهر اتجاه لعدد من الشباب المثقفين والمنفتحين على الحضارات العالمية يعتبرون أن نظرية المؤامرة هي أكبر مؤامرة ضد شعوب لا تريد أن تواجه مشاكلها وتحيل كل ما تعاني منه إلى كراهية الآخرين لها. ويعتبرون أن هناك تشككا عاما لدى الجمهور حيال الأخبار التي يبثها الإعلام. لهذا كلما انتشر خبر ما، كان الرد جاهزا: نشر هذا الخبر متعمد من أجل إلهائنا به عن القضايا الكبرى.

ما وراء عقول المتشككين المؤمنين بالمؤامرة الخفية

❏ **لندن** – يطرح روب بروزرتن أستاذ علم النفس بكلية جولد سميث للدراسات النفسية بجامعة لندن في كتابه "العقول المتشككة: لماذا نؤمن بنظريات المؤامرة"، التفسيرات النفسية والأسباب التي تجعل من بعض الناس أكثر قابلية لتصديق نظرية المؤامرة، خاصة عندما يصيبهم شعور من الغضب والتهميش، وتنطبق هذه الحالة على نسبة كبيرة جدا من الشباب العربي.

واتسم بحث الدكتور بروزرتن بالحياد، إذ سعى لتوصيف موضوع هذه النظريات وملامحها وأسبابها، دون الخوض في المسائل المتعلقة بمدى خطأ أو صحة أي منها. واعتمد اعتمادا كبيرا على نتائج التجارب والأبحاث التي أجراها هو أو زملاؤه في هذا المجال.

وطرح بداية تعريف نظرية المؤامرة قائلا إنها الاعتقاد بأن وراء الأحداث الكبيرة، عادة، أيادي خفية تديرها، ورفض التفسير الرسمي للحدث؛ ولها عدة ملامح أساسية، منها أن المتآمرين يتسمون عند أصحاب هذه النظرية، بمستوى غير عادي من الشر؛ فهم يبيدون الآلاف، ويستعبدون الناس دون أدنى شفقة. ويتمتع المتآمرون بقدرات غير عادية؛ فهم قادرون على إدارة شؤون العالم، وإثارة الحروب، ونشر الأمراض.

ولا تقوم هذه النظريات على البراهين القوية، ولكنها تعتمد على اصطياد أو رصد عدد من المشاهدات المنفردة، أو الأحداث الغريبة، أو الثغرات في الروايات أو الأخبار الرسمية التي لا تجد لها تفسيرا، أو الربط بين الخيوط المختلفة داخل واقعة تاريخية ما (مثل الرجل الذي يحمل المظلة أثناء اغتيال كنيدي) لنسج قصة تفسيرية شاملة.

ولا يوجد بالطبع دليل صلب على صحتها، وذلك بالضرورة، وإلا ما كانت، أصلا، نظرية للمؤامرة.

ولا يمكن أيضا إثبات خطئها، في أحوال كثيرة، لأنها قائمة على التشكيك في السلطة نفسها، فإلى أي سلطة سنحتكم؟ فإذا ظهر دليل يتماشى مع النظرية، فسيقول أصحاب النظريات: هذا طبيعي، فهذا ما أخبرناكم به، وإذا ظهر دليل مناقض فسيقولون: هذا أمر متوقع، لأن المتآمرين يزيفون الأدلة لإخفاء المؤامرة، وإذا لم يظهر أي دليل قط، قالوا: طبيعي، فالمتآمرون يلتزمون الحذر.

وتتمثل الدواعي الرئيسية لدراسة نظرية المؤامرة في ارتفاع أعداد المؤمنين بها من الناس، والذين يصدقون واحدة من نظريات المؤامرة أو أكثر، هذا فضلا عن التداعيات السلبية الخطيرة التي قد تترتب على الإيمان بهذه النظريات، مثلما حدث في حالة الذعر التي ضربت الولايات المتحدة وأوروبا من استخدام التحصينات واللقاحات، بعدما ربط أحد الأطباء أدعياء الشهرة بينها وبين الإصابة بمرض "التوحد عند الأطفال"، فتوقف الأهالي عن تطعيم أطفالهم، مما ترتب عليه ظهور الآلاف من حالات الإصابة بالحصبة والكثير من حالات الوفاة.

ويضيف بروزرتن أن عقولنا تميل إلى رؤية الأحداث التي تلم بنا كأنها مقصودة وذات هدف، وليست صدفة، أي أن لدينا ميلا عقليا لاعتبار أن كل الأشياء تحدث لتحقيق غاية وبمقصد معين (لا مجال للصدفة)، كأننا نسقط صفاتنا البشرية على الأشياء من حولنا. وأثبتت التجارب أن الأشخاص الأكثر تأثرا بهذا النوع من انحياز النية هم الأكثر تصديقا لنظريات المؤامرة.

ويشرح الكتاب انحياز التناسب، وهو افتراض أن أي حدث كبير لا بد أن يكون وراءه سبب كبير، وأن أي حدث صغير وراءه حدث صغير، فلا يعقل أن يكون اغتيال كندي وراءه فقط شخص مجنون، وكذلك كل الأحداث المهمة في العالم، كاختفاء الطائرات، والاغتيالات، لا يمكن أن يكون وراءها شيء بسيط أو صدفة.

عقول تدور في فلك المؤامرة

من جميلة بوحيرد إلى رجاء مزيان.. رسالة الحرية واحدة

الانخراط التلقائي للمرأة الجزائرية في الحراك الشعبي يفاجئ الجميع

المرأة الجزائرية كانت حاضرة بقوة في الحراك الشعبي وترجمت حضورها عبر اضطلاعها بعدة أدوار، وتقديمها يد العون من خلال مساهماتها في الكثير من الأنشطة الداعمة للمتظاهرين، كما شكلت مشاركتها الفاعلة رسالة للتحول العميق في المجتمع الجزائري.

صابر بليدي
صحافي جزائري

❑ **الجزائر** – أعطى دخول المرأة الجزائرية على خط الحراك الشعبي، إضافة نوعية وزخما غير مسبوق، أعاد إلى أذهان المخضرمين والمسنين، التفافها حول جيش التحرير خلال ثورة نوفمبر 1954، فعلى عكس كل المحطات الاحتجاجية والسياسية السابقة، شكل حضور المرأة في المشهد الجديد، دعما قويا وتحولا اجتماعيا لافتا أعاد ترتيب الكثير من المفاهيم النمطية.

يعترف موثقو مسار الحراك الشعبي الجزائري منذ اندلاعه في الثاني والعشرين من فبراير الماضي، بأنه لما كانت الشكوك تدب في أوساط الناشطين حول مستقبل الاحتجاجات الشعبية بعد المسيرة الأولى، جاء إعلان المناضلة التاريخية جميلة بوحيرد، بالنزول إلى ساحة أول مايو في المسيرة الموالية، ودعوتها للشباب من أجل التلاحم والصمود، بمثابة الخطبة السحرية التي غيّرت موازين القوى.

> انخراط جميلة بوحيرد، أضفى رمزية نضالية وتحررية على الحراك الشعبي، بما للمرأة من رصيد وملاحم في مقاومة الاستعمار والنضال من أجل الحرية

وأضفى انخراط بوحيرد، رمزية نضالية وتحررية على الحراك، بما للمرأة من رصيد في مقاومة الاستعمار والنضال من أجل الحرية، لتتبعها أخريات كشقيقة القائد التاريخي العربي بن مهيدي، زهرة ظريف بيطاط، والكثير من المناضلات والفدائيات اللائي تزين بالراية الوطنية، وسرن إلى جنب الشباب والشابات.

ومنح انخراط أولئك هوية عميقة للحراك الشعبي، بتوالي الأسابيع والمسيرات المليونية، وفرض وجودهن آداب الاحترام، فلم يعد للكلمات البذيئة أو سلوكيات التحرش مكان وسط المتظاهرين، لأن إجماعا تحقق لدى هؤلاء من أجل تبليغ السلطة وجميع المراقبين، الرسالة السلمية والحضارية للحراك، وبات الجميع يسير من أجل المشروع النضالي الطامح لإرساء قواعد جمهورية ثانية.

وبذلك تعزز وتنوع النسيج النسوي في الحراك الجزائري، وانصهرت فيه مختلف الأجيال، بداية من قديمات الحرب إلى الطالبات الجامعيات والموظفات، مرورا بناشطات في السياسة وحقوق الإنسان، على غرار المحامية ورئيسة حزب الاتحاد من التغيير والرقي زبيدة عسول، التي تعد من أشرس المعارضات للسلطة، والتي كانت حاضرة في الميادين منذ انطلاق الحراك الشعبي.

ويقر سياسيون ومختصون في علم الاجتماع، بأن حضور المرأة الجزائرية في الحراك الشعبي، كان إحدى الرسائل القوية على التحول العميق في المجتمع، وعلى الدور الأساسي لها في إضفاء المشهد الاستثنائي، الذي قطع مع أحكام نمطية سابقة تضع المرأة في خانة الكائن القاصر، وأطاح بأشكال التمييز بين الجنسين.

ونقلت صور الحراك على مدار سبعة أسابيع، صورا للمرأة الجزائرية تداولتها شبكات التواصل الاجتماعي والإعلام المحلي والدولي، فظهرت متزينة بالراية الوطنية، التي أخفت وراءها جميع الخلفيات الفكرية والأيديولوجية، فكانت العجائز بجانب الشابات، والمحجبات بجانب السافرات.

ولما كان لزاما على النشطاء تغذية الحراك بلمسات إبداعية للحيلولة دون تغلغل الملل والشك في أوساط المتظاهرين، لم تتأخر المرأة الجزائري في إضفاء لمستها الرقيقة على المشهد الصاخب، فقدمت الورود لأفراد الأمن من أجل استمالتهم لصالح الحراك، وشاركت في إنجاز لوحات تشكيلية وعروض مسرحية وموسيقية، ضمنتها أفكارها وأفكار الشباب المنتفض ضد سلطة جثمت على صدور شعبها وشبابها وشاباتها طيلة عقود من الزمن.

وتحولت ساحتا "البريد المركزي" و"موريس أودان" بالعاصمة، إلى ركح مفتوح لأعمال فنية بلمسة أنثوية، تضمنت أفكار الحراك، وترجمت تحولا اجتماعيا، يؤسس الاحتضان العادل للجنسين ولقواسم مشتركة جديدة مستلهمة من الحرية والاحترام.

وكانت فنانة الراب رجاء مزيان، أول امرأة جزائرية تطلق أغنية، تمجد الهبة الشعبية وتهاجم النظام الحاكم، وفي تسجيل حصد نسب مشاهدة كبيرة على "يوتيوب"، عبرت في أغنية "ألو.. سيستام (نظام)"، عن رؤية الشباب، والشابات على وجه التحديد، للجزائر التي يطمح إليها هؤلاء.

وخاطبت مزيان، نظام بوتفليقة، بالقول "ألو سيستام، هل تسمعني أم أغلقت أذنيك.. جمهورية أردناها شعبية وليست ملكية، جئنا كالطوفان أخطونا يا الباندية (ارحلوا عنا يا عصابة)"، وتساءلت عن الخزائن الفارغة ومصير أموال الشعب، في رسائل قوية، حملت شعارات مرفوعة في المسيرات المليونية.

ولما تزامنت المليونية الثالثة للحراك مع اليوم العالمي للمرأة، فقد ظهرت لمسة فارقة للمرأة الجزائرية، التي خرجت بقوة للشوارع والساحات للاحتجاج، وتجلت في ارتدائها اللباس التقليدي وحملت الورود، لتعبر عن طموحها في وطن حر وشعب سيد على أرضه. فتزينت العاصمة بالأزياء التقليدية، كالحايك والفرقاني والكراكو، رغم أن نصائح النشطاء كانت تشدد على ارتداء لباس يسهل التعامل مع مختلف المستجدات، فأكدت بذلك على تمسكها بشخصيتها وتاريخها، وفرضت منطقها وبصمتها على مصالح الأمن، التي فقدت كل ذرائع القمع أمام تلك المشاهد الاستعراضية.

ولم تكن المرأة أقل جرأة وشجاعة من الرجل، حيث قدمت الصحافيتان في الإذاعة والتلفزيون الحكوميين نادية مداسي ومريم عبدو، استقالتهما من منصبيهما في أول أيام الحراك، احتجاجا على سياسة التضييق التي تبنتهما المؤسستان، وكان ذلك إيذانا بفتح مسلسل طويل من احتجاجات الصحافيين العاملين في الإذاعة والتلفزيون للمطالبة برفع الوصاية عن المهنية والاحترافية.

ووفاء لتقاليد عريقة، اضطلعت الكثيرات، في مدن العاصمة ومدينتي وهران وبجاية، بمهمة طبخ طبق الكسكس لتوزيعه كغذاء على المتظاهرين القادمين من المناطق البعيدة، قبل بداية المسيرات التي تنطلق بعد الانتهاء من صلاة الجمعة.

وتقول راضية، ربة بيت، من مدينة بجاية، بأنها "أرادت المشاركة في عمل تطوعي وتقديم خدمة للحراك الشعبي، بالتعاون مع بعض الجارات في الحي، في إعداد وطبخ وجبة الكسكس، لتقديمها للمتظاهرين قبل بداية المسيرات، لاسيما وأن المحال والخدمات التجارية كانت تغلق تماما".

وأضافت "المجتمع المحلي في منطقة القبائل معروف بخصال التطوع والتضامن الاجتماعي، ولما اقترح ناشطون هذه الفكرة، لم تتأخر النسوة في تلبية الدعوة، وكان عددنا في البداية 4 سيدات وبمرور الأيام صار 12 سيدة، نضبط برنامجا خاصا ليوم الجمعة من أجل توفير أكبر عدد من الوجبات للقادمين من المناطق الخارجية".

وكما فاجأ الحراك الشعبي، السلطة والطبقة السياسية ومختلف النخب والمراقبين الأجانب، فإن الانخراط التلقائي للمرأة الجزائرية، كان المفاجأة الكبرى، وصارت الجزائريات من مختلف الأعمار والطبقات مهتمات بالشأن السياسي للبلاد.

ونقل تسجيل على مواقع التواصل الاجتماعي، نصائح عجوز لصديقتها، بضرورة عدم القبول بالندوة الوطنية، لأنها التفاف على الثورة، وهي ندوة سعى لتنظيمها الدبلوماسي السابق لخضر الإبراهيمي وفق ما كان يعرف بخارطة طريق قدمها الرئيس المستقيل بوتفليقة في 11 مارس الماضي.

الجزائرية.. صوت الحرية والتغيير

نحو عودة حقيقية للجزائريات إلى الفضاء العمومي

حميد زناز
كاتب جزائري مقيم في فرنسا

❑ لم تكن النساء الجزائريات ممنوعات من الفضاء العمومي ولكن لا يمكن القول بأنهن كن حاضرات ومقبولات مثلهن مثل الذكور. كن يعبرن هذا الفضاء مسرعات خائفات تلاحقهن نظرات جائعة وكلمات نابية في أغلب الأحيان. يبدأ تأثيمهن وتهديدهن وابتزازهن العاطفي منذ الصغر لإقناعهن بأن الفضاء العمومي خطر على النساء ومصدر لفساد الأخلاق.

وقد اختفت كثيرات منهن تحت حجاب أو جلباب أو خمار هروبا من المضايقات والتحرش إذ بسبب خطاب الأئمة في المساجد والإسلاميين في كل مكان أصبح ينظر إلى غير مرتديات الحجاب المتناقص عددهن باطراد كمتبرجات لا يلتزمن بالقواعد الإسلامية بل ويوصفن بالعهر أحيانا.

ولم يأت ذلك الرفض للنساء من عمق المجتمع الجزائري الأصيل بل هو نتاج هجمة أصولية خارجية تواطأت معها نخب محلية متأسلمة من داخل النظام وفي المعارضة على حد سواء. فعلى سبيل المثال وتحت ضغط المتأسلمين، لم يبرّر قانون الأسرة الجزائري بعض الأعراف الاجتماعية المتكلسة فحسب بل حاول إحياء الكثير منها إذ في الوقت الذي كانت فيه عادة تعدد الزوجات في طريقها إلى الاضمحلال في جزائر جاءت السلطة عام 1984 بهذا القانون ليعيد بعث التعدد من جديد. وقمع النظام آنذاك النساء المتظاهرات ضده أمام مبنى البرلمان. ولم يكن الأمر تقنينا وتنظيما لواقع وإنما كان تشجيعا لسلوك انحرافي وإشباعا لنزعة دينية لا غير. وحينما فرضت بعض النساء المناضلات النقاش حول مشروعية النص وتناقضه مع الدستور، شكّل بوتفليقة لجنة مراجعة لم تكن النتيجة سوى بعض إصلاحات محتشمة لا تمس لب المشكلة. ولن تنسى الجزائريات موقف بوتفليقة المتخاذل حينما صرح وكأنه يحكم عليهن أن يكن مثنى وثلاث ورباع إلى الأبد قائلا "لا يمكنني أن أعصي الله، قال، لا أستطيع أن أساوم مع الآيات القرآنية".

وفي هذا الشأن، تقول لنا الأكاديمية والمسرحية خيرة بن عتو صاحبة مسرحية "علب" إن النضال مازال طويلا أمام المرأة الجزائرية كي تفتك كل حقوقها وتتجاوز قانون الأسرة المجحف في حقها ولتتمكن من نيل حقها في المساواة مع الرجل وحقها العادل في الميراث. هذه الثورة فرصة للجزائرية، لتخرج من العلب التي سجنت فيها. وتحقق ذاتها ككيان مستقل غير تابع لأحد.

وحقيقة لقد كرس قانون الأسرة المستلهم رأسا مما يسمى شريعة إسلامية دونية المرأة الجزائرية وقصورها. ورغم الحصار القانوني والاجتماعي، لم تستسلم النساء الجزائريات ورحن يقتحمن كل مجالات الحياة جراء تفوقهن الكبير في الدراسة إلى درجة بتن يشكلن الأغلبية في كل الجامعات الجزائرية إذ يفوق عدد الناجحات في الباكالوريا عدد الناجحين في كل عام. ومع ذلك لا تمس البطالة سوى 11 بالمئة من الذكور المتحصلين على شهادات بينما تمس 55 بالمئة من النساء.

وقد عرفت المرأة الجزائرية مع الأيام أن الفضاء العمومي ينتزع ولا يعطى هدية. ولم تتردد في المشاركة في المظاهرات الصاخبة في الجزائر ضد النظام منذ انطلاقها في 22 فبراير الماضي، فكانت في أول الصفوف تحمل الشعارات وتنظم وتحتل الشارع في تناغم وتضامن تام مع الذكور وتُسقط الحواجز النفسية والدينية وتفقأ العيون المتربصة التي كانت تحول بينها وبين تواجدها الطبيعي في الفضاء العمومي.

التمرد ضد النظام هو إعلان قوي لميلاد مجتمع مدني حقيقي مختلط، سيفتح آفاقا للحريات الفردية بالنسبة للنساء والرجال على حد سواء. وما هو جديد فعلا هو استقبال المتظاهرين للنساء سواء كن محجبات أم غير محجبات باحترام وترحيب لم تعرفه التجمعات الشعبية في الجزائر منذ زمن طويل. ولكن لم يأت هذا الاحترام هكذا فجأة بل هو نتيجة لنضالات نسوية مبكرة ضد النظام قادته نساء متميزات شرسات منذ مدة كالطبيبة أميرة بوراوي التي كانت تخرج على رأس مجموعة من النساء والرجال منذ 2014 ضد العهدة الرابعة لتقول لبوتفليقة "بركات" (كفى) وهو اسم الحركة التي كانت تترأسها قبل أن تتحول إلى "حركة مواطنة".

لم يسبق أن نزلت النساء بهذا العدد الهائل إلى الشارع كما يحدث اليوم مع ثورة الابتسامة. ولو أن حميدة آيت الحاج الكاتبة والمخرجة المسرحية والأستاذة الجامعية تقول إنها لاحظت حضورا محتشما للجامعيات والمثقفات والفنانات اللواتي من المفروض أن يكن في الواجهة ولكنها مسرورة بالنظرة التي قدمتها النساء عن المجتمع الجزائري كما هي متفائلة بتغيير النظام.

ومع ذلك فقد كانت وسط الحشود الكبيرة إلى جانب العاملات وربات البيوت والنساء المتقدمات في السن وبعض المهندسات والطبيبات والمعلمات، والصحافيات وحتى مجاهدات شهيرات كأيقونة ثورة التحرير الجزائرية جميلة بوحيرد...خرجن كمواطنات من الدرجة الأولى وليس كناقصات عقل ودين كما يقول الإسلاميون. كان لوجود المناضلة جميلة بوحيرد رمز النضال النسوي المغتصب بعد الاستقلال وسط جموع المتظاهرين وقعا خاصا على الجزائريات ذكّرهن ببطولات جداتهن خلال حرب التحرير حيث كان لهن نفس واجبات الرجال وحينما جاء الاستقلال أخذ الرجال كل الحقوق وفرضوا لامساواة ظالمة على النساء.

وهو ما لا تريد الجزائريات أن يتكرر عقب ثورة اليوم. هن عاقدات العزم هذه المرة على أن التحرر سيكون معهن أو لا يكون.

وفي مواقف المنظمات النسوية والمواقع الإلكترونية هناك إجماع على أن الوقت قد حان لتجاوز الفكر الإخواني القروسطي وبناء جزائر ديمقراطية جديدة تضمن العدل والحريات والمساواة بين الجزائريات والجزائريين كيلا يتكرر التاريخ ويتم السقوط في نظام مجتمعي يعادي المرأة ويحتقر الأنوثة.

ولئن كان دفاعهن عن حقوقهن في الماضي وجديتهن قد فرض حضورهن المتزايد في جميع مجالات الحياة، فمشاركتهن الكبيرة في الانتفاضات اليوم سترسخ عودتهن المشروعة إلى الفضاء العمومي كمواطنات متساوية الحقوق مع الرجال، يبتغين تقرير مصيرهن. لقد وفر جو التمرد الشعبي على النظام وحرية التظاهر والتعبير المنتزعتين فرصة كبيرة للنساء لإبراز الرابط المدني المتجاهل الذي يربطهن بالمجتمع. ولم يخرجن للمشي وللمطالبة برحيل النظام فقط بل وخصوصا من أجل تحرير أجسادهن من المخيال الذي سجنها فيه المجتمع ونظامه السياسي والبطريركي.

هي مقاومة للحصار شبه الشامل المضروب على حياتهن ورفض لاعتبار أجسادهن قلعة شرف عائلاتهن وكأنهن يقلن للجميع إن أجسادهن ليست عورات بل الجمال مجسدا وإنه ملك لهن وحدهن. ويتوجهن خاصة لرجال الدين والإسلاميين الذين يحترفون شيطنة الأنوثة ليقلن لهم إن خطاباتهم كاذبة وليس هن سبب الانحطاط الأخلاقي في المجتمع كما يدّعون. الخطاب الديني هو الذي شكك في قدراتهن وساهم في خلق ضعف الكثيرات من النساء وتضييق مساحة حريتهن وتحركهن في الفضاء العمومي. ولم يفعل النظام السياسي القائم سوى تجسيد أفكار الإسلاميين فحارب الاختلاط بين الذكور والإناث في الدراسة وقاعات الانتظار ومكاتب الاقتراع.

أزواج لا يتقبلون نقد زوجاتهم ويدمنون انتقادهن

الطرف المنتقَد يشعر بأنه محاصر بشباك لصيد الأخطاء ويهرب للانفصال

يعرف الرجل في المجتمعات العربية بكثرة انتقاداتــه لزوجته ســواء فــي وجهها أو خلف ظهرها، ويتباهى بعض الرجال بهذه العادة ويتعمدون توجيه النقد وأحيانا إهانة الزوجة أمام الآخرين، ويتصور هؤلاء أنهم بذلك يثبتــون رجولتهم وســيطرتهم على زوجاتهــم، وترفض الكثيــر من الزوجات هذه الممارسات ويصل بعضهن إلى طلب الطلاق لهذا السبب.

سلمى جمال

كل على حاله.. أفضل من دوام الانتقاد

❏ تفتح كثــرة الانتقادات الموجهة من الزوج لزوجته ســواء وحدهما أو أمام الناس الباب على مصراعيه لدخول الخلافات والمشــادات بينهما، وعندما يتمادى الطرف المنتقد دوما في هذا الســلوك ويبلغ درجة الإهانة فإنه في أغلب الحــالات يواجه ردة فعــل قد تقف عند الصمــت والمقاطعــة وقــد تصل إلــى تدمير علاقته الزوجية.

ويرجح مختصون نفســيون بأن الســعي الدائــم لتوجيــه انتقادات لاذعــة للزوجة ينمّ إما عن رغبة في التحكــم في الحياة الزوجية وممارســة الســلطة المطلقة أو عن اضطراب نفســي مثل عقــدة النقص والنزعــة القيادية المفرطــة أو عن عدم الاقتناع بالشــريكة، كما أنه يكشــف الميل نحو العنــف تجاه الطرف المقابل.

وتقول سعاد أمين (40 عاما) "عانيت كثيرا مــن انتقادات زوجي لــي، وعندما أطرح عليه حلولا لمشكلة ما وتأتي النتيجة بالفشل، يظل يلومني ويعتبرني عاجزة عن التفكير السليم وفي كل مجلس عائلي أو مع الأصدقاء يضحك ويقص عليهم قصه فشل الحل الذي اقترحته".

وتشــير إلى أنها توقفت عــن إبداء آرائها في كل مــا يهــم حياتهما المشــتركة وتركت له تســيير شــؤون البيت والأبنــاء، وتعرض لموقف جعله يجابه خسارة مالية فادحة بعد أن دخل في شــراكة مع صديق له في مشروع رغــم نصحها لها بعدم الدخــول معه في هذا المشــروع وبعد خســارته تمكنت الزوجة من إنقاذ العائلة من ضائقة مالية كبرى عن طريق مســاعدة والدهــا، وتقــول "منذ ذلــك الوقت أصبحنا نتشــارك في حل المشــكلات وتوقف عن السخرية مني".

> النقد البسيط والهادئ تتقبله الزوجة بصدر رحب طالما أنه قائم على تصحيح السلوك للوصول إلى الإيجابية، أما عندما يكون جارحا وأمام الناس، فهو يشكل معضلة حقيقية للزوجة ويفتح باب الجفاء بل والكره أحيانا

وتــروي نادية صــلاح (33 عاما) تجربتها قائلة "زوجي كان دائما ينتقدني بشكل جارح ويصفنــي بالســاذجة، ما جعلنــي أفقد الثقة بنفسي وأشــعر بالنفور تجاهه، وأصبحت لا أطيــق الحياة معه، فهو دائم الانتقاد بســبب أو دون ســبب. ويوجه لي كلاما قاســيا أمام الناس ويعاند وجهات نظري، فاتبعت أسلوب الصمــت ثم فكرت في الانفصال ولكنني أعرف أن أســرتي لن تتقبلني بينها كمطلقة، وبقيت على هذا الحال أكثر من ثلاث سنوات".

وشــعرت صلاح بعد تلك الفترة أنها باتت شــخصية مكتئبة ومدمرة كليــا لا تقوى على الحديــث مع أحد، وقــررت أن تواجه وضعها مــن خلال العمل، حيث شــعرت بأنهــا قادرة على العطاء والنجاح، وأنها شــخص مهم في العمــل، وأدركت أن كل ذلك النقــد "الذي كان يوجهه لي زوجي نابع مــن نقاط ضعفه وأنه يحاول أن يســقطها عليّ، واستمر في الانتقاد فترة طويلة وحاول كثيرا أن يحطم معنوياتي وقدراتي، ولكنني لــم أعد أبالي بكلامه طالما عادت لي ثقتي بنفسي".

ويــرى المحامــي عمــرو إســماعيل أن مســألة الانتقاد ترتبــط بالمهــارة الحياتية التي يمتلكها طرفــا العلاقة الزوجية، وكثيرة هــي حالات الــزواج التي وصلــت إلى طريق مســدود نتيجة الانتقاد الــلاذع وغير الوجيه والتدخلات الشــديدة من كلا الطرفين، بحيث يشــعر الطرف المنتقَد بأنه محاصر بشــباك لصيد الأخطاء.

ويوضــح "لا يمكــن الجزم في مســألة أي طرف ينتقد شــريكه أكثر الــزوج أو الزوجة، فهنــاك الكثير مــن الزوجات اللاتــي يعانين نقــد أزواجهن الدائم لهن، الأمر الذي يؤثر في ثقتهن في أنفسهن ويجعلهن يهملن مظهرهن ومعنوياتهــن، ولا يعرنهــا أي اهتمام، كذلك الأمر بالنســبة لبعض الأزواج الذين يعانون أيضا من نقــد زوجاتهم الدائم لهم. هذا النقد عندمــا يصبح دائما يحــدث فجوة كبيرة بين الزوجين يصعب عليهما التخلص منها في ما بعد؛ خاصة الزوج لأن الرجل الشــرقي بطبعه لا يقبل أن تنتقده زوجته بصورة مباشرة ولو كان يدرك في قرارة نفسه أنها على حق".

ويعتبر أســتاذ الدراســات النفسية وليد حمدي أن الزوجــة الذكية تعرف كيف تتعامل مــع زوجها حتى لــو كان كثيــر الانتقاد لها، خاصة إن كانت تمتلك قدرا واســعا من الثقة بالنفــس، فالمــرأة بطبعهــا الأنثــوي تمتلك أســاليب تســتطيع من خلالها تعديل وتغيير طباع زوجها، وغالبا عندما يجابه الزوج كثير الانتقاد بالمحبة والتقبل لا يســتمر على ذات الوتيرة مع زوجتــه، بل إنه تدريجيا يمكن أن يلوم نفسه ويشعر بالندم والخجل من زوجته كونها استوعبت وتفهمت نقده وغضبه.

ولكــن هذا لا يعني أن تكون المرأة ضعيفة وراضخــة بل علــى العكــس تمامــا، فتقبلها واســتيعابها الطــرف الآخر يعنــي أنها أكثر ذكاء منــه وأكثــر انفتاحا ووعيــا، كذلك الأمر بالنســبة للرجل الذي عليه أن يدرك أن زوجته تصمت عــن أخطائه نظــرا لحبها لــه وليس ضعفا وانكسارا.

ويضيــف المختــص النفســي "للأســف الشــديد يفتقر معظــم الأزواج في مجتمعاتنا إلــى ثقافة تقبــل النقد، فتراهم يستشــيطون غضبا أمام ملاحظة توجه إليهم حتى لو كانت صحيحــة ولا يقبلونهــا من الشــريك خاصة من المــرأة، والعكس مع الأهــل أو الأصدقاء حتى لــو كانــت ذات الملاحظة، وهــذا مرده إلى الزواج المبكر الــذي يتم دون وعي وفهم لطبيعة الحياة الزوجية".

وينصح حمدي الأزواج "عليكم أن تتفهموا شــركاءكم وتتقبلوا منهــم أي ملاحظات؛ لأن النقد مرتبط بالمحبــة والاهتمام، فلو لم يكن الشــريك طرفا أساســيا في حيــاة الآخر، لما حــاول أن يطلعه على ســلبياته فــي محاولة لتغييره نحو الأفضل، كذلك على طرفي العلاقة الزوجية أن يتوقفا عن تضخيم الأمور التافهة في أخطاء الشــريك، ولو امتلك الزوجان هذه الثقافة لما ظهرت المشــكلات فــي ما بينهما حتى لو كانت بسبب النقد".

ومــن جانبــه يرجــع استشــاري الطب النفســي عبدالرحمــن فهمي مســببات الانتقاد بيــن الزوجين إلى طبيعة شــخصية كل منهما والظــروف المحيطة به، ويشــير "هنالك نوعان مــن النقد: اللاذع والجارح وهــو نقدٌ هدام. أما النقد الوســطي والمعتــدل، فيعتبــر نقدا بناء وليس سلبيا".

ويتابــع "الأكيد أنه لا توجــد حياة زوجية خالية من المشكلات والانتقادات التي تختلف حســب طبيعة الــزوج أو الزوجــة، فترى أكثر انتقــادات الزوجة الموجهة للشــريك تتمحور حــول أحقية الوقــت المقــدم لهــا ولأبنائها، فتراهــا تنتقده بتقصيره معهم وتنســى كثرة انشغالاته، كما تنعته بإهماله لها وتغيره وعدم محبتــه، وهذا نعتبره نقدا بناء لتغيير مســار الســلوك نحو الأفضل، وعلــى الزوجة هنا أن تكون معتدلة في الانتقاد وألا تحوله إلى جبهة حرب تعود بمشكلات عليها وعلى عائلتها".

ويضيــف فهمــي "نقــد الــزوج لزوجته، غالبــه يتمحور حــول دوافع حب الســيطرة، وهذا الأمــر طبيعي في مجتمعاتنــا العربية، فالزوجــة اعتــادت عليــه، كأن ينتقدهــا فــي لباســها وفي مظهرهــا وكيفيــة معاملتها له ولعائلته، وإذا كان هذا النقد بســيطا وهادئا، فســتتقبله الزوجة بصدر رحب طالما أنه قائم على تصحيح الســلوك للوصول إلى الإيجابية فيــه. أما عندمــا يكون جارحا وأمــام الناس، فهو يشــكل معضلــة حقيقية للزوجــة ويفتح بــاب الجفاء بل والكــره أحيانا، وبرأيي هناك قواعد وأساليب للانتقاد أولها الهدوء وثانيها الإيجابية وثالثها الحوار".

الهدية عنوان الحب والوفاء

محمد خديمي

❏ تنتابنا فترات من الضيق الشديد تكتم أنفاسنا بوطأتها ما يجعلنا نتزهّد ونعرض عن كل شيء، وفجأة ترد علينا هدية من شخص عزيز فتتغيّر الحال ويزهر الربيع في قلوبنا، ونحسّ بأن الحياة قد عادت إلينا، نعود أطفالا في عمر الزهور نفرح بحبة حلوى تختزل كل معاني السعادة.

ولا يمكن اختزال مفهوم الهدية في ما يقدّم من ماديات ملموسة وأشياء ثمينة لا تقدر بثمن، وإنما خطاب الشكر والاعتراف بالجميل والمجاملة والكلمة الطيبة من أهم الهدايا التي تفرح النفس وتدخل عليها البهجة والسرور. كم يشتاق الأزواج إلى ما يعيد جسور الودّ بينهم ويؤجج عاطفة خبا وهجها وأضحت بلا لون ولا طعم ولا رائحة، ابتسامة عريضة صادقة، وقبلة على الجبين، وتربيت على الكتف، واحتضان دافئ تلقائي، وكلمة حالمة، وفعل مشجّع، كلها كفيلة بنقل موجات وجدانية إيجابية توشح العلاقات الزوجية وتجعلها متجدّدة قابلة للاستمرار.

الهدية حركة ذهنية ونفسية قبل أن تكون عطاء ماديّا، قيمتها في كونها رمزا لتمتين العلاقات بين الناس، وربما القول المأثور السائد "الهدية لا تهدى" خير دليل على قيمتها الاعتبارية.

من هذا المنطلق تحاصرنا الذكريات التي تتعلق بالهدايا التي مثلت نتوءات في حياتنا أو مثلت منعرجات لها دلالات التأسيس والتأصيل على مستوى تكوين شخصياتنا، كنت في سن الدراسة الأول والتحق أخي الأكبر بالعمل وعند حصوله على راتبه أهداني قميصا لا يزال شكله ولونه راسخين في ذهني بعد ما يربو على الأربعين سنة وكأن الأمر صار البارحة.

وأهداني أستاذ الفرنسية نصيحة "كن كما أنت ولا تخف"، وكانت زادي في بقية مشوار دراستي، ولا مجال هنا للحديث عن الهدايا الغرامية الطفولية الصادقة في مراحل لا يعرف فيها الإنسان سوى التلقائية.

يسأل الأطفال المتمدرسون خاصة أولياء أمورهم "حين أتحصّل على معدل ممتاز، ماذا تهديني؟". هل الهدية يجب أن تكون نظير عمل أو موقف ما؟ هل تدخل في الجانب الجزائي عند مباشرة تربية الناشئة؟ هذه الأسئلة وغيرها تحتّم الغوص في مفهوم الهدية من حيث كونها رمزا لحميمية أي علاقة بشرية مهما كان طرفاها ومهما كانت دوافعها وأهدافها.

وقد وقع نظري على تعريف اجتماعي مبسّط للهدايا يقول "تختلف الهدايا التي يتهادى بها الناس ويتحابون من خلالها؛ فقد تكون بسيطة؛ كالورود، وقطع الشوكولاتة، والحلوى، وقد تكون قطع ملابس، أو مجوهرات؛ وقد تكون غالية الثمن أو كبيرة الحجم؛ كهدايا الأثرياء لأبنائهم بالمركبات الحديثة، أو المنازل الفاخرة، ويكمن المعنى العام للهدايا في المحبّة والمودة؛ ولكن يُمكن تحديد معنى الهدية الدقيق، حسب المناسبة أو الأشخاص".

فالهدية ليست إلا حركة نبيلة للتعبير عن مشاعر الحب والودّ والاحترام، نهدي بطاقة بريدية لا ثمن لها، ونهدي وردة بلون معيّن، ونهدي جوهرة إن كان في استطاعتنا ذلك، ونهدي قصيدة، ونهدي خاطرة جادت بها القريحة في الهزيع الأخير من الليل كتراتيل وجدان فيّاض، ودمعة مكلومة تأبى البوح.. نفرح قلب الأم في عيد الأمهات، ونفرح الأطفال في المناسبات وفي كل الأوقات، ونجدّد علاقة غرامية بدأ الوهن يدبّ بين ثناياها وأزف موعد اندثارها، ونخفف عن مريض بباقة ورد قد يكون فعلها أكثر فاعلية من الدواء الذي يصفه له الأطباء.. حتى الابتسامة هدية والكلمة الطيبة هدية والمرافقة هدية وربما هذا النوع من الهدايا المعنوية والنفسية لا يقدّر بثمن، وهو المفهوم الذي يجعلها رمزية اعتبارية.

في الإطار الأسري توطد الهدايا العلاقات الوجدانية بين الأزواج حيث تجدد مشاعرهم التي تترهّل بفعل الضغوط المادية والنفسية التي تتراكم وتتزايد كل يوم. أما في ما بين الآباء والأبناء فإنها تمتّن الثقة بينهم وتجسر شيئا فشيئا الهوة بين الأجيال وتجعل التواصل بينهم سلسا وميسرا وتثمر هذه العلاقات حبا عائليا ودفئا أسريا.

أما على المستوى الاجتماعي فالهدايا تعتبر من الوسائل الكفيلة بتعميق معنى الصداقة أو الزمالة أو الجيرة.. وتمتد جسور الود والمحبة ويسود الوئام والانسجام وتتقلص الأنانية والبغضاء.. ولكي لا نكون مغالين في انتظاراتنا نقول إن الهدايا ترسي نوعا من الثقة النفسية والذهنية بين الناس وتساهم حتما في تحسين العشرة بين الناس فتتحسن بذلك أخلاقهم وتقضي حوائجهم.

فمن أيسر السبل التي تدخل الابتسامة والفرحة على القلوب تقديم الهدايا بأي شكل كانت وتكمن قيمتها في قيمة العلاقة بين الأشخاص وليس في قيمة الهدية المادية.

نصائح

قواعد استحمام الرضع

❏ حــذرت الرابطــة الألمانية لأطبــاء الأطفال من أن الاســتحمام اليومي يتســبب في جفاف والتهــاب بشــرة الرضيع، التي لا تــزال رقيقة وحساسة.

ولتجنب ذلــك أكدت الرابطة أنــه يكفي أن يســتحم الرضيع بمعدل مرة إلــى ثلاث مرات أســبوعيا، مــع مراعاة أن تكــون درجة حرارة الماء هــي نفس درجة حرارة جســم الرضيع، وألا يرتفــع مســتوى الماء عن مســتوى كتف الرضيع.

ومن المهم أيضا اســتعمال مســتحضرات الاســتحمام الغنيــة بالدهــون وذات الأس الهيدروجيني المحايد (pH) بدلا من الصابون العــادي والمســتحضرات ذات الرغــوة، مــع مراعاة أن تتراوح مدة الاســتحمام بين 5 و10 دقائق على الأكثر، كي لا تترقق بشرة الرضيع.

وتنصح الأم الجديــدة بالتدرب على كيفية مســك الرضيــع عنــد تحميمه مع رفــع الذقن والرأس إلى أعلى، وتجنب سكب الماء مباشرة علــى وجهــه وعينيــه، وتعلم كيفيــة تنظيف أطرافه دون أن يقع من يديها.

وبعــد الاســتحمام ينبغي العناية ببشــرة الرضيع بواسطة مستحضرات ترطيب البشرة، خاصــة تلك التي تقوم على أســاس زيت دوار الشــمس، في حين ينبغي الابتعاد عن الفازلين وزيوت البرافين.

كمــا لا يجوز اســتخدام البــودرة للرضع؛ نظرا لأنها قد تتسبب في انسداد مسام البشرة مــن ناحيــة، كما قــد يستنشــقها الرضيع من ناحية أخرى.

ديكور

ميلانو تحتفي بأسبوع التصميم

❏ تحتضن مدينة ميلانــو الإيطالية فعاليات "معــرض الأثاث الدولي" الذي يدوم أســبوعا في شهر أبريل.

وهو معرض لمصممــي الديكور الداخلي. واشــتهر هــذا المهرجــان باســم "أســبوع التصميم في ميلانو".

إنّ "مهرجان التصميم فيوريســالون" هو حدث اجتماعــي موجه إلى الجمهــور العام، يلتقي فيه محترفو التصميم مع الشــباب من هواة هذا الفن.

وعلاوة على ذلك، تقدم العديد من العلامات التجارية الهامــة الحاضرة خلال هذا الحدث مجموعاتها الجديدة وتنظــم عروضا خاصة مع موســيقى حية لتصنــع تجربة لا يجب أن يفوتها عشــاق التصميم. على ســبيل المثال، تطلق مجموعة أوبجيه نوماد 13 قطعة جديدة لمجموعاتهــا، كما ســتقدم 3 مصمّمين جدد، خــلال مهرجان هــذا العام. كما يقــدم الفنان أندريــا كاســترينيانو مجموعتــه التي تضم خمسة مصابيح ذات إضاءة مختلفة.

ويشــمل المهرجــان كل أنحــاء المدينة، من الأحيــاء المركزية إلــى ضواحي ميلانو. وتزدحــم الشــوارع فــي أســبوع المهرجان وتتواصل الحفلات دون انقطاع.

ويســتمتع الجمهــور بمشــاهدة أحــدث تصاميم الديكور الداخلي وقطع الزينة وقطع الأثاث المبتكــرة، ويطلع على أحدث تصاميم أشــهر المصممين فــي العالم وعلــى أحدث توجهات الديكور والأثــاث المتجددة من عام لآخر.

ويدعــم معرض الأثــاث الدولــي بميلانو هــذا العام المصمميــن الجدد ويتيــح لثلاثة منهم فرصــة الظهور والتعريــف بابتكاراتهم وإبداعاتهم في معرض دولي يمكنهم كذلك من الاحتكاك بكبار المصممين العالميين والاطلاع على منتجاتهم ويوســع شــبكة علاقاتهم في عالم التصميم والديكور. كما يقيمون من خلال الحضور مدى نجاح تصاميمهم ويعرفون آراء الجماهير من زوار المعرض فيها.

40 عاما.. ملحمة نجاح في تاريخ بايرن

إنجازات تاريخية لأولي هونيس على مدار العقود الماضية في إدارة البافاري

يحتفل أولي هونيس رئيس نادي بايرن ميونيخ الألماني في أول مايو المقبل بمرور 40 عاما على بدء عمله الإداري في النادي البافاري من خلال توليه منصب مدير النادي. وكان هونيس قد ألمح في وقت سابق إلى تغييرات كبيرة مع نهاية الموسم، حيث كشف عن وضع برنامج عمل للموسم المقبل.

أولي هونيس.. كلمة السر في إنجازات الصقر البافاري

❑ ميونخ (ألمانيا) – رغم مرور نحو 40 عاما، ما زال أولي هونيس رئيس نادي بايرن ميونيخ الألماني يتذكر أيامه الأولى في منصب مدير النادي حيث تولّى المنصب في أول مايو 1979. وبعد نجاحه كلاعب ضمن صفوف بايرن ميونيخ، قدم هونيس ملحمة نجاح مع النادي على المستوى الإداري، خلال أربعة عقود متتالية كان فيها مديرا ثم رئيسا للنادي.

وقال هونيس، عن بداية عمله مديرا للنادي خلفا لروبرت شون "كنت متحمسا تماما ومتحفزا للغاية عندما وصلت مرتديا سترة رمادية وأضع دفتر الملاحظات تحت ذراعي... كان هناك مكتب ومنضدة جانبية عليها هاتف، هذا هو كل شيء. لم يكن لديّ سكرتير. أجريت اتصالات لمدة ساعتين ثم عدت للمنزل".

وبعدها بدأت قصة النجاح الأكبر في تاريخ كرة القدم الألمانية. وكان هونيس في السابعة والعشرين من عمره في ذلك الوقت، لكنه أصبح بمرور الوقت بمثابة شخصية خيالية وحالمة في تاريخ الدوري الألماني (بوندسليغا) وما زال هكذا. كان مديرا مع خزينة مليئة بالنقود أغرت أفضل لاعبي الفرق المنافسة. كان بمثابة العدو على ملاعب الفرق المنافسة، بل إنه تعرض للرشق بالعملات المعدنية في نهاية الثمانينات من القرن الماضي على أرضية ملعب فريق سانت باولي. وقال هونيس، في مقابلة مع وكالة الأنباء الألمانية (د.ب.أ)، قبل الذكرى الأربعين لبدء مسيرته الإدارية في النادي البافاري "أردت الصعود للقمة مع بايرن".

> قبل نهاية يونيو المقبل، سيكون على هونيس أن يحسم مصيره إما بالاستمرار لفترة جديدة في رئاسة النادي خلال الانتخابات المزمع إجراؤها في نوفمبر وإما بترك المنصب

وفي ذلك الوقت، لم يكن بايرن هذه القوة المهيمنة على الدوري الألماني ولكن هونيس قاتل وكافح بضراوة ليمنح البافاري هذه السيطرة على البوندسليغا. وقال هونيس "من خلال الاستقطاب (لأفضل العناصر)، جعلنا بايرن ميونيخ أكثر إثارة من معظم الأندية الأخرى". والآن، ينظر المنافسون في البوندسليغا إلى بايرن لمعرفة السبب "الذي جعله زعيما لهذه السوق" كما تحاول هذه الأندية المنافسة أن تنسخ أفضل ما في هذا النادي. ويشعر هونيس (67 عاما) بالفخر لهذا أكثر من شعوره بالانزعاج.

ولا يمكن مقارنة هونيس صاحب الخبرة الهائلة حاليا بما كان عليه قبل 40 عاما عندما تولّى منصب مدير النادي كمدير نشيط يخطو أولى خطواته في عالم الإدارة. وقال هونيس "كنت أكثر شراسة وقتها. أما الآن، فإنني أكثر لطفا وهدوءا في المواجهات".

ويمثل بايرن عمل وإنجاز العمر بالنسبة لهونيس، وهو "قصة نجاح لن تتكرر في كرة القدم الألمانية"، حسبما أكد كارل هاينز روميننيغه الرئيس التنفيذي للنادي مؤخرا في مجلة النادي.

وأنهت إصابة في الركبة مسيرة هونيس الكروية مبكرا ليبدأ العمل مديرا للنادي بعد اعتزاله مباشرة عندما كان عدد موظفي النادي نحو 20 موظفا فحسب كما كانت إيراداته متواضعة للغاية.

بعد مرور 40 عاما، ارتفعت عائدات النادي لنحو 700 مليون يورو (791 مليون دولار) وبلغ عدد العاملين بالنادي نحو ألف من المستخدمين.

وقبل نهاية يونيو المقبل، سيكون على هونيس أن يحسم مصيره إما بالاستمرار لفترة جديدة في رئاسة النادي خلال الانتخابات المزمع إجراؤها في نوفمبر وإما بترك المنصب.

ويبدو أن الإجابة ستكون باستمراره في المنصب، رغم أن روميننيغه بدأ الاستعداد لترك منصب الرئيس التنفيذي للنادي في 2021.

وبعدما مر الفريق بفترة عصيبة في النصف الأول من الموسم الحالي، طالب هونيس "بالصبر" على الكرواتي نيكو كوفاتش المدير الفني للفريق حيث يرى هونيس أن تغيير المدرب ليس دليلا على قوة الإدارة.

وقال هونيس "أسوأ الفترات في بايرن كانت دائما تلك التي شهدت تغييرا في وضع الطاقم التدريبي". وما زال بإمكان كوفاتش إنهاء موسمه الأول مع بايرن بلقبيْن محليّيْن (الدوري وكأس ألمانيا). وأبدى هونيس إعجابه بالطريقة التي أخرج بها كوفاتش الفريق من عثرته في نوفمبر الماضي.

يرجّح أن يعود أوليفر كان حارس المرمى الأسبق لبايرن ميونيخ للعمل في النادي، حيث يبدأ عمله في 2020 إلى جوار روميننيغه تمهيدا لتولي منصب المدير التنفيذي خلفا له في 2021. ويبدو من المفضّل دائما في بايرن الاستعانة بالنجوم الذين ترعرعوا في النادي البافاري.

كشف أولي هونيس رئيس بايرن ميونيخ، أنه من المتوقع عودة حارس مرمى الفريق السابق أوليفر كان إلى النادي البافاري اعتبارا من بداية العام المقبل، تمهيدا لتوليه منصب الرئيس التنفيذي للنادي خلفا لكارل هاينز روميننيغه. وقال هونيس "نخطط حاليا للبدء اعتبارا من يناير... 2020 نجري مناقشات محددة مع أوليفر".

وقدّم أوليفر كان، 49 عاما، مسيرة حافلة في حراسة مرمى بايرن ميونيخ والمنتخب الألماني ويعدّ المرشح المفضّل لدى هونيس لتولي منصب الرئيس التنفيذي مكان روميننيغه، 63 عاما، عندما يرحل الأخير عن المنصب. وأوضح هونيس "لا نعاني من ضغط يتعلق بالوقت لأن كارل هاينز مدد فترة تعاقده ليستمر في منصبه حتى نهاية عام 2021".

ويسعى النادي البافاري إلى العمل المشترك بين روميننيغه وأوليفر كان لفترة من أجل ضمان التسليم السلس لمهام المنصب. وأوضح "لا نعاني من ضغط يتعلق بالوقت لأن كارل هاينز مدد فترة تعاقده ليستمر في منصبه حتى نهاية عام 2021".

ويسعى النادي البافاري إلى العمل المشترك بين روميننيغه وأوليفر كان لفترة من أجل ضمان التسليم السلس لمهام المنصب.

ويرى هونيس أن أوليفر كان مؤهل للتحدي المتمثل في تولي مسؤولية أكبر الأندية الألمانية. وأوضح "أحب التطور الذي حققه أوليفر بعد نهاية مسيرته الاحترافية، لقد تطور بشكل مذهل كخبير تلفزيوني، كما أنه خضع لدورة تعليمية في إدارة الأعمال وأسس شركة".

خبرة كروية

أضاف "أمامنا شخص اكتسب خبرة كروية كحارس مرمى على أعلى المستويات، وتشابه الوضع في الوقت نفسه فيما يتعلق بتثبيت أقدامه في النواحي الاقتصادية".

ولعب أوليفر كان لفريق بايرن ميونيخ بين عامي 1994 و2008 وتوج مع الفريق بعدة ألقاب منها لقب دوري أبطال أوروبا عام 2001. كذلك وصل أوليفر كان مع المنتخب الألماني إلى نهائي كأس العالم 2002، قبل الهزيمة أمام البرازيل.

وأوضح هونيس أن نفس الأسلوب يبدو أيضا في غاية الأهمية للمنتخب الألماني (مانشافت)، وذلك بعدما نجح حارس المرمى المخضرم مانويل نوير وجوشوا كيميتش ونيكلاس شوله وليون جوريتسكا وسيرغ نابري (الذين ولودا جميعا في 1995) في الفوز مؤخرا على المنتخب الهولندي 3–2 في عقر داره.

وأشار هونيس إلى أن بايرن هو أكثر الأندية التي تمدّ المنتخب بالنجوم في عملية إعادة بناء المانشافت. وعلى المستوى المحلي، كان في غاية الأهمية لهونيس أن يرحل اللاعبان المخضرمان الفرنسي فرانك ريبيري (36 عاما) والهولندي آرين روبن (35 عاما) بشكل "مناسب" يحفظ مكانتهما وكبرياءهما الكروي.

إعادة بناء الفريق

أنفق بايرن ببذخ على إعادة بناء فريقه حيث أنفق على سبيل المثال 80 مليون يورو لضم المدافع الفرنسي لوكاس هيرنانديز من أتلتيكو مدريد الإسباني على أن ينضم إلى صفوف الفريق بداية من الموسم المقبل ليصبح الصفقة الأغلى في تاريخ النادي حتى الآن.

ولكن هونيس يرى أن النادي لن يكسر حاجز الـ100 مليون يورو في المستقبل القريب. وقال "بالتأكيد، ليس في هذا العام" رغم أن هذا يبعد النادي عن الصراع على أكثر اللاعبين بريقا مثل الفرنسي كيليان مبابي نجم باريس سان جيرمان الفرنسي. واعترف هونيس "سأشتري مبابي مباشرة. اللاعب رائع، لكننا لا نمتلك المال اللازم للصفقة".

وتشمل إنجازات هونيس على مدار العقود الماضية في إدارة بايرن الارتفاع المذهل لعقود وعائدات الرعاية والترويج وكذلك افتتاح ملعب "أليانز آرينا" في عام 2005. وقال هونيس "الملعب جعل من بايرن عالما جديدا تماما... مباريات كرة القدم أصبحت حدثا". ويمثل الملعب الجديد منجما بالنسبة للنادي حيث يتميز بسعة هائلة وفرص تجارية. وفي ما يتعلق بإدانته بالتهرب الضريبي، التي تسببت في استقالته من رئاسة بايرن في عام 2014، يرى هونيس أنه "لم يرتكب الكثير من الأخطاء الجسيمة".

ويشعر هونيس رئيس بايرن ميونيخ بالاستغراب من منتقدي ناديه بعدما ضم لوكاس هيرنانديز مقابل 68 مليون جنيه إسترليني من أتليتكو مدريد ليصبح ثاني أغلى مدافع في التاريخ بعد فيرجيل فان دايك.

وقال هونيس "أنا متفاجئ بالانتقادات التي تعرّضنا لها مؤخرا لقد كان يتمّ انتقادنا بسبب حذرنا في سوق الانتقالات وإنفاقنا بعناية".

وتابع "البعض كان يقول إن بايرن ليس لديه فرصة في منافسة الأندية الإنكليزية والإسبانية وباريس سان جيرمان في الصفقات والآن ننجح في ذلك وفجأة الكل يصرخ ويقول كيف تنفقون كل تلك الأموال على لاعب واحد فقط".

وواصل متسائلا "هل كان هؤلاء سيكون إن قمنا بضم كيليان مبابي؟"، وأكمل "أؤمن أن الوقت قد كان ليستخدم بايرن أمواله التي اكتسبها في سوق الانتقالات لضم لاعبين صغار". وبسؤاله عن رأيه في ضم مبابي للفريق البافاري قال هونيس "إن أتيحت لي الفرصة سوف أضمه مباشرة فهو لاعب عظيم ولكن نحن ليس لدينا المال اللازم لذلك".

وتابع رئيس بايرن "الأمر ليس متعلقا بإذا كان مبابي يستحق الأموال أم لا بل هل يستطيع أي ناد ضمه ولا يدخل في مشاكل مالية؟"، وأتم "أقرأ أن أغلى لوحة في العالم تكلف 400 مليون يورو، هل قطعة فنية تستحق كل ذلك؟ بالطبع لا ولكن إن أراد شخص ما امتلاكها فهو سيدفع وهذا قراره".

لمحة شخصية

❑ ميونيخ – يحتفل أولي هونيس رئيس نادي بايرن ميونيخ الألماني في أول مايو المقبل بمرور 40 عاما على بدء عمله الإداري في النادي البافاري من خلال توليه منصب مدير النادي. والسطور التالية توضح عددا من الحقائق عن أولي هونيس ومسيرته مع النادي:

الجنسية: ألمانية

تاريخ ومكان الميلاد: الخامس من يناير 1952 بمدينة أولم.

مسيرته الاحترافية: لاعب خط وسط ومهاجم في أندية بايرن ميونيخ (من 1970 إلى 1978) وفي نورنبرغ (من 1978 إلى 1979).

سجل المباريات: 250 مباراة في الدوري الألماني (بوندسليغا) وسجل 86 هدفا.

السجل الدولي: 35 مباراة مع المنتخب الألماني (مانشافت) وأحرز خمسة أهداف.

السجل الإداري:

مدير لنادي بايرن ميونيخ: بعد اعتزاله اللعب في 1979 بسبب إصابة في الركبة، تولى هونيس منصب مدير النادي البافاري حتى 2009.

رئيس لنادي بايرن: تولى هونيس رئاسة النادي من 27 نوفمبر 2009 إلى 14 مارس 2014 ومن 25 نوفمبر 2016 حتى الآن.

إنجازاته كلاعب: لقب كأس الأمم الأوروبية (يورو 1972) – لقب كأس العالم 1974– لقب كأس أوروبا (دوري الأبطال حاليا) مع بايرن ثلاث مرات ولقب البوندسليغا ثلاث مرات ولقب كأس ألمانيا مرة واحدة مع بايرن.

إنجازاته كمدير للنادي: لقب دوري أبطال أوروبا في 2001 – لقب كأس الاتحاد الأوروبي (الدوري الأوروبي حاليا) في 1996 – 16 لقبا في البوندسليغا– تسعة ألقاب في كأس ألمانيا.

إنجازاته كرئيس للنادي: لقب دوري أبطال أوروبا في 2013 – خمسة ألقاب في البوندسليغا– لقبان في كأس ألمانيا.

مانشستر سيتي يثأر من توتنهام ويعود إلى صدارة البريميرليغ

رابطة الدوري الإنكليزي تعدّل مواعيد مباريات الرباعي الأوروبي

تفوق مانشستر سيتي للمرة الثانية خلال أيام على ضيفه توتنهام هوتسبر، وذلك بفوزه عليه (1-صفر)، السبت، ضمن المرحلة الخامسة والثلاثين من الدوري الإنكليزي لكرة القدم، ليثأر منه معنويا بعد إقصائه من دوري أبطال أوروبا، باستعادة صدارة الترتيب المحلي مؤقتا.

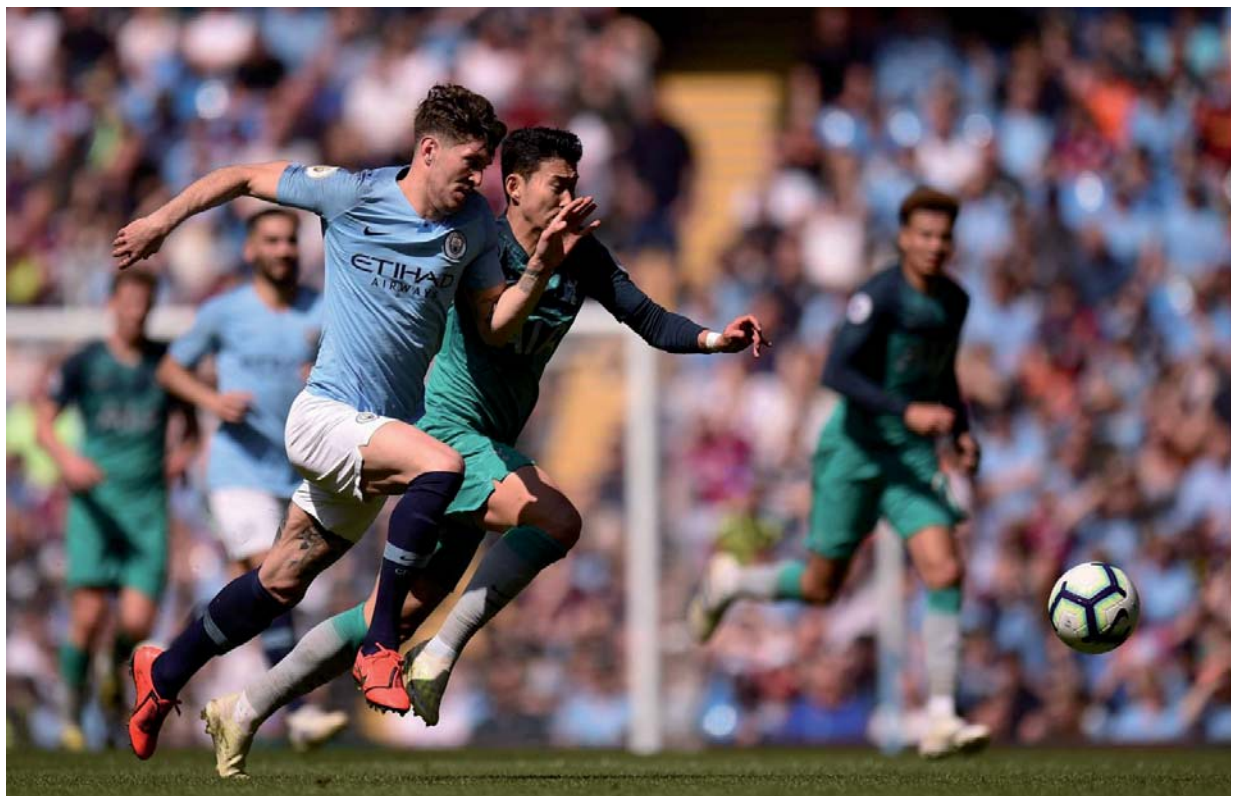

❑ **لندن** – بقي مانشستر سيتي بطل الموسم الماضي في موقع القيادة نحو الاحتفاظ بلقب الدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم، بعودته إلى الصدارة بفارق نقطة واحدة أمام ليفربول، بعد فوزه على ضيفه توتنهام هوتسبر في المرحلة الخامسة والثلاثين، السبت.

وتفوق فريق المدرب الإسباني جوسيب غواردیولا للمرة الثانية خلال أيام على توتنهام، وفاز عليه، السبت، بهدف دون رد، ليثأر منه معنويا بعد إقصائه من الدور ربع النهائي لمسابقة دوري أبطال أوروبا هذا الأسبوع.

وخاض الفريقان مباراة مذهلة، الأربعاء، في إياب نصف النهائي القاري، انتهت بإقصاء سيتي بفارق الأهداف المسجلة خارج القواعد، إذ فاز على توتنهام (4-3) في مانشستر، بعدما كان خسر (صفر- 1) ذهابا في لندن، وأكد غواردیولا أن الإقصاء كان صعبا معنويا على لاعبيه، لاسيما وأنهم سجلوا هدفا في الدقيقة 3+90 كان ليؤهلهم، لكنه ألغي بداعي التسلل.

وأتت مباراة السبت، الثالثة بين الفريقين في نحو عشرة أيام، على قدر أقل من الإثارة، لكن نتيجتها أبقت سيتي في المسار السليم سعيا للاحتفاظ بلقبه في الدوري، إذ تصدر بفارق نقطة أمام ليفربول (86 مقابل 85).

وسيخوض ليفربول مباراته ضمن هذه المرحلة، الأحد، ضد ضيفه كارديف سيتي، فيما سيكون مانشستر سيتي على موعد مرتقب، الأربعاء، ضد جاره ومضيفه يونايتد، في مباراة مؤجلة بينهما من المرحلة الحادية والثلاثين.

وقال غواردیولا "اليومان الماضيان كانا صعبين جدا علينا، كان في إمكاننا أن نخسر لقب الدوري الممتاز، السبت، كلاعب، لم يكن في إمكاني أن أقوم بما قام به لاعبو فريقي"، في إشارة إلى تمكنهم من الفوز وتجاوز الأثر المعنوي للإقصاء القاري. وأضاف "اللقب الإنكليزي لا يزال بين يدينا".

وحقق سيتي فوزه العاشر تواليا في الدوري الإنكليزي هذا الموسم، بفضل هدف في الدقيقة الخامسة للشاب فيل فودن (18 عاما)، هو الأول له مع فريقه في الدوري الممتاز، والسابع له هذا الموسم في مختلف المسابقات.

وقال فودن بعد المباراة "لم أستوعب تماما ما قمت به بعد، لكنني سعيد لتمكني من مساعدة الفريق على تسجيل الهدف، هذا هو هدفي الأول في الدوري الإنكليزي الممتاز، وسيبقى معي إلى الأبد".

لكن سيتي الذي خرج بنتيجة إيجابية من لقاء، السبت، على ملعب الاتحاد في المدينة الشمالية، سيكون في ترقب بشأن نجمه البلجيكي كيفن دي بروين الذي خرج مصابا قبل أقل من عشر دقائق على نهاية الشوط الأول، واضطر اللاعب الدولي هذا الموسم للغياب لفترتين طويلتين بسبب إصابته مرتين في الركبة في أغسطس ونوفمبر الماضيين.

وسيكون سيتي في حاجة ماسة لخدمات صانع ألعابه الذي برز بشكل كبير في المباراة ضد توتنهام في دوري الأبطال هذا الأسبوع وزوّد زملاءه بالتمريرات الحاسمة، مع تبقي أربع مباريات له في الدوري المحلي -منها المباراة المؤجلة مع يونايتد- إضافة إلى نهائي كأس إنكلترا ضد واتفورد في 18 مايو المقبل على ملعب ويمبلي في لندن.

في المقابل، دخل فريق المدرب الأرجنتيني ماوريسيو بوكيتينو مباراة، السبت، من دون قائده حارس المرمى الفرنسي هوغو لوريس الذي حل بدلا منه الأرجنتيني باولو غانزانيغا.

ثأر معنوي

وبدأ توتنهام الذي تقدم إلى المركز الثالث مؤقتا بفارق نقطة أمام غريمه في شمال لندن أرسنال، المباراة السبت بشكل ضاغط وكاد مهاجمه الكوري الجنوبي سون هيونغ-مين، يسجل في الدقيقة الثالثة، هدفه الرابع في ثلاث مباريات ضد سيتي، بعد هدف في الذهاب واثنين في الإياب ضمن ربع نهائي دوري أبطال أوروبا، لكن التسديدة القوية للدولي الكوري حولها حارس سيتي البرازيلي إيدرسون إلى ركلة ركنية.

وسارع سيتي إلى الرد بتسجيل الهدف الوحيد من هجمة قادها البرتغالي برناردو سيلفا، ورفع فيها الكرة باتجاه القائم الأيسر لمرمى حارس توتنهام حيث كان موجودا الهداف الأرجنتيني سيرجيو أغويرو، ليقوم بتحويلها عرضية رأسية إلى فودن الذي ارتمى نحوها وحولها رأسية لداخل الشباك في الدقيقة الخامسة.

وضغط توتنهام سريعا بعد الهدف، لاسيما عبر الاختراقات السريعة لسون والتعاون المذهل مع زميله الدنماركي كريستيان إريكسن، وكانت للأخير تسديدة قوية من داخل المنطقة أبعدها إيدرسون في الدقيقة 14، قبل أن يهدد سون مرمى سيتي في الدقيقة 16 باختراق سريع وجد المدافع الفرنسي إيمريك لابورت الذي تمكن من التصدي لتسديدته وحال دون توجهها نحو المرمى.

ولم يتوقف خطر الكوري، إذ قام بمجهود فردي رائع قبيل نهاية الشوط الأول بدقيقة، منطلقا من منتصف الملعب مراوغا المدافعين، ليسدد نحو المرمى من داخل المنطقة، لكن إيدرسون كان بالمرصاد.

وتبادل الفريقان الفرص في الشوط الثاني من دون أي اختراق، وكانت أبرز محاولة عبر رحيم سترلينغ الذي تلقى في الدقيقة 71 تمريرة عرضية من البديل الألماني لوروا سانيه، وسددها بيسراه من مسافة قريبة ارتدت من القدم اليمنى لحارس توتنهام.

ورد البرازيلي لوكاس مورا بعد دقيقتين بمحاولة من مسافة قريبة، لكن كرته ارتدت من جسم الحارس البرازيلي إيدرسون.

وفي بقية مباريات المرحلة خيم التعادل السلبي على لقاء وولفرهامبتون وبرايتون، فيما تعادل وست هام وليستر سيتي بنتيجة هدفين لمثلهما، وخسر هادرسفيلد أمام ضيفه وواتفورد (1-2) في ما تفوق بدوره فولهام على مضيفه بورنموث بهدف دون رد.

وفي سياق متصل، أعلنت رابطة الدوري الإنكليزي لكرة القدم، السبت، عن تغيير المواعيد الخاصة بمباريات الفرق الإنكليزية الأربعة التي وصلت إلى المربع الذهبي في بطولتي دوري الأبطال والدوري الأوروبي.

وكان توتنهام وليفربول تأهلا بجدارة إلى المربع الذهبي لدوري الأبطال كما شق أرسنال وتشيلسي طريقهما إلى المربع الذهبي في الدوري الأوروبي، وهو ما دفع رابطة الدوري الإنكليزي إلى تعديل موعد مباريات الفرق الأربعة في الدوري المحلي لمنحها أفضل فرصة للاستعداد لهذه الارتباطات الأوروبية التي تنتظرها.

ويلتقي توتنهام فريق أياكس الهولندي في 30 أبريل الحالي ذهابا ثم في الثامن من مايو المقبل إيابا، فيما يلتقي ليفربول فريق برشلونة الإسباني في أول مايو ذهابا ثم في السابع من الشهر نفسه إيابا.

وكان مقررا أن يلتقي ليفربول مع نيوكاسل في الخامس من مايو، كما كان مقررا أن يلتقي توتنهام مع بورنموث في السادس من الشهر نفسه، ولكن رابطة الدوري الإنكليزي حددت يوم الرابع من مايو المقبل موعدا للمباراتين.

ويلتقي أرسنال وتشيلسي فريقي فلانسيا الإسباني وإنتراخت فرانكفورت الألماني على الترتيب بالدوري الأوروبي في الثاني من مايو ذهابا وفي التاسع من الشهر نفسه إيابا.

وكان مقررا أن يخوض أرسنال مباراته أمام ليستر سيتي بالدوري المحلي في 29 أبريل الحالي، ولكن رابطة الدوري الإنكليزي قدمت المباراة إلى 28 من الشهر نفسه كما عدلت مباراة أرسنال مع برايتون من الرابع إلى الخامس من مايو المقبل، كما جرى تعديل موعد مباراة تشيلسي مع واتفورد من الرابع إلى الخامس من مايو المقبل.

وكانت رابطة الدوري الهولندي عدلت، الجمعة، موعد مباريات أياكس في الدوري المحلي لمنحه الفرصة للاستعداد الجيد قبل مواجهة توتنهام.

وداعا إيطاليا

مراد البرهومي
كاتب وصحافي تونسي

❑ لم أجد أفضل من هكذا عنوان "وداعا إيطاليا" للتعبير عن واقع الكرة الإيطالية حاليا، كل الفرق المعنية بالمنافسة على لقب دوري الأبطال والدوري الأوروبي غادرت، لتختتم الحكاية وينتهي الحلم.

لا أحد اليوم في السباق، الأمل سيتأجل من جديد، كل إيطاليا لا تزال ترزح تحت وطأة الإخفاق الملازم للأندية والمنتخبات على حد سواء.

بالأمس القريب غادرت فرق روما والإنتر والميلان ولاتسيو، ثم جاء الدور اليوم على نابولي واليوفي، وفي المربع الذهبي لمسابقتي أوروبا للأندية، انتفى أثر كرة "الطليان"، فوداعا إيطاليا.

ربما لا يمكن لوم نابولي كثيرا، فهذا الفريق لم يثبّت أقدامه بعد في المسابقات القارية، ما زال يتحسّس طريق اللعب مع الكبار، أضف إلى ذلك أنه لم ينجح منذ عقود في معانقة الألقاب محليا، فما بالك بالمنافسة القوية المحتدمة في أوروبا.

فنابولي هاجسه الأول والأكبر وقبل حتى التفكير في الظفر بلقب دوري الأبطال هو كسر هيمنة "السيدة العجوز" محليا، هدفه تجديد العهد مع ذكريات "مارادونية" خالدة لكن طال عليها العهد.

هدف نابولي وأغلب الأندية الإيطالية الأخرى هو العودة إلى منصة التتويج بلقب "السكوديتو" الذي ظل حكرا على يوفنتوس طيلة المواسم السبعة الماضية. التتويج المحلي أولا ومقارعة "السيدة العجوز" ثم تأتي بعد ذلك مرحلة التطلع لمزاحمة الكبار في القارة "العجوز".

لكن بالتوازي مع ذلك فإن كل اللوم يقع على اليوفي، فهذا الفريق أصاب كل إيطاليا بالإحباط، لقد "اغتال" مجددا الأحلام والطموحات من أجل إعادة رسم الخارطة الكروية في أوروبا ومنح الكرة الإيطالية القليل من بهرجها القديم.

اليوفي لاح فريقا متهالكا في مباراته الأخيرة ضد أياكس أمستردام الهولندي، لقد سقط بالضربة القاضية في عقر داره وبطريقة مهينة.

يوفنتوس كان بحق اسما على مسمى لكن بالمعنى السلبي للكلمة، ففريق "السيدة العجوز" كان عجوزا طاعنا، مُتثاقلا، بائسا، قليل الحيلة، شارد الذهن، مُستسلما لقدره المحتوم خلال تلك السهرة الكروية "المشؤومة".

لاعبو اليوفي كانوا "عواجيز" عاجزين عن الحركة ورد الفعل ضد شباب أياكس، كان هناك فارق كبير في معدل أعمار لاعبي الفريقين، فشتان بين عناصر هولندية يبلغ معدل أعمارها حوالي العشرين ربيعا ولاعبين من اليوفي شارف أغلبهم على سن الثلاثين.

كان هناك فارق كبير في السرعات، بون شاسع في معدلات الثقة في القدرات وإيجاد المنافذ للخروج من المأزق، فأياكس المتقد حيوية ونشاطا والمتوهّج شبابا، فاجأ الجميع وقلب كل المعطيات ونجح في قلب تعادله في موقعة الذهاب ثم تأخره بهدف في بداية مباراة الإياب إلى انتصار ثمين أحاله إلى مربع الذهب.

أما اليوفي فلا عزاء له، لقد طأطأ الرأس، انتهى الحلم الأوروبي أسرع مما كان متوقعا، وحتى هذا اللقب الجديد محليا لن يخمد "النيران" التي خلفها الخروج من دوري الأبطال.

يوفنتوس مثل غيره من الأندية الإيطالية أكد أنه لم يستوعب الدرس بعد، فالوصول إلى المراحل النهائية من المسابقة الأوروبية يتطلب الكثير من التضحية، يستوجب إيجاد كل الآليات والسبل التي تحيل الحلم إلى واقع.

فالتعاقد مع نجم "أسطوري" مثل رونالدو لا يضمن بالضرورة اكتساح المشهد الأوروبي، ربما لو جيء أيضا بميسي لفشل اليوفي في الوصول إلى مبتغاه متى غابت العقلانية وانتفت شروط التطور المطلوبة.

فريق "السيدة العجوز" وسائر الفرق الإيطالية يتعين عليها أساسا التخلص من تراكمات الماضي التي أعادت الكرة في هذا البلاد سنوات عديدة إلى الوراء، لقد تخلفت فعلا عن الركب ولم تستطع مجاراة جيرانها.

الأمر يتطلب أساسا تطوير أساليب التدريب وتنمية الخطط والفلسفة الكروية، يستوجب أيضا التطلع بكل ثقة وثبات للمستقبل، لا يجب الخوف من الآتي، لكن يجب أيضا عدم الاستهتار والتهاون، والتعلم دوما من الدروس.

في هذا السياق كانت كلمات المدرب الإيطالي الشهير أريغو ساكي معبرة للغاية حين قال بعد خروج اليوفي من دوري الأبطال "هم بحاجة إلى أسلوب وفلسفة".

فاليوفي لم يستوعب درس ريال مدريد الذي عاد بالانتصار من أمستردام وكان على مشارف الوصول بكل سهولة إلى الدور ربع النهائي، لكن أياكس استغل تهاون الريال فألحق به شرّ هزيمة وأقصاه من المسابقة.

كان على الفريق الإيطالي أن يكون أكثر حكمة وحذرا عند التعامل مع "ثورة الشباب" في أياكس، ويحرص على الاستفادة من التقدم في النتيجة خلال موقعة الإياب بعد هدف رونالدو.

لكن لا شيء من هذا الأمر حصل، ربما رونالدو استطاع أن يلخّص ما حدث في مباراة العودة بخمس كلمات فحسب "كان لدينا القليل من الشجاعة".

صحيح ما ذكره "الدون"، ففريقه الإيطالي لم يظهر من الجرأة والشجاعة ما يجعله يحسن التعامل مع أسبقيته، لم يكشف أن لديه المقومات التي تقوده إلى قلب تأخره في النتيجة بعد هدفي منافسه.

كان خروج اليوفي مرآة عاكسة تظهر مدى تراجع الكرة الإيطالية، في الوقت الذي واصلت خلاله الكرة الإسبانية المنافسة كل عام على الألقاب، وفي الوقت الذي تحسن خلاله مستوى الكرة الإنكليزية حيث ستكون ممثلة هذا العام بأربعة فرق في دوري الأبطال والدوري الأوروبي، واصلت أندية إيطاليا ترنحها، لقد أثبتت بحق أنها تخلفت عن الركب، فوداعا إيطاليا.. أعد المحاولة مرة أخرى.

إيقاف العداء الكيني كيبروب 4 أعوام

❑ **باريس** – أعلنت وحدة النزاهة في ألعاب القوى، السبت، إيقاف العداء الكيني أسبل كيبروب، البطل الأولمبي لسباق 1500 م في أولمبياد بكين 2008 وبطل العالم ثلاث مرات، على خلفية ثبوت تناوله المنشطات.

وكان العداء الكيني البالغ 29 عاما موقوفا بشكل مؤقت منذ فبراير 2018 على خلفية فحص منشطات إيجابي أظهر وجود آثار مادة أريثروبويتين (إيبو) المحظورة، أجري في سبتمبر من العام 2017.

ولم تأخذ المحكمة التأديبية التابعة للاتحاد الدولي لألعاب القوى بالحجج التي قدمها فريق الدفاع عن العداء الكيني، معتبرة أن "النقص في الأوكسيجين العائد إلى الارتفاع والتمرين البدني المكثف لا يبرر وجود مادة إيبو في عينة البول التي أخذت من الرياضي الكيني".

ولا يزال في إمكان الأخير رفع القضية إلى محكمة التحكيم الرياضي في سويسرا، علما بأن فترة إيقافه تحتسب بدءا من إيقافه المؤقت في الثالث من فبراير 2018 وستمتد بالتالي حتى مطلع العام 2022.

وشكلت قضية كيبروب ضربة لألعاب القوى الكينية، لاسيما وأنها نالت من عداء توج بطلا للعالم لسباق 1500 م في أعوام 2011، و2013 و2015، بعد نيله الذهبية الأولمبية للسباق نفسه على حساب البحريني من أصل مغربي رشيد رمزي الذي جرد من ذهبية أولمبياد بكين 2008 في هذا السباق على خلفية قضية منشطات أيضا.

وأطلقت الوكالة الدولية لمكافحة المنشطات "وادا" تحقيقا في كينيا في ديسمبر 2016، بالتعاون مع الوكالة الكينية ووحدة النزاهة في ألعاب القوى، وأظهرت التحقيقات أن المواد المنشطة الأكثر استخداما هي الناندرولون وإيبو، واعتبر مسؤولو الوكالة الدولية في حينه أن كينيا "تواجه حاليا مشكلة خطيرة في موضوع المنشطات".

وكشفت الفحوص أن نتيجة عينات 138 رياضيا كينيا جاءت إيجابية، معظمها خلال اختبارات الكشف عن المنشطات في المنافسات الرسمية.

لكن "وادا" شددت في سبتمبر 2018 على عدم وجود دليل على نظام تنشط ممنهج في كينيا، على عكس روسيا حيث هزت فضيحة كبرى عالم الرياضة بعد كشف وجود تنشط ممنهج برعاية الدولة بين 2011 و2015.

المنشطات سبب البلية

«مقهى الكمال» يجمع أهل شمال الأردن وتاريخ المنطقة

أكسبت السنوات مقهىٰ "الكمال" الواقع في محافظة إربد، شمالي الأردن، المزيد من الجاذبية فإلىٰ جانب إطلالته المميزة كان شاهدا علىٰ تاريخ مدينة وبلد منذ أكثر من ثمانية عقود مما أكسبه ميزات المعلم التراثي والثقافي بامتياز.

❏ **إربد (الأردن)** – يتميز مقهىٰ "الكمال" التراثي في محافظة إربد، شمالي الأردن، بخصوصيات فريدة فهو يمزج في الوقت نفسه بين الأبعاد الثقافية والتراثية والترفيهية مما جعله مقصدا سياحيا بامتياز لا يتوه الزائر الراغب في زيارته في الوصول إليه، كما يوفر المقهىٰ إطلالة جميلة ويروي تاريخ المدينة والبلاد.

وتأسس هذا المقهىٰ عام 1936 علىٰ يد "خليف التل"، وبات معلما من معالم المحافظة، التي تعرف بعروس الشمال.

إطلالة مميزة ومكان شاهد علىٰ قدم المدينة وعراقتها، تفقد زائره السيطرة علىٰ سهام نظره من الالتفات يمنة ويسرة، فكل زاوية فيها تروي قصة، علىٰ أبرز الأحداث والمناسبات التاريخية في المنطقة. يصف أهل إربد المقهىٰ بـ"الملتقىٰ"، يجتمع تحت سقفه المفكرون والمثقفون وكل فئات المجتمع شمالي المملكة من أطباء ومحامين وصحافيين وغيرهم.

يأبىٰ الكثير من رواده الانقطاع عنه ولو ليوم واحدٍ، فمنهم من يجلس علىٰ طاولته منذ 60 عاماً، وسط أجواء الدفء والمحبة التي تسود المكان. كلهم يعرفون بعضهم، وحتىٰ في أدق التفاصيل، فأبوخالد يحافظ علىٰ تقليد لم يفارقه منذ أن داست قدماه المقهىٰ، السكاكر (قطع الحلوى) حاضرة علىٰ مدار الساعة في جيبه، وما إن يدخل إلىٰ المقهىٰ حتىٰ يبدأ بتوزيعها علىٰ الحاضرين.

إسماعيل (أبوشادي)، أو "سمعة" كما يناديه زائرو المقهىٰ، مصري الجنسية والمسؤول عن إدارته منذ 33 عاماً، يقول "حضرت هنا الكثير من اجتماعات الصلح العشائرية، والمقهىٰ به مكتبة تضم الكثير من الكتب القديمة، البعض يأتي فقط لقراءتها".

جلسات شبابية غنائية تراثية، تلقىٰ تفاعلاً من جميع الحاضرين، هي أبرز ما يميز المقهىٰ، وفق أبوشادي.

أيمن زكارنة (53 عاماً) موظف حكومي يقول "كانت جاهات شيوخ العشائر في إربد تنطلق من هنا، والمقهىٰ يمتاز بتنوع خدماته وفيه مكتبة ثقافية تثري المطالع".

ويشير أحمد أبوعياد (59 سنة) إلىٰ أن "أبرز زوار المقهىٰ كان الملك عبدالله الأول (1882– 1951)، وهو تاريخ للأردن بشكل عام وللشمال بشكل خاص، ملتقىٰ المثقفين والمفكرين".

أما عبدالقادر الحايك (73 عاماً)، فهو الموسوعة التاريخية للمقهىٰ، لا تخفىٰ عليه أدق التفاصيل، فهو يحافظ منذ 60 عاماً علىٰ زيارته، منذ أن كان طفلاً برفقة والده.

وتقول رهام الجمال، مسؤولة التراث في بلدية إربد الكبرى، "كان المقهىٰ مركزا للنشاطات السياسية والمحاضرات وتتم فيه الجاهات العشائرية وجلسات الصلح بين الناس، وكان يتم خلاله الإعلان للانتخابات، وفي أكثر من مرة كان المقهىٰ يعد مركزًا للانتخابات النيابية والبلدية".

جلسات تملؤها أجواء الدفء والحنين

سجن أميركيين عذّبا أبناءهما في «منزل الرعب»

❏ **ريفرسايد (الولايات المتحدة)** – حكم علىٰ الوالدين في "بيت الرعب" في الولايات المتحدة الجمعة بالسجن مدى الحياة إثر إدانتهما بتعذيب 12 من أطفالهما الـ13 علىٰ مدى سنوات. ويمكن لديفيد توربين (57 عاما) وزوجته لويز (50 عاما) أن يطلبا إطلاق سراح مبكر بعد 25 عاما، وفق محكمة ريفرسايد في كاليفورنيا (جنوب غرب).

وقد أقر الثنائي بذنبهما في فبراير من التهم الـ14 الموجهة إليهما وتشمل التعذيب والاحتجاز في هذه القضية التي هزت الولايات المتحدة. وقد تفادى الزوجان تاليا مواجهة مؤلمة مع أطفالهما.

وقالت الابنة الكبرى "والداي سرقا مني حياتي، لكنني استرجعتها. لقد كان ذلك قاسيا، لكنه جعلني أقوى". وقال أحد الأشقاء "لا أجد كلمات تكفي لوصف ما خبرناه ونحن نكبر"، مضيفا "لا تزال كوابيس تراودني أحيانا عن هذه المرحلة كرؤية شقيقاتي مكبلات بسلاسل مثلا. لكن هذا الأمر بات من الماضي وأنا أحب والديّ وأسامحهما".

وتقدم الزوجان باعتذار من أبنائهما قائلين إن ما فعلاه بهم كان بـ"نية حسنة".

وانكشفت هذه المأساة في يناير 2018 بعدما نجحت إحدى بنات الزوجين في الإفلات من الرقابة بعد سنتين من التحضير.

ووجدت الشرطة الأطفال موثوقين إلىٰ أسرّتهم. وكان جميع الأولاد باستثناء الطفلة الصغرى يعانون من سوء تغذية حاد ومن نسبة عالية من القذارة.

ياباني أول كفيف يعبر المحيط الهادئ

❏ **طوكيو** – بات بحار ياباني السبت أول شخص ضرير يعبر المحيط الهادئ علىٰ متن قارب شراعي، علىٰ ما أفادت الصحافة اليابانية.

وقد وصل ميتسوهيرو إيواموتو (52 عاما) صباح السبت إلىٰ ميناء فوكوشيما علىٰ متن مركبه الشراعي البالغ طوله 12 مترا، بعد نحو شهرين علىٰ إبحاره من كاليفورنيا. وغادر الرجل المقيم في سان دييغو عند سواحل ولاية كاليفورنيا المطلة علىٰ المحيط الهادئ، هذه المدينة الأميركية في 24 فبراير بصحبة دوغ سميث وهو بحار أميركي ساعده شفويا من خلال مدّه بالمعلومات اللازمة بما فيها اتجاه الرياح.

وهذه المحاولة الثانية للبحار الياباني. فقبل ست سنوات، أجرى الرجل أولىٰ رحلاته لكنها انتهت بسرعة بعدما غرق قاربه إثر اصطدامه بحوت. وقال المغامر الياباني خلال احتفال أقامه لدى وصوله إلىٰ فوكوشيما "أنا في دياري. شكرا"، منهيا بذلك رحلة امتدت علىٰ مسافة تقرب من 14 ألف كيلومتر.

وأوضح إيواموتو لوكالة كيودو الإخبارية اليابانية "لم أستسلم وحققت حلمي".

وهذه المرة الأولىٰ التي يعبر فيها شخص كفيف المحيط الهادئ، وفق الوكالة. وخاض الياباني الذي فقد بصره في سن السادسة عشرة، هذه المغامرة لجمع أموال لاستخدامها في أنشطة خيرية بما يشمل دعم جهود الأطباء لتفادي الأمراض المسببة لفقدان البصر، وفق موقعه الإلكتروني.

انفصلت المغنية البريطانية أديل عن زوجها رجل الأعمال سايمون كونيكي بعد زواج دام 3 سنوات، وفق ممثلين عن المغنية قالا «لقد انفصلت أديل وشريكها، إنهما ملتزمان بتربية نجلهما معا بحب».

افتتاح الحدائق الزجاجية الملكية في بلجيكا

❏ **لاكن (بلجيكا)** – افتتحت البيوت الزجاجية الخاصة بالقصر الملكي في لاكن في بروكسل أبوابها أمام الزوار، وهي تضم الآلاف من الأنواع النباتية في واحد من أبرز المجمعات النباتية في أوروبا. ويقدم الموقع جولات للزوار من ليلة الجمعة حتىٰ 10 مايو في تجربة "مثيرة للاهتمام وفريدة من نوعها" للربط بين النباتات والهندسة المعمارية.

وشيدت هذه البيوت الزجاجية حول قصر لاكن مقر العائلة المالكة البلجيكية، في عهد ليوبولد الثاني (1865–1909). وفي 1874، بدأ المهندس المعماري ألفونس بالا بتكليف من الملك أعمال "حديقة الشتاء" وهي الغرفة المركزية، بمساحة 34 مترا لإيواء أكبر أشجار النخيل. واستغرق بناء هذا المجمع النباتي الذي يمكنه استيعاب المجموعة الملكية الكاملة للنبات، 20 عاما.

ويضم هذا المجمع خصوصا الأنواع شبه الاستوائية التي تتطلب نظام تدفئة لضمان درجة حرارة تتراوح بين 10 و12 درجة مئوية كما قال مدير المكان ميشال ديكينز. وأضاف أنه كان لدى الملك ليوبولد الثاني شغف خاص بأزهار الكاميليا و"عند وفاته كانت تضم مجموعته أكثر من ألف زهرة كاميليا" وقد أصبحت هذه الأزهار من الأنواع التي تخصصت فيها المشاتل البلجيكية. وتستقبل هذه البيوت الزجاجية 100 ألف زائر كل ربيع.

صباح العرب

عدلي صادق

على طريق الاستنارة

❏ سرّني حضور مجلة "العربي" الكويتية، بتمام أناقتها الورقية، علىٰ أرصفة وأرفف الصحف والمجلات المتبقية. فليس هناك قارئ بلغة الضاد، تقدم به العمر، لم يكن لديه، منذ نعومة أظفاره، شغف بـ"العربي"، ولم يكن يترقب موعد وصولها شهريا، ويأسف إن نفدت ولم يدركها، ولم يكن يفتش عن نسخة يستعيرها أو يقلب صفحاتها. هي التي تربعت لعقود، علىٰ عرش المنشورات الثقافية، وحافظت علىٰ أريحيتها وتنوعها في استضافة الأقلام والمدن والموضوعات والقصائد منذ انطلاقتها في العام 1958. فقد أبهجت "العربي" الصغار والكبار بألوانها وعناوين أبوابها.

أحسست بامتنان عميق للكويت التي استمرت في إرسالها إلىٰ يد الفقير والغني. ففي مصر، تباع وهي من 220 صفحة من الورق الصقيل اللامع، بأقل من سعر إضمامة نعناع. فهذه الأخيرة بجنيهين والمجلة بـ125 قرشاً، علماً بأن مجلة "الديوان" الفصلية، الصادرة عن مؤسسة "الأهرام" وهي أقل حجما وكلفة، تباع بعشرة جنيهات. معنىٰ ذلك أن الدولار الواحد، يغطي ثمن أربع عشرة نسخة من "العربي". ومعنىٰ ذلك أيضاً أن الكويت تهدي المجلة إلىٰ القارئ العربي وحسبها ألا تنسىٰ حق الموزع، دون أن تأخذ لنفسها شيئاً من كلفة تحرير وطباعة وشحن ربع مليون نسخة. وهنا موضع الامتنان!

سلخت المجلة من العمر، أكثر من نصف القرن، وهي إلىٰ الآن، صامدة أمام طوفان النشر الإلكتروني، وترغب في جعل النشر الورقي، قاعدة راسخة لا محيد عنها، للتوسع، وللمزيد من التنوع والاستضافات، ليس في النشر الإلكتروني وحسب، وإنما كذلك في عرض الموضوعات التي يضيق بها الورق، عبر قناة تلفزيونية.

في مرحلة الحلم العربي الجميل والطموح إلىٰ ارتياد آفاق التنمية والارتقاء بمستويات الحياة؛ ولدت مجلة "العربي" في هيئة تمزج بين ملامح مجلتي منوعات وكشوفات، الرائدتين في الولايات المتحدة، هما "ناشيونال جيوغرافي" و"ريدرز دايجست". وكان إصدار "العربي" من خلفية الاستفهام التقريري: لم لا يكون للعرب مثل هذه المنشورات علىٰ طريق الاستنارة؟

في مرحلة التدشين، تولىٰ أحد أعلام النهضة العلمية العربية، الكيميائي المصري د. أحمد زكي عاكف، مسؤولية تحرير مجلة "العربي". كان الرجل ذا قلم جميل فضلاً عن كونه عالماً ومؤلفاً يطمح إلىٰ إعداد موسوعة عربية علمية. أي أن المجلة بدأت واستمرت بأهل الخبرة. ولما اشتد عودها، تولىٰ الصحافي المحترف والمميز، أحمد بهاء الدين مسؤولية التحرير، ثم تولىٰ المسؤولية الكاتب وأستاذ علم الاجتماع الكويتي محمد الرميحي الذي حافظ علىٰ مستواها وعلىٰ الاستمرار في تطويرها، وجاء بعد الرميحي أساتذة آخرون من الكتّاب الكويتيين المرموقين، الذين حافظوا علىٰ السياق كله، ومضوا بخطىٰ ثابتة في طريق الاستنارة!